الشيشان:

السياسة والواقع

زليم خا يندربي

الرئيس السابق لجمهورية اشكيرية الشيشانية

2000م/ 1421 ه

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾
﴿ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنه من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ "صدق الله العظيم"

فلقد شرفني أخي في الإسلام الشيخ الفاضل السيد/زليم خا ياندربي الرئيس السابق لجمهورية اشكيرية الشيشانية بمراجعة الترجمة الإنجليزية للأصل الروسي وكانت مهمة صعبة جداً لعدم إلمامي باللغة الروسية مما جعل مراجعة المترجم فقط تقتصر على حسن الصياغة وكثيراً ما رجعت للمؤلف حتى أتأكد أن المعنى هو المقصود لأن القارئ العزيز يدرك مشاكل الترجمة والفضل في المراجعة يرجع لأخ بريطاني مسلم طلب عدم ذكر اسمه وعاونني بعلمه وبحسن الصياغة لأن الإنجليزية لغته الأم لذا، جاء النص الإنجليزي يسيراً معبراً مما سهل مهمتي في ترجمته للغة العربية

ولقد بذلت جهدي وأسأل الله التوفيق وأن يكون هذا العمل خالص لوجهه وإني أتحمل أي جوانب تقصير هي من صفات البشر

سائلاً الله عز وجل أن يكلل كفاح الشعب الشيشاني بالنصر والعزة ولله العزة ولرسوله والمؤمنين

مصر بنها ذو الحجة 1421
مارس 2001م

المترجم
د0 سليمان ماجد

الشيشان السياسة والواقع

مقدمة من المؤلف :

إن الحياة في كل أشكالها يفهمها ويراها بوضوح كل من يعيشون على هذا الكوكب، فهي ليست قوة عفوية ذاتية التوجيه أو لعبة عديمة الجدوى تافهة تلعبها القوى الخارقة للطبيعة، وليست نتيجة لتزامن أحداث بالصدفة، كلا فبالنسبة للذين يمكنهم الفهم فإن الحياة بوضوح هي نتاج فكر وإرادة مقدسة سماوية وتوجد هذه الحياة التي تم خلقها بقدسية إلهية في تطور منتظم من خلال الزمان والمكان، وتبقى الحياة في خلقها المقدس على مقياس أعظم وأكثر تعقيداً بكل تأكيد عما يمكن أن يتخيله حتى أعظم العلوم تقدماً لأنها تحاول في تكبر وغطرسة أن تفهم ألغاز الكون وتوفر للإنسان الوسائل للفرار من طبيعة ارتباطه بالأرض

فالحياة مقدسة وأية محاولة لإنكار هذه الحقيقة الجوهرية تشكل إنكاراً للواقع، فالنجاحات التي تم التهليل لها للعديد والمنظمات والمعاهد والمراكز الدولية في توفير تكهنات ونماذج صممت كي تعطي الفكر الإنساني والسلوك البشري جوهراً وشكلاً قد باءت جميعاً بالفشل، وإذا ما حكمنا على هذه الجهود بالمقارنة بحقائق الكون المخلوق بقدسية وألوهية فإنها جهود تصل إلى ما لا يزيد عن اهتزازات يمكن رصدها بوضوح – لاكترون واحد في وسط مراحل الخلق التي لا حد لها

وبالطبع فإن الحقيقة أن هذا التتبع المتغطرس لهذا الفكر الإنساني وهو في أشكاله العلمية والفنية والفلسفية يحملنا إلى الهاوية، وحقاً هناك سبب يجعلنا نعتقد أننا اليوم فوق الهاوية نفسها تنقصنا تماماً الوسائل إما للتوقف أو لتغيير الاتجاه، وكل ما نحتاج إليه هو خطأ واحد أزيد حتى نهوى بشكل لولبي في العدم الفارغ تحتنا

وسواء أدركنا أو لم ندرك فإن حالتنا حالة محفوفة بالمخاطر، فبينما نلعب بالوقائع العملية التي إبتدعناها ونفكر في الصور الخادعة والأوهام التي نعتقد أنها تمثل الفرص السالفة فإن العالم الذي نعيش فيه يمكن أن يشبه بأحدث الطائرات ولكنها غير مزودة بناقل حركة للهبوط، فلقد أقلعنا ونطير أسرع عبر الهواء ونحن محبوسون في الطائرة في حالة حركة غير واعين بالخلل الفتاك بها، وفي نفس الوقت فإن المظهر السياسي لعالمنا يذكر بأحد الأغبياء في المثل الشيشاني الذي عندما سمع الصيحة "هيا بنا نقتل كل الأغبياء" كان الأول الذي حاول الوصول لخنجره

ففي الواقع فإن عالمنا بكل علومه وتقنيته وأنظمته السياسية وحضاراته المتخيلة ليس لـــه شأن أكثر من جناح بعوضة إذا ما قورن بحقيقة الله خالق كل العاملين وليس فقط هذا بل إنه عالم بطبيعته المحضة يوجد في تضاد فتاك بالقياس إليه إلى الخالق الأعظم

فالعالم الذي أبدعه الله ككل موحد يشتمل عبده الإنسان وقد تم تقسيمه وتم هذا لأن الإنسان تصور نفسه قادراً على الاكتفاء الذاتي مما أصابه بالغرور ولذا أصبح منفصلاً عن مكانـــه فـــي الحقيقة التي تم خلقه كجزء منها، وعندما صنع هذا فقد ضيع تماماً أي قدرة حقيقة علـــى رؤيـــة الأشياء وفقاً لعلاقاتها الصحيحة وأي فهم حقيقي معتقداً انه يوجد باستقلالية ويمكنه تطوير وتنمية علاقاته المتبادلة، وكان من آثار هذا أن أصبح الإنسان نفسه أيضاً منقسماً ضد نفسه

فالإنسانية تم تقسيمها إلى تنوع تام للوسائل والطرق، فقد تم تقسيمها إلى خطـــوط دينيـــة وعرقية وجنسية وثقافية وسياسية وقومية وحتى قاربة متوازية لا تتلاقى، ويبدو أن تحطيم الذات الذي تولد عن هذه الانقسامات ليس له نهاية، وفي الأساس فإن سبب هذه الانقسامات وما ترتـــب عليه بالطبع يوجد في انفصالنا عن الدين، وترتب على هذا كل أسباب جنوننـــا الأخـــرى ســـواء اقتصادية أو أيدولوجية أو سياسية أو جنسية أو عرقية أو ثقافية أو نفسية أو أية أســـباب أخـــرى نجمت عن ذلك أين كانت

لذلك فالحقيقة أنه بالرغم من أن الإنسانية تكافح فيما يظهر لتبديد هذه الانقسامات وحل هذه الصراعات وتكافح من أجل شئ من إعادة التوحيد فإن البشرية في حقيقة الأمر تتجه إلى صراع عالمي، وبعدم مواجهة السبب الجوهري لكل هذه الانقسامات فإن العالم ينقاد إلى مواجهة دينيـــة، وستكون النتيجة حرباً دينية عامة والتي يشكلها الأقوياء في هذا العالم وفقاً لوجهات نظر سياستهم التي يزعمون بأنها دولية فهؤلاء الذين يبدعون السياسات الدولية والقانون الدولي يقدمون للذين لا يقبلون تفكيرهم ولا نظام قيمهم اختياراً في أن تعيش راضياً وفق قوانينهم أو سوف يـــتم الحكـــم عليك بالحياة قسراً في ظل قواعدهم الاستبدادية أو الفتاكة لذلك فإن الذين يرغبون في الحياة وفق قانون الله الحقيقي خالق كل العوالم يكون أمامهم الاختيار بين أن يتخلون عن الطريـــق المقـــدس الذي وضعه الله ويعيشون وفق قواعدهم أقصد قواعد الأقوياء أو مواجهة النتائج المترتبـــة علـــى رفضهم ذلك، وهذه النتائج تصل إلى الإبادة المنظمة لكل أشكال الوجود الإنساني وحقاً فإن الحقيقة أن هناك الآن إبادة جماعية للذين يتبعون الخالق الحقيقي ويتم ذلك بالتبريرات المعكوسة المعتادة،

وإذا تحدثنا مجازاً فإن نظام المرايات المشوهة يتم فرضه الآن على العالم، عالم يسمى فيه الشـــر خيراً والموت هو وسيلتنا للحياة

ولقد فقد العالم بصيرته في جوهره ومعناه، ولقد تخيل الرجال - وهم محصـــورون فـــي قبضة دوافعهم المتغطرسة – أنفسهم قادرين على تحديد وجهة نظر وسلوك البشرية جمعاء وحتى الكون ككل وعندما فعلوا هذا فإنهم فقدوا رؤية الحقيقة البسيطة أنـــه دون إرادة الله فـــإن أغلـــب حاجاتنا الأساسية لا يمكن إشباعها فهم قد اهتموا بنداء الشيطان الذي يراود الإنسان بالحديث عن الأشياء الأرضية الحلوة حتى يسحبه بعيداً عن الفردوس ولقد تم جعل هذا ممكناً لأنه قد تم ضياع المشهد الذي تقدمه معرفة الجنة والجحيم، فالجنة والجحيم تبدو الآن غير حقيقية لأنـــه لا يمكـــن لمسها أو رؤيتها وتفصلها عن الإنسان بما يبدو له أنه حاجز الموت المخيف، فلقد ضـــيع عـــالم البشر الاتصال بالله الخالق وتاه في متاهات الحياة الشيطانية

لذا فلكي تبرأ البشرية من كل إنقساماتها وصراعاتها التي لا نهاية لها ســـواء وطنيـــة أو سياسية أو عرقية أو جنسية فإن البشرية التي تتكون من كل واحد منا يجب أن تتحول إلى طريق واحد حقيقي، فكل واحد منا لابد أن يعرف ويتعرف بوجود وكينونة الخالق خالق كـــل الأشـــياء ويتبع قانونه وفقط عندما نفعل ذلك بشكل جيد فإن سوء الفهم الفتاك يصبح جلياً لنـــا فكـــل شـــئ نحتاجه حتى نصل للخلاص من الخطيئة ونصل للفهم موجود

فكل ما تحتاجه أنت الإرادة للبحث عن الخلاص والانقاذ في أثناء الحياة التي قدر لنـــا أن نعيشها على الأرض، فالحقيقة الجلية بأن الله هو الواحد هو الخالق الوحيد لكل هذا أي أنه خـــالق كل العالمين" هي حقيقة يمكن لأي عضو في البشرية الوصول إليها، والطريق الرئيسي الذي يقود إلى الحقيقة يكون من خلال مقارنة الوحي المقدس الذي أرسل لنا عن طريـــق الأنبيـــاء موســـى وعيسى مع كلمة الله الخاتمة التي جاء بها النبي محمد وذلك في شكل القرآن الكريم، إن طبيعـــة الحقيقة وقوانينها الموجودة لهؤلاء الذين لديهم الاستعداد للبحث عن الحقيقة، ويصبح من الواضح ما يجب أن يفعلوه وعلى من يجب الاعتماد أثناء وجودهم القصير الفاني، ويصبح من الواضـــح للذين يتخذون هذه الخطوة أن طريقاً تم تخطيطه بدقة خلال هذه الحياة يتطلب اعتماداً دائماً وكاملاً على هداية الله الخالق فضلاً عن ذلك فإن القوة المشتركة لمن قد أعطوا حياتهم لله منا هي التـــي تستخدم كنقطة حشد واستجماع لقوة للمستغلين والمستضعفين الأذلاء الذين يجـــدون فـــي طلـــب

الحقيقة والحرية، تكون حالة الضعفاء والذين لا حول لهم ولا قوة والطريقة التي يعاملون بها بمثابة مقياس لمستوى الضمير والورع اللذين يوجدا ليس فقط في المجتمع العام الذي نعيش فيه بل في كل واحد منا على انفراد

ففقط من خلال الخالق نعيد اكتشاف المبادئ الأخلاقية الحقيقية، وعندئذ فقط نتعرف أيضاً على القوة التكنولوجية لكل ما هو كائن بالفعل وسوف تكتسب المكانة الشرعية العادلة كي تستعمل الأشياء في خدمة الضمير والمبادئ الأخلاقية والروح التي تم هدايتها وإرشادها من قبل الخالق بقدسية، وفقط عندما يتم تأسيس هذا النظام الشرعي العادل حيث تضاع القوى الأرضية الفظة للقوانين التي وضعها لنا الله سيد كل العالمين سيكون هناك عدل وتحرر من عبودية الشيطان

فلا يجب على هؤلاء الذين يظهرون بأنهم أقوياء في هذا العالم أن يبحثوا عن إعادة الطمأنينة في عظمتهم الظاهرة ولا يجب على هؤلاء الذين يبدو عليهم الضعف أن ييأسوا أمام اليأس الظاهر من قدرهم فإن الله سبحانه وتعالى سوف يحاسبنا ويعاقبنا فرادى كل على حدة، وهذا الحساب وما يليه من أي عقاب سيكون شديداً ولكنه عادل وسوف لا يتغير أو يتبدل ولو بجزء صغير بسبب عظمة العالم، وفي هذا يجدر أن نتذكر أن هذا العالم يشهد القدرة والقوة التي في زمنها تفوق بكثير قوة أمريكا أو روسيا أو أي قوة أخرى فماذا يبقى الآن من تلك القدرة والقوة؟ فقط أحجار ضخمة مغطاة في شكل آثار ترابية للعظمة التي كانت ذات مرة تخص الفراعنة، وليست حتى بقايا ترابية لأعمال وصور وأشباح للعديد المتكاثر في التاريخ للذين يتخيلون أنفسهم الخالقين لأقدارهم والسادة على مصائر الآخرين

كل هذا يفيد كدرس حيث لا يجب أن ننسى بالطبع أن سقوط الفراعنة على سبيل المثال جاء من داخلهم فبذور الخراب والدمار كانت موجودة في الفراعنة ذاتهم، ولقد وضعها الله هناك جاعلة الفراعنة يشرفون على وفاتهم وزوالهم بأنفسهم وبالمثل في العالم الحديث فإن البنية المنتصرة الكلية لما يسمى الغرب بكل أجزائه التكوينية بما في ذلك ديمقراطيته لا يمكنها عمل شئ أكثر من إعداد الأرض لدمارها، وعلاوة على ذلك ومن المحتمل جداً أننا سوف نشاهد – بعد دمارها – العقاب المقدس لمنشئيها وأبطالها

ويكفي أن نفكر ملياً في أبسط حقائق المجال الاجتماعي السياسي للحياة البشرية حتى ندرك موطن الضعف الرئيسي حتى في أقوى الدول رغم نموها الاقتصادي والتكنولوجي المتقدم، وهذا

بالطبع لا يقول شيئاً عن الضعف الأعظم لبقية العالم الذي تم إخضاعه للاعتماد المباشــر علــى رخاء تلك الدول وأي فشل في النظام الاقتصادي نفسه سواء كان في شكل التزويــد بالطاقــة أو بالمواد الضرورية للخدمة والصيانة فإنه من المحتمل في أي وقت أن يحول كل الصرح إلــى لا شئ أكثر من كومة غير مجدية لا نفع لها من الحجر والمعدن، ولا يهم إذا كان هذا الفشل يجــئ نتيجة لعمل متعمد من قبل هؤلاء الذين يبحثون عن دماره أو غيرهم أما بالنسبة لهــؤلاء النــاس أنفسهم الذين يسكنون ويعيشون وفق هذا النظام الذين يعتمدون عليه من أجل أوجه راحتهم الحديثة والذين يعتقدون في أنفسهم أنهم متمدنون والذين يتخيلون أنفسهم حملة المدنية لبقية البشرية فــأي فشل كهذا سوف يخضعهم للدمار والهمجية، وهذا سوف يهبط بهم لدرك الحيوانات في شكل بشر ويجعلهم مستعدين لذبح أي شخص آخر والتهامه فقط لتزداد حياتهم يوماً آخر، وفقــط وعنــدما يهبطون لهذا يكونون مجبرين على إنعام النظر في جهنم فراغهم وحماقتهم ويشــعرون بالحاجــة لشئ يتشبثون به، والله فقط الواحد والخالق الوحيد لكل منا هو الذي يعطينــا بســرعة الجــوهر والثروة التي نحن في مسيس الحاجة للتشبث بهما، ومع ذلك فإن الله مفقود اليوم في نظر البشرية في نظر بنى آدام المتعجرفين، فقد حل محل حقيقة الله جمع من الآلهة والأوثان المزيفــة فــرض الناس عليها تخيلاتهم الخاصة وفق محدودية مصالحهم وخيالاتهم ونتيجة لذلك فإن الكارثــة فــي متناول اليد وعلى وشك الحدوث

وليس هناك خلاص إلا من خلال العودة لقانون الله الخالق وهذه العودة تتمثل في الجهــاد، ويشمل الجهاد هذه الأيام الحرب الشيشانية الروسية، وهنا – كما هو الحال في أي مكان آخــر - فإن قاعدة هؤلاء الذين يخدمون أصناماً وآلهة مزيفة جديرة برميها والتخلص منها ويعاد مكانهــا إقامة شرع الله خالق كل العالمين ولا غنى عن تنفيذ هذا إذا ما أردنا الوصول لنصــرة الضــمير ومكارم الأخلاق، وإذا ما أردنا أن نمتلك الحرية لكل البشرية ولكل شخص

وفي النهاية فكل فرد منا سواء أدرك الحقيقة أو باع روحه للشيطان سواء كنا ضــعفاء أو أشداء، أغنياء أو معدمين فالحقيقة أن كل السبل تؤدي إلى يوم الحساب عنــدما نقــف أمــام الله ونعرض عليه سبحانه، أليس من الأفضل عندئذ أن نكون قد اتبعنا الصراط المستقيم الــذي أراده الله لنا على أنه السبيل الوحيد والوحيد فقط الصحيح؟ والحمد لله

زليم خا ياندربي

الشيشان (ناختشيكو) إشكيرية

ناختشيكو أو كما تعرف في العالم الخارجي بالشيشان جمهورية إشكيرية الشيشانية هي واحدة من أعظم الأراضي غنى وخصوبة على ظهر البسيطة ولقد أفاء الله عليها بنعمة الجمال الذي لا يوصف ووفرة الموارد الطبيعية والأرض الخصبة وهي تقع في شمال غرب جبال القوقفاز، ومنذ الأزمنة الغابرة وهي موطن النبلاء من الناس والأعزاء من البشر ولقد سموا أنفسهم الناختشيون ولكنهم يعرفون في الأماكن الأخرى بالشيشانيين ويشتق معنى اسمهم الناختشيون من اسم النبي نوح أو نوخ الذي أعطى ابنه الصغير لافت أو يافت ملك القوقاز، فهم يمتلكون أقدم تاريخ من أي شعوب قطنت القوقاز وأقاليمه المجاورة، ولغتهم : الشيشانية تتبع عائلة الإبروقوقاز اللغوية والشيشانيون مسلمون في الأساس بمعنى أنه منذ بدايتهم كانوا موحدين يؤمنون فقط بإله واحد الخالق الواحد ونتيجة هذا استعدادهم لاعتناق الإسلام الذي حدث أثناء زمن الخلفاء الراشدين، وبالطبع فإن المؤرخين الروس – وفق الأيديولوجية التي قامت عليها إمبراطوريتهم قد أنتجوا كل أشكال الوصف الزائفة الخاصة بأصول واعتقادات الشعب الشيشاني، وتم عمل هذا بنية التغنيم على كل ما يتعلق بتاريخهم وهو يتهم وعدالة نضالهم

وعدد الشيشانيون في العالم – رغم تقديرات مختلفة – حوالي 1.5 مليوناً فقبل الحرب بين الشيشان والروس 1994 – 1996 فإن غالبية الشيشانيين حوالي المليون كانوا يعيشون في الشيشان جمهورية إشكيرية الشيشانية نفسها، وكان يوجد الشيشانيون أيضاً بأعداد ذات شأن في روسيا وكازاخستان وجورجيا وتركيا وسوريا والأردن وكان استقرارهم في هذه الدول– إلى حد كبير – تيجة الترحيل الجزئي للسكان بين القرن 19 والقرن 20 وبعدئذ الترحيل العام سنة 1944، وحقاً كان التهجير الجبري القسري للشعب الشيشاني من ملامح العدوان الروسي من حوالي 450 سنة

وكما يلاحظ فإن الشيشانيين أمة قديمة فهي فعلاً إحدى الأمم القديمة على الأرض فأثناء تاريخهم الطويل الممتد لآلاف من السنين كانوا ولا يزالون جزءاً من حضارة قائمة ممتدة استقرت بالقوقاز والأراضي المحيطة ففي سالف الأزمنة كان للشيشانيين – أسلاف الشيشانيين الحاليين – وجود في الحضارات القديمة التي تركت بصمتها على الأقليم وفي الأزمنة الأكثر حداثة أسست إمامة الشاميل في سنة 1834 – 1859 وكانت شيشينا مركزاً سياسياً رئيسياً في الإقليم وكانت العاصمة تقع في القرية الجبلية "فيدينو" فشامل مثل الإمام الشيخ منصور قد وحد شعوب القوقاز ضد العدوان الروسي الذي امتد من 1786 حتى 1791، ونتيجة لهذا تم الاعتراف به إماماً لكل القوقاز وهذا التاريخ – بالطبع – يفيد في توضيح حقيقة أن الشيشانيين غالباً ما اضطروا للكفاح للدفاع عن استقلالهم ضد العدوان الخارجي، واضطروا للدفاع عن أنفسهم ضد الفارسيين وجيوش جنكيز خان الموغولية وجيوش تامبرلان وآخرين عديديين وفي هذه الأحداث اضطرت هذه الجيوش للانسحاب عند مواجهة المقاومة الشيشانية وجبال الشيشان التي لا يمكن مهاجمتها، وعندئذ استأنف الشيشانيون حياتهم وأعادوا بناء مدنهم وقراهم ورجعوا لتربية أطفالهم واستمروا في أداء شكرهم وتسبيحهم وصلواتهم لله الخالق الأوحد لكل العالمين

ويعتقد الشيشانيون أن الله منحهم أرضهم هذه نعمة وفضل ومنة منه، ويقوى هذا الإيمان لديهم حقيقة أن البشر المقدسين الحاملين لكلمة الله عاشوا دائماً بينهم ، وبالطبع فإن الإيمان الديني الراسخ بين الشيشانيين قد ينحسر ثم يرتفع وأحياناً يأفل قبل أن يزدهر مرة أخرى، وهذه التغيرات والتقلبات في قوة اعتقادهم الديني يمكن أن ترتبط مباشرة بالانتصارات والهزائم التي خبروها أثناء صراعهم مع الأعداء الغزاة، ومما هو جدير بالملاحظة على أية حال – أن الشيشانيين لم يكونوا إطلاقاً مذنبين بالعدوان على أمم أخرى، ولكنهم يحاربون فقط للدفاع عن دينهم وحريتهم ووطنهم، وكرامتهم وهذا يستند إلى حقيقة أن في شيشينا الإنسان حر في أن يحنى رأسه ويركع ويسجد لله، وشكل الدفاع عن هذه الحرية شخصية الشيشانيين وحدد مصيرهم بشكل جوهري

وظهر الروس في الأرض الشيشانية منذ 500 سنة مضت، وهؤلاء كانوا عبيداً هائمين يعملون في الأراضي وتم استقبالهم بود ولطف وكرم موروث ليس فقط من قبل الشيشانيين بل من كل شعوب القوقاز، وبدأت الغزوات الأولى في ظل القياصرة الروس أثناء حكم إيفان جروزني واستمرت منذ ذلك الوقت بقسوة متزايدة ووحشية وعدم إنسانية، ولقد برهن على هذا العدوان البربري الوحشي ضد الشيشان بل حقاً ضد كل إقليم القوقاز المتعاقبون من القياصرة والقادة العسكريين وحتى بعض الشعراء والكتاب والعلماء من بين الشخصيات الجماهيرية البارزة، وزيادة على ذلك فإن الروس الهائمين الذين رحب بهم الشيشانيون من قبل ومنحوهم حق اللجوء أصبحوا مؤيدين للعدوان الروسي وخانوا الذين أحسنوا إليهم من قبل وكانوا مذنبين بنهب وقتل الشيشانيين وأيضاً استولوا على أرضهم وممتلكاتهم، معلنين أنفسهم أصحابها

وكما لاحظنا من قبل فإن أول إمام للقوقاز كان الشيخ منصور وهو شيشاني من قرية ألدي، وقد نجح في توحيد كل شعوب شمال القوقاز ضد العدوان الروسي ومع أن القوى المتواجهة لم تكن متساوية ومتكافئة ولم تتحقق المساعدات المتوقعة من السلطان العثماني في تركيا وأسوأ من ذلك فإن البكوات والأمراء الذين يقودون الأمم الأخرى في القوقاز ما لبثوا أن خانوه بدافع المصلحة الذاتية وكان نتيجة ذلك هزيمة الشيخ منصور، الذى توفي فيما بعد في سجن قلعة شليسر بورج في سانكت بيتربورج حيث تم سجنه على أثر استيلاء الروس على قلعة أنابا

واستمر نضال الشيشانيين بعد الشيخ منصور تحت قيادة قادة آخرين وأكثرهم شهرة كان تيمين بيبولات ومع ذلك فشلوا جميعاً في محاولاتهم في توحيد الشعب القوقازي كمقدمة ضرورية للمقاومة الناجحة، وفي نفس الوقت زادت روسيا في وجودها العسكري وشددت من حملة قسوتها ورعبها قبل الانشغال في الإبادة العامة للسكان الآمنيين الطبيعيين، وتم تنفيذ هذه الإبادة الجماعية تحت شعار "المدنية"، وتناول الروس المسألة على أنهم مشغولون في رسالة تمدين الإقليم واستئصال قطاع الطرق، وفي الحقيقة فإن النية الاستعمارية لروسيا تهدف إلى تفريغ إقليم القوقاز من شعوبه الأصلية ويمكن على وجه الخصوص تتبع العداء الروسي للشيشانيين بسبب الدور المحوري الذي لعبه الشيشانيون في تاريخ القوقاز، وفهم الذين وضعوا الاستراتيجيات الاستعمارية الروسية أنه لكي يتم التحكم في الإقليم لابد أن يقضوا على مقاومة الشيشان، ونموذج العقلية التي شكلت 450 سنة من السياسة الروسية تجاه شعب الشيشان هي كلمات الجنرال يارمولوف كلمات تتمشى تماماً مع سمة العار لقسوته وولعه بسياسة الأرض المحروقة أثناء حملاته فلقد قال : "سوف لا أتوقف عن الحرب إلا إذا تم وضع رأس آخر شيشاني في متحف" وهو يشبه الشيشانيين أيضاً بالأفاعي السامة قائلاً : "عندما تصاب الأفعى بالذعر فلن تشعر بعضة الناموسة" "والباعوض حسب عقلية يارمالوف هم أمم القوقاز الأخرى، وتصديقاً لكلماته فإن يارمالوف والذين يشبهونه لم يدخروا جهداً في محاولاتهم

سحق الشيشانيين، ونتيجة لحملات الإبادة الجماعية تلك التي قام بها هؤلاء الرجال على مدار القرون ثم تدمير مئات القرى والمدن تماماً وعندما احترقت الأرض تم ذبح مئات الآلاف من الناس الآمنيين المسالمين، ففي موقع إحدى هذه القرى دادا يورت التي تم تدميرها تماماً من قبل القوات الروسية بقيادة يارمالوف في 14 من سبتمبر 1891 يوجد نصب تذكاري لكل الشيشانيين الذين تم القضاء عليهم، فقلعة جروزني التي بنيت مدينة جروزني حولها تقف على موقع تم شغله مسبقاً بمجموعات من السكان الشيشانيين والذي دمره الروس ومع ذلك لم يستطع حتى تدمير كل المدن والقرى وقتل النساء والأطفال والطاعنين في السن النيل من روح المقاومة الشيشانية

فأئمة داغستان الأوائل غازي محمد وحمزة كانوا غير قادرين على تولي قيادة القوقاز فاغتال الروس الإمام الأول وتم اغتيال الثاني على يد جماعات لها مصالح ذاتية من بين أهل قريته الذين خافوا من أن تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية سيكون مضراً بهم والإمام الثالث شاميل الذي خانه أيضاً أبناء بلده وجرح في المعركة وهرب إلى شيشنيا حيث تم استقباله بترحاب حار، وتم تنصيبه إماماً لشيشنيا وداغستان في 1834، وكان هذا بداية أحد فصول تاريخ القوقاز العظيم، وأدت حركة التحرير هذه التي حركها شاميل إلى ما يسمى في التاريخ بالحرب القوقازية

إن قادة الجهاد العسكريين البارزين الذين عهد إليهم بالأمر أثناء عصر الإمام شاميل كانوا قادة لشعب الشيشان وكانوا ضمن آخرين عديدين قد خدموا قضيتهم بتميز مثل تاشو حاجي وشعيب مولا وتيالخج وبويصر وكان هناك العديد من الانتصارات في ميدان المعركة أثناء الحرب القوقازية التي فيها هزم هؤلاء وقادة شيشانيون بارزون آخرون بجدارة أعداءهم الروس، وعانى القليل من الروس من هزيمة أكثر إرباكاً من فيلدمارشال فورونتسوف فلقد أنقذ الفيلدمارشال فقط نفسه وذلك بتخليه عن جيشه المهزوم والاختفاء في سلة تاجر

وأثناء هذه الفترة من الصراع حاول الإمام شاميل أن يستغل مساعدة تركيا العثمانية لنصرة القضية وكانت تمثل قلب العالم الإسلامي في ذلك الوقت باعتبارها قوته الحقيقية فقط ولكن يتلق الإمام أية مساعدة على الإطلاق طوال حرب مضنية مع روسيا استمرت 25 سنة، ونتيجة لذلك تمت هزيمة الإمام في النهاية وأخذ شاميل العظيم أسيراً ورغم أن روسيا أعلنت هزيمة القوقاز إلا أن الحقيقة أنه حتى نفس اليوم وبعد بمائة وأربعين عاماً فإن إخضاع القوقاز النهائي لا زال يؤرقهم ويستعصي عليهم، وبرغم ذلك فترتب على هذه الهزيمة ضياع جزء ذي أهمية من الأراضي كان من قبل في حوزة الخليفة المسلم ليمتلكه الكافرون ولم تكن هذه صفعة للشيشانيين أو شعوب القوقاز الأخرى فقط بل كانت أيضاً صفعة أضعفت المسلمين في كل مكان

وبعد أن ظل الإمام شاميل أسير القيصر لمدة عشر سنوات فقد سمح له بالمغادرة قبل موته لزيارة وطن الرسول، المكة المكرمة ومنح السلطان التركي شاميل شرف مقابلته عندما وصل إلى استانبول، وقيل أنه لما ناوله السلطان يده قال الإمام شاميل : "لقد انتظرت في القوقاز 25 سنة لتمتد إلى هذه اليد" واليوم يستحق كل العالم الإسلامي تأنيباً وتوبيخاً مشابهاً

وتلى الهزيمة في حرب القوقاز أن بعض الشيشانيين - لعدم رغبتهم في أن يعيشوا في ظل حكم الكفار قد رحلوا إلى تركيا والبعض إلى سوريا والأردن، ومع ذلك فإن الذين ظلوا يواصلون بمثابرة وعناد الكفاح لتحرير أرضهم، قد هبوا في ثورة سنة 1861 ضد الحكم الروسي بعد سنتين من هزيمة الإمامة في الحرب القوقازية، وثاروا مرة أخرى في عامي 1878، 1879 ومرة أخرى

من 1917 حتى 1919 وكانت كبرى هذه الثورات في عامي 1878، 1879 تحت قيادة الإمام علبج ألدنيَ وتم قمع الثورة بوحشية وأعدم أحد عشر من قادتها في جروزني

وحيث أن الشيشانيين يحاربون ويناضلون بمفردهم فقد هزمتهم مرة أخرى قوة ووحشية الاستعمار الروسي وذلك عندما نهضوا مرة أخرى في ثورة 1917 – 1919، ولقد كان نتيجة الثورة البلشفية سنة 1917 أن أصبحت الإمبراطورية الروسية الاتحاد السوفيتي، وحيث أن الاتحاد السوفيتي قد قام بخداع عدة شعوب تناضل من أجل حريتها الوطنية لتأييده ولكن بالرغم من أن البلشافيين عرضوا احتمال استقلال وطني تام فإن الحقيقة كانت إقامة حكم أكثر ظلماً وإرهاباً، ومما هو أسوأ من ذلك فإنه حكم إفتخر بإعلان نفسه ملحداً

ومع ذلك استمر الشيشانيون في كفاحهم واندلع الكثير من الثورات أثناء العشرينات والثلاثينات والأربعينات، وقمع البلاشفة بقسوتهم المعتادة هذه الثورات وفي نفس الوقت قام البلاشفة بحملة قتل وسجن كان من أهدافها القضاء على أذكى وأفضل من في الأمة الشيشانية، وكان المستهدف بوجه خاص القادة الدينيين والمؤسسات الدينية ففي سنة 1937 تم رمي 15000عالم ديني ومفكر في جروزني بالرصاص، وتم نفي العديد من الآخرين إلى سيبريا أو سجنهم وسيأتي أسوأ من هذا، وأثناء أيام فبراير 1944 الكئيبة الباردة تم نفي الأمة الشيشانية بالكامل وبأعداد غفيرة إلى كازاخستان وأقاليم الآسيا الوسطى في الاتحاد السوفيتي، وتم تنفيذ النفي الجماعي لشعب كامل بالغدر المعتاد أثناء نهاية الحرب العالمية الثانية وقبل أن ينفذوا فعلتهم الشنعاء بشهر تم وصول القوات السوفيتية من الجبهة وصولاً ظاهرياً مزعوماً للراحة ولتعويض الخسائر، وتم توزيعهم على الأسر الشيشانية بواقع إثنين أو ثلاثة ضباط ورجال لكل أسرة، وعامل الشيشانيون ذوو النية الحسنة ضيوفهم بكرم، فقدموا لهم الغذاء وسهروا على راحتهم وقاموا على خدمتهم، ولجعل ما يلي أكثر غدراً وخيانة كان هناك 30000 من الشيشانيين يخدمون في الجيش السوفيتي في ذلك الوقت بما فيهم العديد الذين جعلهم أبطالاً على سبيل الديكور

وفي صباح 23 فبراير 1944 تم دعوة كل السكان الذكور في الشيشان لاجتماعات وتجمعات في قرى ومدن شيشانيا وقيل لهم أن هذه الاجتماعات والتجمعات للاحتفال بيوم الجيش السوفيتي، وحيث كانت تلك الجموع غير مسلحة ومحاطة بالقوات تم اخطارهم بأنهم أعداء الشعب وأنه سيتم نفيهم، وعندئذ تم فوراً ترحيل الرجال كالقطيع إلى محطات السكك الحديدية حيث حملوا فوق عربات نقل البضائع التي كانت في انتظارهم لأخذهم إلى المنفى وتم إعطاء النساء والأطفال الذين بقوا في البيوت في ذلك الصباح من 15-30 دقيقة للتجمع وتم السماح لهم فقط بأن يأخذوا ما يمكنهم حمله في أيديهم، وتم نهب كل شئ ذي قيمة مثل النقود والمجوهرات إضافة إلى كل الأيقونات الدينية والحلى من أصحابها، وتم إطلاق النيران ببساطة على كبار السن والمرضى بما في ذلك المرضى بالمستشفيات والعجزة والكهول

ومن المعروف الآن أنه يتم قتل كبار السن والنساء والأطفال في شيشنيا خاصة في القرى النائية والبعيدة وهذا ببساطة سببه أن الروس قرروا أنه من المستحيل إحضارهم للترحيل من محطات السكك الحديدية في الوقت المحدد

ففي قرية خيباخ وحدها تم قتل 700 شخصاً في ليلة واحدة بما فيهم أطفال حديثو الولادة فتم جمعهم في مبنى واحد وقيل لهم أنهم سوف ينقلون إلى جروزني في الصباح التالي وفي أثناء الليل تم ملء المبنى الذي يقيمون فيه بالقش وأغلق قبل إضرام النيران به وحتى هؤلاء الذين تمكنوا من

الفرار من النيران جنود متربصون لهم بخارج المبنى بالمدافع الرشاشة، فتم حصد حوالي300 شخصاً بالنيران أو تم إغراقهم في بحيرة جالا نشوجسكوي، وفي مستشفى مقاطعة أورس – مارتان تم قتل أكثر من 40 شخصاً بالحقن وتم دفنهم في قبر جماعي، وتعد مواقع الدفن الجماعية هذه التي تحظى بالصمت على الجرائم التي ترتكبها الروس- بالمئات وحتى برغم ما تمت الإشارة إليه فقد تمكن بعض الشيشان من الهرب من المجزرة وبقوا ليستمروا في نضالهم في الوقت الذي يوجد رفاقهم في المنفى

واحتل الدخلاء من الروس منازل الذين نفوا من الشيشان وتم ضم عدة أحياء ومناطق للجمهوريات المجاورة مثل جورجيا وداغستان وأوسيتيا وفي جروزني تم عمل تمثال تذكراي للجزار الذي ذبح الشيشان يرمولوف وتم حفر كلماته البغيضة في حق الشيشان على قاعدة التمثال

فلقد قرر الروس محو كل دليل يدل على أن هناك أرضاً شيشانية فتم تفريغ المكتبات ودور المحفوظات من كل المخطوطات والمطبوعات الأدبية والعلمية والتاريخية وذلك بحرقها أمام الجمهور ودمروا أيضاً المؤلفات والأعمال الإسلامية للشيوخ والأئمة والمفكرين الشيشان، بفعلتهم هذه وهم يدمرون فعلاً كل ثروات الأمة الثقافية والفكرية، ويعملون هذا بدمير مخزون الأمة وتراثها من الفكر والحكمة التي تجمعت على مدى قرون، وكل ما نجا من ذلك بعض الاشياء التي حملها بعيداً الجنود الروس الفضوليون

وامتد التعهد بإزالة كل سجل الأمة الشيشانية حتى لإزالة أي ذكر للشيشان في الكتب الروسية، فتم إزالة أي ذكر للشيشان في كتب التاريخ والأدب والفن وتم تعديل وتغيير الكتب المدرسية ومؤلفات الشعراء والكتاب الآخرين ووضعت كلمات أخرى كلمة بدلاً من الشيشان فبإيجاز واكبت الإبادة الثقافية الإبادة المادية، لذلك فإن البشر الذين خلفهم الخالق الأعظم تم القضاء عليهم وإزالتهم من على سطح الأرض ببساطة لأنهم لا يتمشون مع مفهوم العبودية للنظام والحضارة في روسيا

ورغم ذلك فإن الشيشان الذين تم نفيهم لم يستسلموا للمصير الذى دبر لهم، ولقد شهد الكاتب الروسي ألكسندر سولجينيتسن بسلوك وتصرف الشيشان في أماكن نفيهم وسجنهم، فقد نقل في التقارير كيف أن الشيشان تصرفوا بأمانة وشرف أثناء محاكماتهم المرعبة فكانوا متمسكين بوفاء بتراثهم كأمة حرة مستقلة، وكان مصدر قوتهم وصدق عزيمتهم الرئيسي حتى في وجه الظروف غير الإنسانية بالمرة – هو بالطبع إيمانهم بالله أنه سوف يمدهم بسبل النجاة والخلاص

وبعد 13 سنة من النفي عاد الشيشان إلى وطنهم في 1957 ولكي يعودوا كانوا مضطرين أن يبيعوا مانزلهم التي بنوها في أماكن المنفى بلا مقابل تقريباً وعلاوة على ذلك فقد وجودوا أنهم مضطرون لشراء منازل لهم عندما عادوا لشيشان، ويقول بعضهم أن عودتهم إلى أرض تم طردهم منها من قبل لمدة طويلة يعتبر كنفي ثان، ومع ذلك فإن الشيشان – بعون من الله – قد نجوا وليس فقط هذا بل استردوا سيادتهم بعد 30 سنة على دولة مستقلة حرة

ففي 1991 كنتيجة لنضال شعب الشيشان من أجل التحرير الوطني تم إقامة وتأسيس جمهورية أشكيرية، وبعد نهاية الحرب مع روسيا التي استمرت عامين من 1994 – 1996 تم إعلان الشيشان رسمياً جمهورية إسلامية، وتم إدخال قانون الشريعة الإسلامية في جمهورية اشكيرية الشيشانية وذلك بقرار رئاسي في 8 من يوليو سنة 1996 وهذا القانون أكد أيضاً تنفيذ قانون الشريعة

الجنائي الذي سرى مفعوله في 12 من سبتمبر من نفس السنة، وهذا بالطبع قد ألغى كل القوانين الجنائية والمدنية التي لا تتمشى مع القوانين الشرعية، وأيضاً صدرت قرارات رئاسية تالية تجعل حكومة الدولة خاضعة لمعايير القوانين الشرعية وبحلول ديسمبر 1996 تم التحول الكامل لكل النظام القضائي

وفي الانتخابات العامة التي تم الإشراف عليها دولياً في 27 من أكتوبر 1991 تم انتخاب جوهر دوداييف رئيساً لجمهورية اشكيرية الشيشانية، وحيث أنه سعى إلى الاستمرار في العمل على توحيد القوقاز قد تم اغتياله في 21 من إبريل 1996، واستحق عن جدارة لقب إمام القوقاز اعترافاً بجهوده

وسوف نقوم بعد قليل بنظرة أكثر تفصيلاً في آخر أجزاء تاريخ نضال الشعب الشيشاني في أحداث حربين له ضد روسيا والتي كانت استمراراً بالطبع لقرون طويلة من عدوان الروس الموجه ضد الإسلام، وقبل أن أقوم بهذا دعنا ننظر بإيجاز للحالة الاقتصادية، لجمهورية الشيشانية اشكيريا

إن مساحة الشيشان الممتدة 15000 كم2 تتنوع في المناخ فنصف مساحتها تتكون من منطقة بها جبال تغطيها الغابات الكثيفة وتتمتع بوفرة من النباتات والحيوانات، وهذه الجبال تغطيها شبكة من الأنهار التي تنساب من المرتفعات، ومن هذه الأنهار الرئيسية أنهار تيريك و سونجا وأرجون البرية سريعة الجريان، وعلى طول شواطئ هذه الأنهار توجد قرى ومدن شعب شيشينا الجبلي وفي مقارنة واضحة بالجبال فالسهول الشيشانية ثرية بالأرض الخصبة التي تساعد على زراعة تنوع هائل من نباتات الحبوب والفواكه والخضروات

وإضافة لثروتها الزراعية فالشيشان دولة غنية بالنفط وتنتج نفطاً يعتبر ذو نوعية عالية جداً في السوق العالمي، وهي تنتج أيضاً مجموعة من المواد الخام الأخرى التي تستعمل في إنتاج مواد البناء، فقبل إندلاع الحرب الشيشانية الروسية في 1994 – 1996 كان يوجد 3 معامل تكرير للبترول ومصنعان لمعالجة الغاز في الشيشان وكان يوجد أيضاً مصنعان للكيماويات والعديد من مصانع المعلبات والمصانع التي تنتج الأدوات الطبية ومصانع الطاقة والماكينات الصناعية

وكان يخدم القاعدة الاقتصادية في الدولة مجموعة من المدارس الفنية ومعاهد التدريب المهني ومؤسسات أخرى عديدة وكلها صممت لمساندة التنمية للاقتصاد القومي ولتقدم التربية والتعليم والعلم والثقافة، وفي هذا الخصوص كان تحظى مؤسستا أكاديمية العلوم وقاعة الرئيس العلمية الأدبية

ومثل الشيشان يأتي الناس الميسورون من الجمهوريات المجاورة لشراء البضائع المستوردة ولممارسة قدراً ضئيلاً من الحرية التي حققها الشيشان وكذلك ليشاهدوا شيئاً مما تم بناؤه، ولقد تم تدمير كل هذا بالطبع بما يشنه الروس من قصف لا يتوقف بالطيران والمدفعية، وتم إختزال موارد البلد الصناعية إلى كومات من الأنقاض والمعدن المكسر، وكانت المباني المدمرة وحفر القنابل قبوراً للعاملين الآمنين الذين دفنوا أحياء عندما تتساقط عليهم القنابل، وتم تماماً تدمير جروزني التي كان بها سابقاً نصف مليون ساكن كما تم أيضاً تدمير عشرات من المدن والقرى، ويقف حطامها دليلاً وشاهداً على بربرية روسيا المتزايدة، وفي الوقت الحالي تم تدمير 60% من مجموع المنازل بجمهورية اشكيرية الشيشانية وتم قتل أكثر من 150000 شيشانياً وتم إصابة عشرات الآلاف منهم بالشلل والعجز ومعظمهم تبقى إصابته طوال حياته، وتعتبر المذبحة التي نفذها الجيش الروسي على

شعب قرية ساماشكا مثلاً واحداً على مدى وقسوة البربرية الروسية غير الشرعية ففي ساماشكا تم حرق النساء والأطفال وكبار السن بالنابا لم حتى الموت

وعلاوة على حملات الإبادة والتدمير التي نفذها الروس فإنهم حولوا أرض شيشينا التي احتلوها إلى سجن، فتم فقد الآلاف من الشيشان فببساطة يقبض عليهم ويؤخذون من بيوتهم أو يتم القبض عليهم في الطرقات وتم إختفاء هؤلاء في نظام روسيا الجهنمي في معسكرات التصفية

وتم استعادة الاستقلال الوطني للشعب الشيشاني دون إراقة الدماء على أساس القانون الدولي وسبب هذا أنه أثناء سنوات الاستقلال الثلاث 1991 – 1994 لم تتخذ روسيا إجراء خطيراً على نطاق واسع ضد جمهورية الشيشان، ففي البداية حددت نفسها في ممارسة الضغط الاقتصادي والسياسي مستخدمة التخريب مع الإبتزاز والاجراءات الإرهابية ضد قادتها، وكانت النية إضعاف البنية التحتية السياسية والاقتصادية للدولة، وفشل هذا النهج عجل بالتهور في إتخاذ القرار الروسي لغزو دولة ذات سيادة مستقلة وهي ما أصبحته الشيشان رغم حقيقة أنها لا زالت تنتظر الإعتراف ممن يسمون بالمجتمع الدولي

وفي صباح يوم 26 من نوفمبر 1994 مبكراً هاجمت وحدات من الجيش الروسي جروزني ودخلت آلاف من القوات تدعمها أرتال مدرعة تتكون من فئات الدبابات والمركبات الحربية المدنية ومن الاتجاهات الأربعة والهجوم الذي كان يدعمه السلاح الجوي قد تمرد ضده وقاومه بكل بسالة كل المدافعين الشيشان، وحظيت القوة العسكرية بالخزى والعار أمام العالم بأسره حيث احترقت الدبابات الروسية كعلب الثقاب في شوارع العاصمة الشيشانية وتم أسر مئات الضباط والرجال الروس وفي ذلهم وانكسارهم قد تحدثوا عن كيفية وسبب إرسالهم للشيشان

وكان رد الفعل الرسمي من موسكو إنكار أسر جنودهم مع أن هذا لم يمنعهم من إرسال وفد من الممثلين للتوسل من أجل عودة جنودهم المأسورين فلم يخجل قادة الكثير من القطاعات السياسية في برلمان الاتحاد الروسي ومجلس الشعب بالدولة (الدوما) بما فيهم جيري نوفسكي و يوفلينسكي وآخرون من أن يطلبوا من دودابيف إظهار الرحمة تجاه الذين تم أسرهم، وأطلق دودابيف من جانبه الجنود الأسرى مبيناً نبلا عظيماً وهادفاً لإظهار النية الطيبة ومع ذلك فإن النبل مفهوم فيما يبدو لا تفهمه روسيا بشكل صحيح، فواصلت القيام بحرب صليبية ضد شعب الشيشان بدعم مما يسمى بالمجتمع الدولي وهوت روسيا على هذه الجمهورية الصغيرة بكل قواتها العسكرية في ليلة 31 من ديسمبر 1994، وفي اليوم التالي شنت مرة أخرى هجوماً على جروزني ومرة أخرى مرت بتجربة الهزيمة النكراء، وكانت الحرب التالية – التي تباهى الجنرالات الروس في أن تنتهي في ساعتين – قد استمرت لسنتين ونتج عنها استعادة الشيشان روح القتال التي اشتهر بها أجيالهم السابقة الذين قاوموا الغزاة بشكل عظيم مشرف وأيضاً ألهمت الحركة اتجاه الجهاد بين العديد من بقية شعوب العالم الإسلامي

وتم إجبار روسيا على سحب ما يزيد على نصف مليون من قواتها من أرض الشيشان بعد الخزى والعار العسكرى الذي لحق بها وتلى هذا أن أعلنت روسيا نيتها عن حل أي مشكلات أو نزاعات قد تنجم بالطرق السلمية، وفي 12 من مايو 1997 وقعت اتفاقية رسمية للعمل بهذا ومع ذلك فإنها كانت تعد في كل لحظة نفسها لحرب تكون أشد ضراوة وبلا رحمة، وباستعمال مواردها الكبيرة فإن الزمرة الروسية الحاكمة التي يمكن أن يشك القليل في شخصيتها الإجرامية شنت وابلاً قاسياً من الدعاية المليئة بالافتراءات والتي لا أساس لها ضد جمهورية الشيشانية اشكيريا، وفي هذا

استغلت وجودها في الدوائر الدبلوماسية الدولية وكذلك وصولها لصناعة الأعلام الدولية إلى أقصى حد ممكن، وكانت روسيا قادرة بهذه الطريقة لكسب موافقة بما يسمى بالمجتمع الدولي على هجومها على الشيشان وليس فقط هذا فكانت قادرة على كسب المساعدة المالية

وبدأت الحرب في سبتمبر 1999 وبالطبع لم تكن حرباً جديدة ولكنها فقط استمرار لحرب يشنها الروس على الشيشان منذ 450 سنة، ومع ذلك فإنها حرب سوف تنتهي إن شاء الله وبإرادته بالنصر لصالح المسملين لتضعنا على الطريق نحو الحرية العالمية حيث تتحرر الإنسانية من القوى الشيطانية وتعود إلى رحمة الله ومنته

الفصل الثاني

إرهاب الدولة الروسية في شيشانيا

الحقــــــــــائق

إن الإبادة الجماعية ضد شعب الشيشان والتي قامت بها العصابة الإجرامية التي تتولى السلطة في الاتحاد الروسي يتم تبريرها باستخدام مصطلحين يتم تلفيقهما بشكل يدعو للسخرية : فالهجوم الضاري الوحشي في 1994 – 1996 فتم كي يتم تحقيق : "استعادة النظام الدستوري في جمهورية الشيشان" أما الهجوم الضاري الحالي الذي شن في 1999 يشار إليه "كعملية ضد الإرهاب" وبالطبع فإنه في الواقع إن هجومي الإبادة هذه هما جزء من المحاولة المستمرة لمحو وإبادة الشيشان كأمة وكشعب، وفي أثناء الست سنوات الأخيرة فإن هذا لم ينفذ فقط بالموافقة الصامتة من أولئك الذين يقودون ما يزعم بأنه المجتمع الدولي وذلك عن طريق منظمات ترأسها الأمم المتحدة بل حظيت عملية الإبادة بالمساندة المباشرة، وعندما يفعلون هذا فهم يضيفون صفحات قاتمة من الرعب والقسوة لتاريخ البشرية وليس ممكناً أن نحيط بالأمر إحاطة شاملة ولكننا هنا سوف نبدأ بسرد وعد بعض الحقائق المعروفة بوجه عام والخاصة بالحربين الآخرتين التي شنتهما روسيا وكذلك الذين ساندوها ضد الشعب المسلم في شيشينا وضد دولة الشيشان

1-فأثناء حرب 1994 – 1996 تم قتل ما يزيد على 100000 شخص إضافة إلى الآلاف منهم الرضع والأطفال قد تم ترويعهم وتشويهم وتحولوا لمعاقبين وحتى الآن حوالي 1500 شخص ما زالوا مفقودين تم القبض عليهم في الأراضي التي يحتلها نظام قطاع الطرق الروسي وتم أخذهم إلى معسكرات التصفية، فلقد تم أخذهم دون مبرر ودون شرح دون وحتى تلفيق جريمة لهم

2-حطمت المدفعية والصواريخ الروسية أكثر من نصف منازل جروزني في يناير 1995، وتم تخريب البنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية ليس فقط في جروزني في كل البلد وتم تدمير كل مصانع تكرير البترول الثلاثة ومصنع استخلاص الغاز ومصنعي التعليب ومصنع المعدات الطبية وكل مؤسسات البحث العلمي كما تم تدمير كل محطات توليد الكهرباء الأربع والمحطات البديلة ومحطات الترحيل النائية، ولم يستثن من التدمير أيضاً نظام الاتصالات ونظام المواصلات بالدولة وكذلك تم تدمير المطار ومحطات وخطوط السكك الحديدية والطرق والجسور التي تعبر الأنهار الرئيسية، وكانت المؤسسات التربوية والتعليمية هدفاً كذلك للقصف والتدمير ففي جروزني تم تدمير معهد البترول وجامعة الدولة ومعهد التربية والتعليم والمعهد الإسلامي إضافة إلى تدمير عشر مدارس للتدريب الفني والتقني وثلاثين مدرسة للتدريب المهني وأكثر من نصف مساجد المدينة والمعاهد الدينية والمدارس الثانوية ورياض الاطفال وكل هذه المباني سويت بالأرض، ولم تنجو من التدمير أيضا ًكل المرافق الطبية كالمستشفيات والعيادات وغيرها وتم تلويث الأنهار والينابيع الطبيعية في الريف كما تم تقويض واقتلاع الغايات وتدمير الطرق بها وتم تحويل أكثر من 40% من أرض الشيشان الصالحة للزراعة والخصبة إلى أرض خراب وتم إمطارها، بالألغام وتم تلويثها بالكيماويات

3-تم تدمير نصف مدينة أرجون وهي ثاني المدن الكبرى في الشيشان0

4-تم تدمير العديد من القرى تماماً وتم تدمير البعض مثل باموت واستاري أتشخوي وغويسكوي وياندي ويارش – ماردي وزوناخ وهذه تم مسحها وإزالتها تماماً من على سطح الأرض

5-أثناء الحرب تم تدمير قرية ساماشكا مرتين ففي المرة الأولى نفذ الغزاة الروس عملية خاصة مهددين بالقضاء على السكان المدنيين، ووفق مصدر مخابرات عسكري شيشاني فإن القائد الروسي رمانوف ويعرف أيضاً بإسم أنتانوف الحرب كان قد أمر بالعملية وقادها لذلك فإن الله سبحانه قد عاقبه على جرائمه كما عاقبه المجاهدون الشيشان وذلك حين تم قتله في إنفجار عنيف، وأثناء مجزرة ساماشكا تم قتل 108 شخصاً بوحشية والبعض قد دفن حياً أو تم تقطيعه وكلهم كانوا من خيرة المواطنين الملتزمين بالقانون وكان منهم النساء والأطفال وكبار السن، وتم إثبات وبرهنة حقائق هذه الوحشية من قبل المنظمات الإنسانية ومنظمات حقوق الإنسان ونالت شهرة دولية ومع ذلك وككل الجرائم الأخرى التي لا تحصى والتي ارتكبها الروس مرت هذه الجريمة أيضاً دون عقاب

6-في حرب 1994 –1996 مثل الآن فكل يوم يمر تظهر حقائق جديدة خاصة بالجرائم التي يرتكبها الجنود الروس هؤلاء الجنود الذين يقتلون دون أدنى تمييز، حيث تم إعدام أسر كاملة في الحربين على يد جنود روس مخمورين تعودوا النهب يداهمون الناس ليلاً طالبين النقود الفودكا والسجائر

7-تم قذف الأسواق ومواكب الجنازات وأية تجمعات أخرى بالصواريخ وقذائف المدفعية، فلقد قتل أكثر من 150 إنساناً نتيجة لقذف سوق قرية شالي وتم قذف سوق قرب قرية ميسكيريورت مرتين ونتيجة لذلك قتل 30 شخصاً، وتم مهاجمة قوافل اللاجئين أيضاً بقذائف الطائرات والمروحيات وكان الهدف من كل ألوان الهجوم والذبح دون تمييز للمدنيين الأبرياء هو ترويع الشعب الشيشاني وشل حركة المجاهدين الشيشان

8-توقفت الحرب بوساطة منظمة الأمن والتعاون الأوربي وتم إقرار هدنة ففي موسكو في 12 من مايو 1997 وقع رئيساً الدولتين اتفاقية سلام بين الاتحاد الروسي وجمهورية اشكيرية الشيشانية والتي تأسست على مبادئ القانون الدولي ومع ذلك فإنه بالنسبة لحالة العلاقات الحقيقية بين الجانبين فإن شيئاً لم يتغير بل على النقيض أصبح الشعب الشيشاني خاضعاً لأشكال جديدة من العدوان الروسي وتم تشديد الحصار الاقتصادي والعسكري على دولة الشيشان، وزادت الجهود الروسية لعزل الشيشان سياسياً، وفي الشيشان نفسها وكذلك في الأراضي المجاورة انشغل الروس في حرب إرهابية مستترة مستعملين موظفين من أصول شيشانية يعملون فى الخدمات الروسية السرية والوحدات العسكرية الخاصة، واهتمت الخدمات السرية الروسية بوجه خاص بتمزيق خدمات الأمن الوطني الشيشانية وأجهزة وزارة الشئون الداخلية وإيقاع الفوضى في صفوفها وتشويه سمعتها ونظمت الخدمات السرية الروسية مع وحدات عسكرية خاصة تعمل في مناطق الحدود عمليات قتل وخطف ولصوصية وتخريب لممتلكات الدولة الشيشانية وسعت روسيا بكل الوسائل مستخدمة مواردها الضخمة لخلق صورة الشيشان كدولة خطيرة خارجة عن القانون وفي بداية 1999 تم التمهيد لعدوان جديد فتحركت القوات الروسية إلى الحدود بادئة سلسلة من الاستفزازات والتحريض الغرض منها دفع الشيشان إلى الثأر والانتقام الذي يمكن عندئذ استخدامه كمبرر للعدوان الروسي

9-في سبتمبر 1999 بدأت روسيا حرباً جديدة شاملة وكانت الهجمات الجوية الأولى ضد القرى الواقعة على الحدود الشيشانية الروسية، ففي الليلة الأولى قذفوا القرى في إقليم نوجاي – يورت وتسبب ذلك في قتل أكثر من عشرين وإصابة أكثر من ثلاثين مدنياً، وتم أيضاً تدمير المدارس وعشرات البيوت في هذه الهجمات وتبع ذلك هجوم مماثل ومتكرر على نوجاي – بيرت وشيل كوفسكوي وشاروي وتجيبرلوي وشاتوي وفيدنو وأورس – مارتان و أتشخي – مارتان وجروزني والعديد من القرى والمدن الأخرى

وتشير الحقائق التالية إلى المعاناة والضياع التي مر بها وعانى منها السكان الشيشان أثناء هذه الهجمات، ففي مساء سبتمبر 1999 تم قتل 28 وإصابة 20 شخصاً في إقليم نوجاي – بيرت نتيجة الغارات الجوية الأولى، وكان معظم هؤلاء من النساء والأطفال ونتج عن القذف بالقنابل لمنزلين أن قتلت كل الأسر بهما وتم قتل وإصابة العديد الآخريين أيضاً في نوجاي – بيرت ونتج عن هجوم تال على نوجاي – بيرت في نهاية سبتمبر قتل ثمانية وإصابة عشرة أشخاص وفي ستاري سونجي تم قذف مدرسة وقتل ثمانية تلاميذ وفي هجوم تال قتلت إمرأة وأربعة أطفال وفي نفس الوقت تم الهجوم على إلستانجي وقتل 32 شخصاً منهم أكثر من10 من الأطفال في سن ما قبل المدرسة، وكان المؤلم أن 6 من هؤلاء الأطفال من أسرة واحدة فيهم طفل رضيع في ذراعي أمه وتم جرح 40 آخرين فيهم الكثير من النساء وكبار السن

وفي أورس مارتان في بداية سبتمبر قذائف قتلت الصواريخ في هجمات متكررة 29 شخصاً منهم 6 أطفال تحت السادسة أصغرهم عمره ثلاثة شهور فقط وذلك في اليوم الأول من الحرب وفي اليوم الثاني قتل ثلاثون آخرون وجرح وأصيب العشرات وفي أكتوبر قتلت الصواريخ الموجهة 13 شخصاً وجرحت أكثر من 21وفي نوفمبر نتج عن هجوم آخر بالصواريخ قتل سبع نساء بين سن 13 ، 21 كما أصيب عشرة آخرون في الهجوم وفي بدايات أكتوبر تم قذف قرية بينا ونتج عن ذلك عدة إصابات وقتل 7 أشخاص

وبالطبع فإن جروزني كانت هدفاً لقذائف القنابل والمدفعية ليل نهار دون توقف وفي أثناء هجوم واحد على السوق المركزي تم ضربه بصواريخ أرضية وقتل 152 تاجراً وزائراً في السوق كما تم إصابة 300 شخصاً آخر وتم أيضاً قذف مستشفى الولادة المركزي في نفس الهجوم ونتج عن ذلك قتل العديد من الأشخاص وتم قذف المسجد المحلي في منطقة كالينن بجروزني ونتج عن ذلك قتل 4 أشخاص وجرح العديد الآخرين، وفي بداية أكتوبر أيضاً نتج عن الهجوم على قرية شاروي مقتل سبع وعشرين شخصاً وجرح أكثر من 20 آخرين وفي بداية نوفمبر هوجم طابور من اللاجئين على الطريق من روستف إلى باكو الذي يمر في الشيشان ولقد شهد هذا الهجوم ممثلو اللجنة الدولية للصليب الأحمر الذين كانوا برفقة هذا الطابور وقتل عشرات من الأشخاص كما جرح آخرون وتم تنفيذ العديد من الهجمات المماثلة ضد طوابير اللاجئين على نفس الطريق بما في ذلك قرب الحدود الأنجوشية وبالمثل قتل وجرح العشرات أغلبهم من الأطفال والنساء

وأيضاً في نوفمبر 1999 نتج عن قذف جوي قرب محطة حافلات في جروزني قتل أربعة أشخاص وإصابة عشرة آخرين ومن المظاهر المألوفة في الحرب الروسية في الشيشان الهجوم على المقابر والأسواق والأماكن الأخرى حيث يتجمع الناس

وفي بداية شهر يناير 2000 نتج عن القذف بالصواريخ على تجمعات في سوق في مدينة شالي مقتل 200 شخص وجرح عشرين آخرين وفي خلال شهور أكتوبر ونوفمبر وديسمبر كانت قرية ميسكت في إقلمي ناجوي – يورت هدفاً لتدريب المدفعية الروسية وفي إحدى هذه الهجمات تم تدمير المسجد القديم وأثراً معمارياً إسلامياً محلياً وفي الحقيقة كانت المساجد بوضوح هدفاً للقذف حيث يؤمها الناس فكانت نقاط تجمع كما دمرت المساجد عن عمد في أكثر من مائة قرية في هجوم بالصواريخ والمدفعية ودمرت آلاف المنازل أكثرها منازل جميلة كان يتم إختيارها للتدمير ومن بين 250 قرية في جمهورية الشيشانية اشكيريا كانت أكثر من 200 قرية عرضة للإرهاب والرعب

والتدمير الذي سببته هجمات الصواريخ والمدفعية الروسية وكان العديد من هذه القرى هدفاً لهجمات مكررة وعانت من تدمير مرعب وضياع للحياة

وكان الناس المسافرون على الطرق هدفاً للقصف أيضاً وأصبح التنقل داخل الشيشان لأي سبب من الأعمال المنطوية على مخاطر جمة وكما قيل لم يستثن اللاجئون سواء في وسائل نقل أو مشاة من القصف وكان الناس الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم يقتلون في طرقات الشيشان حيث كانوا هدفاً جوياً أو أرضياً ونتج عن هجوم بالمدفعية في منطقة ناؤورسك قتل 42 مسافراً في إحدى الحافلات وفي منطقة ندتيريتشني قتل عشرون شخصاً بشكل مماثل

ولقد تم تنفيذ المثالين الآخرين من العدوان الروس والعديد من الهجمات الأخرى التي تم توثيقهما قبل أن يبدء الروس عملياتهم على نطاق واسع وبعض تلك الهجمات تتم تنفيذها من قبل أن تعبر القوات الروسية بالفعل إلى الأراضي الشيشانية وكان غرضهم بالطبع ترويع وتخويف السكان المدنيين وهذا ببساطة الإرهاب بمعنى الكلمة

وعند عمليات الهجوم العسكري التي تمت على نطاق واسع كان قصف الأماكن المزدحمة والأهداف المدنية خاصية للعمليات الروسية وأصبح العالم يشهد على نتائج الإرهاب الروسي الذي يمارسه على نطاق واسع حيث أن قرى بأكملها سويت بالأرض بشكل يوضح أن ما يحدث حملة مخطط لها من التدمير البشع

ومن بين عشرات القرى التي دمرت هي قرى أورس مارتن وألخان يورت وسعدي كوتار وجخي تشو

ولم يقصف الروس فقط بالمدفعية والقنابل بل أيضاً يستعملون أشكالاً مباشرة من الإرهاب والرعب، فدخلت القوات الروسية القرى والمدن المجاورة إثر عمليات تطهير تم فيها الإنخراط في القتل والاغتصاب وكانوا ينهبون كل شئ تقع أيدهم عليه، ويشجعهم في هذه العمليات مشاهد السلب المتكررة ففي هجمة واحدة في ألخان – يورت وفي واحدة من هذه العمليات فقط تم قتل 40 شخصاً بوحشية وذلك حسب تقارير أجهزة الإعلام العالمية، وكانت الحالة المرعبة المروعة التي قتل بها ضحايا هذه العمليات الكاسحة موضوعاً لاحتجاج مكتوب من الناجين تم تقديمه للأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى

ولقد شاهد ملايين الناس قتل القرويين في قرية سعدي كوتار على شاشات التلفزيون فقد تم قتل كل سكان القرية، وكان ولا يزال العالم شاهداً على آلاف الأمثلة لهذا النوع من البربرية في شكل صور وتقارير والشهادة الشخصية، وهذه الأوصاف للقسوة غير الإنسانية أظهرتها القوات العسكرية الروسية في الشيشان ولم يكتب هذه الأوصاف الشيشان فقط بل ذكرها وكتبها آخرون لديهم الضمير الكافي للشهادة بالحقيقة والذين أظهروا عندما عملوا هذا أن لديهم بعض الفهم للأمانة والشرف والكرامة، وكمثال واحد لإحدى هذه الأوصاف قد اقتبسنا نصاً من مقال كتبته الصحفية الروسية أنى بوليتكوفسكايا عنوانه "الحرية والموت" وتاريخه 27 من مارس 2000 ووصف نوع الفزع والرعب والمعاناة التي وقعت على الشيشان على أساس يومي

الحرية والموت :

سلمـــان : قد قتلت القوات الروسية سلمان بشايف المولود سنة 1946 بوحشية في أثناء عملية تطهير في حي ألدي في جروزني، فعندما داهمه الجنود الروس كان سلمان في ساحة المنزل رقم 3 بشارع كيسلوفودسكي فلقد قتلوه وأبعدوا جثته ولدى لاريسا بيشاييفا قطع من مخه جمعتها في شنطة ورقية لدفنها وفي النهاية وجدوا بقية جثمانه بعد 13 يوماً من قتله

سلطـــان : عندما تكلمت مع سلطان كان يشعر بالإعياء والمرض ففي يوم 20 من فبراير كان سلطان يقيم في منزله في جروزني أثناء الشهور الأولى من الحرب، وعارض في ترك منزله وممتلكاته وفي ذلك اليوم كان منخرطاً في العمل لجمع رفات الموتى والتعرف عليهم ولقد جمع من شارعه والشوارع القريبة فقط 51 جثة ولقد تعرف على 21 منهم ودفنهم قبل أن يستولى عليه الإنهاك ويستبد به التعب الشديد ولقد تم قتل كل جيرانه الواحد والخمسين في الليلة الماضية ليلة 19 من فبراير في عملية تطهير تم تنفيذها بواسطة الفرقة 205 سيئة السمعة وهنا ووفقاً لوصف سلطان نفسه نذكر بعض الذي حدث ففي تلك الليلة المخيفة انتقم جنود الفرقة 205 لخسائرهم وإذلالهم في الحرب الماضية، وكان أول من أطلقوا النار عليه السيد سالم جار سلطان الذي كان في الخمسين من عمره الذي كان يعيش في شارع دونايسكي، ويسرد سلطان كيف أن بعض الجنود أتوا عندما كانوا يدفنون سيد سالم والغريب أن سأل أحد قائليه كيف مات، وأجاب الرجال أنه تم قتله بواسطة شظايا قذيفة لأنهم يعرفون أن قول الحقيقة يعني قتلهم أيضاً وضحك الجندي الذي وجه السؤال ساخراً من الكذبة مما يتضح أنه شعر بالسرور لفزع الرجال كبار السن، وعند هذه النقطة خرج سيد زوباييف وعمره 74 سنة من منزله لمواجهة الجنود وكانت استجابتهم جعله يرقص باطلاق النيران على أقدامه وأخيراً أنهك الرجل العجوز وأردوه قتيلاً، وشكراً لله فعلى الأقل كما قال سلطان "إن الرجل العجوز لم يعش ليرى ما فعله الروس بأسرته"

ووفقاً لسلطان جاءت عربة مصفحة وهاجمت بوابة المنزل التي تؤدي إلى فناء منزل أسرة زوباييف وعندئذ أخرج الجنود أفراد الأسرة وأوقفوهم صفاً واحداً وكانت الأسرة تتكون من زينب وهي زوجة سيد سالم وعمرها 64 سنة وابنهما رسلان وعمره 35 سنة وزوجته الحامل لويزا وابنتاهما أنيسه وعمرها 14 سنة وإليزا وعمرها 8 سنوات

وكان يوجد أيضاً أختا رسلان ماريت وعمرها 40 سنة وماليكا وعمرها 35 سنة والتي كان معها ابنتها أمينة وعمرها 8 سنوات كإليزا، وأخيراً كان ابن عم سيد سالم واسمه سيد أحمد وعمره 44 سنة وكانت هناك أصوات من مدافع ماكينة لتحصد الأسرة كاملة وقال سلطان أنهم وجدوا كل الأسرة قد سقطت ما عدا أنيسة ابنة رسلان الجميلة ذات الأربعة عشرة ربيعاً وكما قال سلطان "لقد بحثنا عن الأغلبية لمدة طويلة ولكنها كانت كمن اختفت في الهواء ولكننا اعتقدنا أنهم ربما قد اغتصبوها ودفنوها في مكان آخر وكان يمكن أن تأتي لو استطاعت وكان يمكن أن تعود ثانية للمساعدة في دفن أسرتها" وفي نفس الليلة تم قتل مدير مدرسة يدعى إدريس البالغ من العمر 45 سنة، فلقد تم ضربه بشكل فظيع ووضعت رأسه في النيران، وكما يحكى سلطان وجدوا في بيت آخر جدة روسية عمرها 84 سنة وابنتها لاريسا وعمرها 35 سنة وهي محامية مشهورة في جروزني قد تم اغتصابهما وقتلهما[*]

[*] فلقد ظنوا خطأ انهما من الشيشان ويوجد العديد من الروس الذين قتلوا بوحشية نتيجة تعاطفهم مع الشيشان وذلك حسب ظن الجنود0

واستمر سلطان حتى وجد جثة ألدان أكاييف وعمره 42 سنة وهو أستاذ لعلم الفيزياء في جامعة الدولة الشيشانية وبعد ذلك وجد جثة بلا رأس لرجل يدعى ديميلخان أحمدوف عمره 47 سنة وقد تم قطع يديه أيضاً

والموقف الذي واجهه سلطان عندما وجد ديميلخان أحمدوف لم يكن غير عادي وتم قطع رؤوس العديد من الناس في نوفي كاتايام ولقد رأيت بنفسي عدة قوالب فرم تستخدم عادة لفرم الخشب وتقطيعه وهي مغموسة في الدم وفي شارع شلف كان يوجد مثل هذه القوالب وبها فأس مثبته بها وبجوارها لا زالت ترتدي وشاحاً أحمر – رأس إمرأة، وبجوار قوالب الفرم هذه يوجد جسم رجل مقطوع الرقبة ولم أستطع رؤية أثر لجسم المرأة أو لرأس الرجل وفيما بعد وجدت جسم أمرأة دون رأس وقد تم فتح معدتها ووضعت رأس بداخلها ولكن لم يكن ممكناً رؤية ما إذا كانت تلك الرأس رأسها أو رأس شخص آخر

خيدي

لقد قابلت خيدي في عنبر رقم 1 بمستشفى حي سنجن فعندما أعلن التلفاز أنه تم تحرير جروزني قررت أن تعود للمدينة إلى منزلها الذي يقع في 201 شارع بوجا تشيف' فهي ببساطة تريد أن تكتشف إن كان ممكناً العودة لمنزلها وذهبت مع صديقتها وجارتها الروسية لاريسا جابريلوفا التى لها أربعة أطفال وفى طريقهما إنضمت لهما امراة شيشانية تسمى نورا التى كانت عائدة للمدينة لنفس السبب وقبل أن يكملن رحلتهن كان من سوء حظهن المرر على جنود يقومون بعملية نهب وسلب فكانوا يضعون كل انواع الأثاث والفراش فى مركبتهم الحربية وبالطبع عندما رأوا النساء قبضوا عليهن وتم تعصيب عيونهن ووضعن فى المركبة وتم أخذهن بعيداً وبعد وقت ملئ بالرعب توقفت المركبة وتم إزالة عصابات العيون وأمرهن الجنود بالنزول من المركبة والمشى وتم اطلاق النار على لآريسا وعمرها 47 سنة وفارقت الحياة فى التو وتم إطلاق النيران على نورا بعدها وتوسلت السيدتان من أجل الإبقاء على حياتهما ولكن لم يظهر الجنود لهما ادنى رحمة ولا لخدى التى تم إطلاق النار عليها أخيراً فلقد تم تصويب مدفع ماكينة تجاهى وانتهى كل شئ كما قالت: "عندئذ فقت من الإغماء ولكننى كنت أعانى ألما مبرحاً وفهمت أخيراً فقط ما حدث لى فلم يأبه الجنود بتبين ما إذا كنا قد متنا جميعا ووضعوا أجسامنا سوياً وغطونا بمرتبة (حشية) وعندئذ أشعلوا بها النيران وربما هذا الذى أعاد إلى وعى

الوحشية في ألدي :

كنت جالسة مع ولد صغير على بعض درجات سلم خرسانية في جروزني منطقة باسم ألدي وكان يحكى لى ما فعله الجنود فى ألدي فلم يقتلوا الناس فقط ولكنهم مثلوا بهم وشوهوهم وعذبوهم فقط لتسلية أنفسهم وأخبرنى الدنيسك كيف خلعوا أسنان والده السليمة والمحشوة ذهباً وكيف أن جدة جاره وهى سيدة عجوز اسمها راهيات قد لاقت نفس المعاملة كوالده ولكنهم لم يستطيعوا فتح فمها لذلك فقطعوا من الأذن للأذن حتى يستطيعوا خلع أسنانها أكثر سهولة وشخص آخر من جيرانه في ألدي وهو سجين يسمى سلطان يمييروف كان لازال حيا عندما قطع الجنود المرتزقة رأسه، وأخذوا رأسه ورموها للكلاب لأنهم يعرفون أن أخاه نائب المتحدث الرسمى فى البرلمان الشيشانى وفيما بعد عندما انتقل الجنود إلى بيوت أخرى فى المنطقة أنقذ الجيران قطعاً من بقايا إنسانية من الكلاب الباحثة عن الطعام وشرح لى الولد كيف أن هؤلاء الجيران قد أخذوا قدماً أيسر وأعضاء شخص التناسلية من الكلاب ودفنوها

(من مقال بعنوان: "الحرية والموت" بقلم أنّى بولتكو فسكايا)

ولقد أكد شهود عيان آخرون الرعب الذى حدث أثناء عمليات التمشيط فى الداخ مقدرين العدد الذى قتل بما يز يد على المائة شخص، ففى منزل أسرة حيدروف قتل الجنود بالرصاص والدا وابنه جولى وفاخا حيدروف

وكان الرجل فوق الثمانين عاماً وخلف حيدروف تعيش أفالا سجائييوف التى آوت بعض اللاجئين: رجلين وامرأة وابنتها ذات الخمس سنوات فتم حرق الكبار حتى الموت بلهب قاذفة لهب تطلق زيتا ملتهباً وأعطى جندى الفتاة الصغيرة علبة من اللبن المكثف وطلب منها أن تفارقهم قبل أن يتم حرق أمها والآخرين، أما أسرة مسابييف التى كانت تعيش فى 120 شارع فورونيجسكى فى مدينة تشرنورتشيا فقد صوب الجنود النار على يعقوب مسابييف وابنه عمر وأبناء عمه يوسف وعبد الرحمن وسليمان، واستثنوا حسن الجد واحتفظوا به لأنه أكبر الناس سنا فى تشرنورتشيا حتى يتمدد بجوار أفراد اسرته المقتولين الذين وضعوا كل بجانب الآخر ثم أطلقوا النار عليه وجرحوه وقالوا له أنهم سيكملون قتله إذا نهض ومات الرجل بينما كان يرقد على جثث أسرته

جخى –تشو: وجه شعب قرية جخى تشو رسالتهم المؤرخة 19 من فبراير 2000 إلى كوفى عنان الأمين العام للأمم المتحدة وللعديد من قادة العالم ومنهم بل كلنتون وتونى بلير وجاك شيراك وهيلموت شرودر وحملت الرسالة توقيع 64 من سكان جخى –تشو وفيها ذكروا بالتفصيل أحداث يومى 6،7 من فبراير من العام نفسه، فوصفوا كيف أنه تم قذف القرية بالقنابل والمدفعية من الساعة 9 صباحاً يوم 6 فبراير حتى الثانية بعد الظهر يوم 7 فبراير ودخل العديد من الجنود القرية فى عملية تمشيط التى استمرت حتى وقتاً متأخراً من المساء، وأثناء العملية أجبر حوالى 27 مقيما منهم 19 طفلاً على الجرى فى حقل ألغام وإجمالا قتل ثمانون شخصاً من القرية وتم القبض على آخرين وأخذوا إلى معسكر التصفية فى تولستوى ريارت، وتمكن 16 شخصاً من الهروب من معسكر التصفية بتولستوى يارت ومنهم محمد جاييف وأليخان سيتوف اللذين قالا أن المساجين هناك قد تم تشويهم وذلك بتعليقهم من أيديهم وحرقوا بلمبات حارقة وخضعوا لضرب مميت أما القرية نفسها تم تدمير 300 منزل بها تماماً، ودمر 70 منزلاً جزئياً وما يزيد على مائة منزل تم إتلافها ونتج عن الهجوم أيضاً فقد وموت الدواجن والخيول بما فى ذلك مئات عديدة من الماشية وآلاف عديدة من الأغنام

ورغم شهادة القرويين ومناشدتهم للمجتمع الدولى بالتصرف لإيقاف الرعب والتصفية الجسدية التى تمارس ضد شعب الشيشان وذلك بانسحاب القوات الروسية من جمهورية الشيشانية اشكيريا لم يتم عمل شئ، فحقا رغم المناشدات والأوصاف التى لا تحصى لم يحدث تحرك واحد تجاه رفع المعاناة عن الشعب الشياشانى على يد العدوان الروسى

إذاعة لايبرتى: وفى نهاية هذا الفصل سوف نضيف معلومات زودنا بها مراسل من إذاعة لايبرتى، وحسبما قال هذا المراسل فلدى حقوق الإنسان معلومات عن قتل المدنيين فى مقاطعة إيتوما كالينسك فى الشيشان ويبدو أن العاملين فى مجال حقوق الإنسان قد قابلوا عدداً كبيراً من اللاجئين من هذه المنطقة الجبلية فى البلاد ووصلوا إلى أنه قد تم قتل ما يقرب من 5-10 أشخاص فى عمليات التطهير والتمشيط فى كل قرية فى هذا الإقليم ويجب ملاحظة أن هذه القرى صغيرة جداً وتتكون كل منا فقط من عشرات قليلة من البيوت، ونتيجة لذلك فإن تأثير هذا القتل على السكان فى قرية يمكن تخيله بسهولة وحسب العاملين فى حقوق الإنسان فإن القوات الشيشانية تشك فى كل الرجال والبشر فى الشيشان وغالباً ما يقول اوليج كوسوف انهم كانوا يقتلون الناس ببساطة حيث يوجدون فى بيوتهم

الفصل الثالث

معسكـرات التصفيـــة(*)

أثنـاء آخر حـربين كانـت معسكرات التصفية الآليـة الأساسية التـى مـن خلالهـا سعى الـروس لسحق شعب الشيشان بالفعل معسكرات الاعتقال الروسية فتم تقديم التحية لوجود مراكز القتل هذه بالصمت من وجهاء الأمم المتحدة وقادة ما يسمى بالمجتمع الدولى وهذا يدل علـى موافقتهم الظـاهرة علـى ذبح المسلمين فى الشيشـان ولكن كيف يستطيع أى شـخص الإنصـات لقصص هؤلاء الـذين تـم اعتقالهم فى هذه الأماكن دون الشعور بالغضب العارم لبقائها ووجودها والشعور بالتعاطف والشفقة للذين عانوا منها واحتملوها وهنـاك مقـال عنوانـه ببسـاطة "البربريـة" نشـر فـى 22 أغسطس 2000 يعطى إنطباعاً بالكاد إلى مثل هذه الاستجابات الانسانية أقتبس منه ما يلى من نصوص:

البربرية والهمجية:

تنكر روسيا بكل وسيلة ممكنة الاتهامات ضد معسكرات التصفية التـى قامت وتقوم بهـا فـى الشيشان وإنجوشيا وأوسيتيا وأماكن أخرى فى الإتحاد الفيدرالى الروسى مع أن ما جاء من وصـف من ممثلى المنظمات الدولية الذين أتيح لهم قدر محدود من الإطلاع على الأمور وكذلك من شهادات شهود العيان من الناجحين تقول غير ذلك فاليوم إنخرط الروس فـى إنتهـاك حقوق الإنسـان الأساسية لإناس بريئين بما فى ذلك أعظم حق أساسى للجميع ألا وهو الحق فى الحياة ولقد أدلت بشهادتها على ذلك توئيتا ماجوميدوفنا خاسوخانوفا وهذه قصتها:

شهادة توئيتا ماجوميدوفنا خاسوخانوفا:

لقد فقدت زوجى فى الحرب الأخيرة حرب 94-1996 فلقد خرج فى سيارته فى أول يوم أتى فيه الجنود الروس ولم يعد أبداً وبحثت عنه لفترة طويلة ولم أجد له أثراً، وأخيراً وأثناء هذا الوقت قررت ترك أطفالى فى منزل والدى وألتحق بالمجهود الحربى وخدمت كممرضة فى الميدان

وفـى عـام 1995 علمـت أن هنـاك سـجناً فـى مـوزدوك ومـن الممكـن أن يكـون زوجـى هنـاك وقامـت العديـد مـن النسـوة اللائـى فقـدت أزواجهـن برحلـة إلـى مـوزدوك وهنـاك بحثنـا فـى قـوائم المسجونين الموجودة هناك ولكننا لم نحد أحداً من كنا نبحث عنهم، وقالت لنا امرأة روسية تعيش قريباً من السجن أن المسجونين الذين تم سحقهم قد تم دفنهم فى حفرة ليست بعيدة عن السجن ووجدنا الحفرة واستخرجنا منها 27 جثة وكان زوجى أحدهم

وتم شن هجوم عسكرى جديد علـى الشيشـان فـى 1995م، وأعلنـت السلطات الروسية حالـة الطوارئ فى ذلك الوقت كنت أدير الكانتين مطعم متنقل فى المستشفى فى جروزنى، وفى أول فبراير انسحبت القوات العسكرية الشيشـانية مـن جروزنـى، وأعلنـت قـوات الاتحـاد الروسـى أنهـم سيقيمون حاجزاً أمنياً خارج المدينة لغير المقاتلين لمغادرة المدينة، بالطبع وكمـا علمنـا مؤخـراً أن هذا لـم يكـن سوى فخ

(*) معسكر التصفية هو عبارة عن سجن اعتقال وحجز محجوب عن الرؤيا يستعمله الروس للذين يتهمون بأنهم جزء من المقاومة الشيشانية أو يؤيدونها0

وكان من النادر جداً إحضار جرحى المقاتلين الشيشانيين إلى المستشفى فى جروزنى وإذا ما تم إحضارهم يؤخذون بعيداً بسرعة مرة أخرى رغم اعتراضات الأطباء، وكذلك اعتراض المقاتلين أنفسهم أحياناً وفى ذلك الوقت لم نكن نفهم أسباباً لهذا

وأخبرت السلطات العسكرية الروسية الأطباء أنهم والمرضى سوف يسمح لهم بالمرور بأمان إلى مدينة يرمولوفكا واضطر المرضى والجرحى للمشى عبر حقل منجم يتخلله فقط ممر عرضه 1.5متراً كان قد أعد، وكانوا يمشون خطوة بخطوة لعلمهم أن خطوة واحدة خطأ ستؤدى بهم إلى أتون المنجم ولقد انفجر المنجم مسبباً لعدد من الناس جروحاً بسبب الشظايا وعند الاقتراب من يرمولوفكا التحقت مجموعة من المدنيين بالمرضى وبالفريق الطبى من أجزاء أخرى من المدينة الذين غادروا أيضا على أساس فهمهم أنهم سيمرون بأمان خارج جروزنى وقررت القوات الاتحادية أن الرجال الذين بين هؤلاء الناس مقاتلون أو أنهم يعاونون المقاتلين، لذا فقد أخذوهم بعيد لإجبارهم بالقسوة والتعذيب على الاعتراف بقدر الإمكان

واضطررنا عبور جسر فى الطريق إلى يرمولوفكا وعندما كان طابور الناس يعبر الجسر أطلق الجنود الروس النار على الجسر وتم إجبار الناس تفاديا للرصاص على الزحف على الجسر

وتم وضع الفريق الطبى الذى أتى من المستشفى فى جروزنى فى المستشفى فى يرمولوفكا وكذلك المرضى والمصابين الذين تزايد عددهم0وطوال الليل استمرت الطائرات الروسية فى قذف يرمولوفكا وأصابت المستشفى وفى اليوم التالى جاء الروس بست حافلات وتم شحن الجرحى فى حافلات الباسات وشحن الفريق الطبى فى حافلة الباسات بمفردهم،وقام طبيب من مستشفى محلى بعمل قائمة بالناس فى الحافلات وسوف يؤخذ الجرحى إلى مستشفى مقاطعة أورس مارتان، وفى الطريق أوقفت الحافلات من قبل القوات الروسية وأمروا كل الجرحى بالنزول من الحافلات وبعد ذلك حصروا منهم 120 رجلاً اتهموهم بأنهم مقاتلون، وأعلنوا عندئذ بأن الذين وجهت لهم التهمة سيؤخذون إلى أورس مارتان وبالطبع وكما هو مألوف فى المنطقة أدركنا حالاً أن أحداً منا لن يذهب إلى أورس- مارتان

وفى الحادية عشر ليلاً وصلت الحافلات الناقلة للجرحى من الرجال إلى تولستوى-يورت حيث معسكر التصفية وتم دفع الرجال فى الفناء الذى كان مسبقاً مزرعه جماعية وهناك تم تجريدهم من كل ملابسهم، والباقى منا كانوا واقفين فى الجليد والوحل ويشاهدون المنظر بارتياب ووجل، وأجبروا الجرحى من الرجال على الزحف على الأربع وأجبروا الباقين على مراقبتهم عندما كانوا يصيحون فينا الأن سترون كيف أن ذئابكم تعوى

وكان الرجال خجولين فى أن يمتهنوا ويؤذوا عراة أمام النساء فى مثل هذا المنظر ويطلبون منا ألا ننظر، لذلك كانت النسوة يغطين أوجهن بأيديهن وكان الجنود استجابة لذلك يضربون أيدى النساء بالهراوات وإذا أغلقت النساء عيونهن ثم صفعهن على الوجه

واستطعت أن أرى الجنود يضربون عن عمد الرجال على جروحهم، وفى الختام لم أستطع تحمل الأمر أكثر من هذا وبدأت أتوسل للجنود لعدم ضرب الجرحى قائلة أنهم صبية فقط وليسوا مقاتلين والتفت إلى أحد الجنود قائلاً "ما الأمر أيتها العاهرة العجوز؟" وصاح قائلاً "هل أنت آسفة؟ هل أنت تبكين؟" وجاءنى أحد المرتزقة بغيظ وركلنى حتى سقطت أرضاً قائلاً "أنت أيتها العاهرة العجوز سنرميك بالرصاص أيضا اعترفى أنهم من المقاتلين"

وقتل الجنود الروس أربعة من الجرحى وذلك بضربهم ضرباً مبرحاً حتى الموت أمامنا، وشخص أخر لم يمته ضربهم قد شنقوه بسلك، وفيما بعد استطاع أطباء من مستشفى جروزنى فحص الجثث، وقد وجدوا أن الموتى تم ضربهم بقسوة حتى خرجت أعينهم من أماكنها وكانت أطرافهم مكسورة وحتى أعضاءهم الداخلية كانت تالفة

وتم ضرب الناس بدورهم بوحشية من قبل الجنود وقيل لنا ألا نقول شيئاً مما رأيناه ووافقنا على هذا الطلب لعلمنا أن عمل ما يخالف ذلك يكلفنا حياتنا أيضا وعندئذ جعلوا الأطباء يحملون الجرحى إلى حفر علف قديمة فى إحدى المزارع، وكانت الحفر داخل مبانى لها أبواب وأسقف من الحديد وفى الداخل تم بعثرة حشو مراتب أسرة قديمة على الأرض الرطبة، وكان المكان محاط بالزبالة والقمامة كما لو أنها رميت هناك وكانت هناك رائحة نتنه من مادة عطنة

وتم بقاونا فى حفر العلف هذه من 2 إلى 9 فبراير وفى اليوم الرابع حاول جنود مخمورون من وحدات أومون الخاصة جر النساء صغيرات السن بعيدا، وأراد الرجال المحاولة لمنعهم، وحاولت التدخل قائلة لهم قبل أخذ الفتيات لابد أن يقتلونى أولاً وأمسكوا بى وحاولوا تغمية وجهى وحملونى بعيداً لمسافة تقدر بمائة متر وعندما توقفوا صفعنى أحدهم بشدة على جانب رأسى وسقطت ولم أستطع السماع بوضوح وشعرت بالدم يندفع من أذنى وعندئذ تم ركلى بشدة فى المعدة وأغمى على وعندما عاد وعيى إلى استطعت سماع صيحات البنات ودخل ثلاثة من الجنود المبنى الذى رمونى فيه وأحضروا بعض البنات معهم وأوقفوهن بجوار الحائط ليجعلوهن يلاحظن الجنود عندما تم اعتداؤهم على واغتصابى بالتناوب، وصرخ فينا الجنود قائلين بأننا إذا لم نعترف بمساعدة المقاتلين فإنهم سوف يكررون هذا الاغتصاب يومياً وكان لدى قطعان قيصريان وكنت أنزف بشكل خطير، ولم أستطع الجلوس أو المشى بعد ذلك

وفى بعض المراحل كان يظهر الصحفيون أثناء احتجازنا ومع ذلك لم يتصلوا بالسجناء وجاء عشرة صحافيين من شركة تلفزيون أو أرتى وصوروا فيلماً عن المكان الذى يحتجز فيه السجناء ولكنهم لم يسألوا أى سؤال ولم يتحدثوا لأحد وصحت منادية لهم محاولة أن أقول لهم أن هناك أطباء وأنه يجرى تحطيم وتكسير كائنات بشرية ولكنهم ببساطة إنتهوا من تصوير فيلمهم وانصرفوا

وكان يتم استجوابنا أربع أو خمس مرات يومياً ونسأل نفس الأسئلة المتكررة، وكان القائمون باستجوابنا مهتمين بوجه خاص لماذا بقينا فى جروزنى وماذا كنا نفعل هناك وكانوا يعرضون علينا صور أشخاص أرادوا التعرف عليهم،وفهمت أنهم يتعاملون معنا جميعاً كمقاتلين أو جزء من المقاومة بأى شكل وكان هدفهم ببساطة إعلان كل الشيشان إما مقاتلين أو متعاونين معهم، ففى كل استجواب يتم وضع صليب على جباهنا يبين أنهم سوف يقطعون رقابنا

وبقينا فى تولستوف-يورت لمدة 6 أيام، وتم نقلنا إلى حفرة مختلفة بعد ثلاثة أيام والتى كانت أشد قذارة من الأولى وفى اليوم السابع حضر الجنود الذين كانوا قد أحضرونا فى الأصل وأخذونا واحداً تلو الأخر من الحفرة لوضعنا فى شاحنات، وكلما كان يخرج كل واحد من باب المبنى يصفع بشدة حتى يسقط أرضاً وهؤلاء الذين لم يستطيعوا المشى بسبب جروحهم وإصاباتهم تم حملهم من قبل من استطاع، وكان الرخام والتكديس على الشاحنات يجعل من المستحيل الجلوس أو الالتفات

وفى الحادية عشر ليلاً وصلنا إلى معسكر التصفية فى تشرنوكوزوفو وتم إنزال 114 من السجناء الذين كانوا أصلاً120 وضرب ستة منهم حتى الموت وواحد منهم قد قطع أرباباً حتى الموت بواسطة جنود وحدات أومون الخاصة وتم جرح 61 من العدد الباقى

وتم أخذ الرجال من الشاحنات أولاً وقتل الجنود الروس موفلادى أدريسوف وهو عمره 16 سنة فتم تحطيم عموده الفقرى نتيجة لضربه وأدى ذلك لشلله والتقطه الجنود ورموه ومات الطفل بمجرد إرتطامه بالأرض، واحتج بعض المساجين ولكن سخر الجنود ببساطة

وتم أخذ النساء فيما بعد ولكننا لم نر شيئاً بسبب الضوء من اللمبات القوية وأجبرنا على الركوع فى مواجهة الحائط وتم منعنا من الكلام وظللنا على هذا الوضع حوالى 5-6 ساعات وبدأ البنات فى البكاء من التعذيب وكان عدد النساء الأخريات يتراوح بين 19-25 امرأة وكنت أنا أكبرهن فقد كنت فى سن 45 سنة وبدأت الصياح فى وجه الجنود، "أليس لديكم أى مشاعر إنسانية؟ أين تعلمتم هذه القسوة؟ هل لديكم أمهات وأخوات؟ كان من الأفضل قتلنا" وكان كل منا يتوسل من أجل الماء خاصة الذين جرحوا وفى النهاية جاء جنديان متخفيان فى أقنعة ليعطونا بعض الماء، بعد ذلك أمرنا ضابط بأن نقف ونتبعه وكنا عراة ووقفنا فى طابور وفحصنا الجنود وعندئذ جعلونا نعمل تمارين نقف ثم نجلس رافعين أقدامنا وبينما كان ذلك يحدث أمطرونا بالشتائم التى لا يمكن قولها، وهذا النوع من العرض لم يكن غير مألوف،وفى معسكر التصفية فى ساماشكا اغتصب الجنود امرأة حاملاً وعرضوا لسخرية امرأة شيشانية عندما كانت تضع طفلها

وفى تشرنو كوسوفو تم احتجاز الأطباء والجرحى رجالاً ونساء على إنفراد وتم ضرب الفريق الطبى من الرجال بإنتظام وأجبروهم على الاعتراف بمساعدة المقاتلين الشيشان وتم إطلاق سراح تسعة من تشرنو كوسوفو خمس نساء وأربعة رجال، ولا يزال أربعة رجال من الفريق الطبى الذى أخذ من قبل، هناك وتم حجز الفريق الطبى من مستشفى جروزنى فى تشرنو كوسوفو بما فيهم وزير الصحة العامة عمر خانبابيف والطبيبة شيتا خانبييفا والجراحة شريفانا شيرنوفتش ومن الذين تم حجزهم أيضا أخمدحان رئيس قسم الطوارئ والجروح وأبو بكر طبيب أطفال وماليكا طبيبة تخدير وليلى ممرضة بغرفة العمليات وأمينة ممرضة وصدر الدين جابرائيلوف رئيس المخازن وموسى سائق وتوئيتا خاسوكانوفا طباخة

وكانت الظروف فى معسكر التصفية فى تشرنوكو زوفو غير إنسانية والزنزانات التى رآها ملاحظون دوليون لا تطاق فهى صغيرة جدا والمراحيض بها مغلقة والرائحة النتنة لا يمكن إحتمالها

ولقد رأيت مساجين يتم إجبارهم على خلع ملابسهم ويعوون مثل الذئاب وإذا لم يقتنع الجنود بهذا يوكزونهم موجهين لهم أفظع ألفاظ التوبيخ قائلين لهم إذا كانوا ذئاباً ينبغى عليهم العواء مثلهم ويضربون ضرباً مبرحاً عراة فى برد الشتاء

وكان المرضى فى مستشفى جروزنى أساساً أطفالاً وشيوخاً ونساء وتم ضرب النساء وإجبارهن على القول بأن الصبية مقاتلون ويضرب الرجال بقسوة وشدة

وفى منتصف الليل يشغل الجنود موسيقى صاخبة جداً بأعلى صوت يستطيعونه ويبدأون فى وكز وتوبيخ السجناء والسخرية منهم

ويمكنك سماع الناس يبكون بصوت عال طوال الوقت بما فى ذلك البنات اللائى يضربن أيضا فهم يضربون الناس باستمرار دون إرجاء ودون رحمة

ويجبرون الفتيات على القول بأنهن كن يتصيدن جنود العدو واحداً تلو الأخر، وإحدى البنات التى كانت صغيرة وضعيفة حاولت أن تشرح أنها استطاعت بالكاد حمل رغيف من الخبز فكيف بحمل بحمل البندقية!!

وكل يوم أثناء وضح النهار كان يزور المعسكر قادة عسكريون ورجال ذو هيئة مهيبة فى ملابس مدنية، وكانوا يظهرون اهتماماً لا يذكر بالزنزانات والمساجين بداخلها وعندما كنا نستدعى للاستجواب أو يتم إخراجنا لأى سبب أخر فنجبر على تشبيك أيدينا خلف رؤسنا ويتم منعنا من النظر للجوانب، ومرة رأيت جثة بنت تم قتلها وغطى جسدها برضوض وجروح وآثار من جراء ضربها ضرباً مبرحاً أثناء إغتصابها، وأدرك أحد المرتزقة أننى رأيتها فصرخ فى وجهى وهددنى قائلاً: "ولا كلمة واحدة فأنت لم تر شيئاً فى الممر"0

وتم حبس النساء فرادى أو كل إثنتين ولم نكن قادرين على أن تتحقق أو تفحص كل منا الأخرى وتم فقد وضياع الكثير من البنات

وتم معاملة الأطباء بقسوة وغلظة ووحشية بما فيهم وزير الصحة العامة عمر خانباييف ومدير المستشفى شيخى زيرخانوف وجراحة معروفة هى شرفانا شيرا نوفتش فكانوا يعطون لتراً من الماء لكل أربعة يومياً ويعطون مرة واحدة فى اليوم عادة الساعة الثالثة خبزاً بدون ملح، وكانوا أيضا غير قادريين على الاغتسال أو قضاء حوائجهم أو ممارسة شى خاص بصحتهم الشخصية

وكان يوجد أطفال تم فصلهم عن آبائهم وأمهاتهم الذين أخذهم الناس إلى يرمولوفكا ظانين أن آباء الأطفال هناك مع أن آباءهم قد تم أخذهم إلى "تولستوف يورت و تشرنوكوزوفو وحيث تم أخذ الكثير إلى هذا المكان فلم تكن وجهة أخرى معروفة فيما بعد، وتوقفت عمليات التسجيل ما عدا التى كانت تصف شخصاً ما بالضياع

شهادة عدنان خاسانوف

أسمى عدنان إسايفتش خاسانوف ولدت فى 1982 فى قرية يانكول فى مقاطعة كورسا فسكى فى ستا فروفول كراي وفى 1987 تحركت إلى جروزنى مع أبوى وكانت عمتى توئيتا ماجو ميدوفنا خاسخانوفا تعمل فى المستشفى أثناء الهجوم العسكرى على جروزنى وعندما سألتُ عمتى كيف أعمل شيئاً مفيداً قالت لى يمكننى المساعدة عند نقل الجرحى من المشفى ونقلت عمتى بمساعدة ثلاثة أطباء آخرين بالمستشفى رجالاً فى مناسبات عديدة خارج المدينة وغالباً ما كنت أذهب للمساعدة

ففى 3 من ديسمبر 1999 حاصر الروس جروزنى، ولم أتلق أى خبر عن عمتى طوال شهر ونصف واكتشفت عندئذ أن الروس فيما يبدو قد فتحوا ممراً بين جروزنى ويرمولوفكا لمرور غير المقاتلين والمرضى والجرحى من خلاله، وقررت ترك جروزنى فى اليوم الأول من فبراير وذهبت إلى يرمولوفكا والبحث عن أناس من المستشفى فى جروزنى هناك حتى أنضم إليهم ووجدتهم بالطبع فى مستشفى يرمولوفكا، واستمر قذف الروس للمدينة بالقنابل طوال الليلة مع علمهم على سبيل اليقين

أنه لا يوجد مقاتلون شيشانيون داخل يرمولوفكا وقال الروس افتراء أن العدد الكبير الذين قتلوه من المقاتلين رغم أنه لم يكن ضمن المقتولين مقاتلون بل كانوا فقط أناساً عاديين يرغبون فى الحياة آمنين

وحين كنت فى اليوم الثانى فى يرمولوفكا أتى الروس ووضعونا فى حافلات وقالوا أنهم سيأخذوننا إلى أورس مارتان، وفصلوا الأطباء عن المرضى والجرحى ووضعوهم فى حافلات مختلفة وأعاد الروس التأكيد لنا أنه بعد أورس –مارتان سيسمح لنا بالعودة لمنازلنا، وبقى رتل من القوات الروسية فى يرمولوفكا عندما غادرناها

وعندما تم تنزيلنا من الحافلات أجبرونا على الركوع وفتشونا وبعد ما فتشنا الجنود ولم يجدوا شيئاً بالطبع أجبرونا تحت تهديد البندقية للاعتراف بأننا قد خبأنا سلاحاً، وتم ضرب كل الذين استطاعوا الوقوف على أقدامهم وطلبوا منا الاعتراف بأننا مقاتلون، وتم وضعنا فى حافلات مرة أخرى وتم أخذنا إلى قرية تولستوف-يورات حيث يوجد معسكر تصفية تم إقامته فى مبانى مزرعة جماعية قديمة ووصلناها الساعة 11 ليلاً وتم دفعنا فى الحال للفناء وأجبرونا على خلع ملابسنا، وأجبرونا على الزحف فى الجليد ونعوى كالذئاب وأجبروا النساء على النظر إلينا واللائى حاولن تغطية وجوهن ثم ضربهن بالهراوات وتوسلت عمتى للجنود حتى لا يضربوا الفتيات وبسبب ذلك تم ضربها بعنف، وأنا بدورى توسلت لهم لعدم ضرب عمتى وضربنى أحد الجنود من وحدة أومون الخاصة على مؤخرة رأسى وشعرت بالبرودة وفقدت الوعى وعندما عاد إلى الوعى وجدت نفسى فى حفرة علف وكانت رأسى مغطاة بالدم وعندما عاد إلى الوعى بشكل كاف نظرت حولى فرأيت أن هناك عدداً من الناس معى فى الحفرة ولكن لم تكن عمتى توئيتا ولا الأطباء من بينهم، وارتديت قميصى وبنطلونى ثانيا ولكننى لم أجد الجاكت السترة وكنت أشعر بالبرد وأعارنى رجل كبير سترته وفى منتصف النهار حصلنا على كسرة من الخبز صلبة جداً ولم يكن من المستطاع قضمها وأكلها وتوسل الجرحى طالبين الماء

وفى المساء جاءنا جنديان من وحدة أومون الخاصة بطرق تعذيب جديدة اخترعوها لنا، فقد قالوا لنا أننا حيواناتهم التجريبية ووضعوا شاباً فى حفرة للعلف وعرض علينا الضابط بعض أنماط الاذلال الجديدة

وقضينا الأيام من 2-9 فبراير على هذا المنوال، وفى مساء اليوم التاسع طلبونا من الحفرة ووضعونا فى مركبات وعندما كانوا يخرجوننا رأيت النساء والأطباء فى حفرة أخرى، ولما كانا فى طريقنا للمركبات تم منعنا من أن ينظر كل منا للآخر أو أن ينظر حوله

وفى الطريق رأيت أن عربة الشحن الأمامية توقفت وتم رمى ولد صغير منها، وفيما بعد عرفت أنه اختنق بالدخان فى الزحام حيث تم حشر العديد من الناس حشراً فى المركبة

ووصلنا إلى تشرنوكوزوفو فى الساعة 11 وتم إنزالنا من المركبات وركعنا طوال الليل فى وضع عمودى وكل شخص يسقط يتم ضربه ولقد ضربوا موفلادى أدريسوف بشكل مبرح حتى كسروا عموده الفقرى وعندئذ قتله أحد جنود وحدة أومون الخاصة بالوقوف على زوره

وأجبروا النساء على الزحف على أربع ليتوسلن لهم أثناء ضربهن على الأقدام واتهموا لاريسا الممرضة فى حجرة العمليات بالمستشفى بأنها كانت تتصيد الأعداء، وحاولت أن تشرح لهم

أنها لم تحمل بندقية أبداً طوال حياتها وركلها أحد جنود وحدة أومون الخاصة فى وجهها وعندئذ ضربوا النساء وهددوا بإطلاق النار عليهن

وحملوا فى الصباح المبكر فى اليوم التالى كل الجرحى للخارج إلى مركبات كانت منتظرة، قائلين لهم أنهم سيأخذونهم للمستشفى وبعد ساعتين توقفنا فى غابة حيث كان هناك عربات بضاعة قديمة وتم حبسنا فيها وتركونا وفى المساء فتحوا العربة وأخرجوا أحد الرجال وبعد دقائق سمعنا صرخة مفزعة ولم نر الرجل مرة أخرى وكنا نسمع صيحات وعويل النساء اللاتى أحضروهن بمفردهن من مكان آخر

وتم أخذى فى الصباح التالى صباح يوم 11 من فبراير مع ولد اسمه منصور من العربة التى كنا بها وبدأوا فى ضربى على الأقدام وعندئذ أحضروا كلباً وأخبرونا أننا سنلعب معه وتركوا الكلب يذهب وتجاهلنى الكلب وذهب لمنصور وحاول منصور الجرى ولكن الكلب أمسك به واستطاع منصور جعل الكلب فى وضع حرج لفترة ولكن مما أبهج الجنود أن الكلب تغلب على منصور أخيراً وفى النهاية نادوا الكلب وأعادونا للعربة، وكان الكلب قد عض منصور بشكل سيئ وكان يحتاج لمساعدة طبية ضنوا وبخلوا بها ومنذ ذلك الوقت فصاعداً كنا نؤخذ بالدور للضرب وتهاجمنا الكلاب، وعرفنا أيضا أن النساء اللائى تم إحتجازهن فى عربات أخرى قد تم اغتصابهن، ففى يوم 15 من فبراير قتل جنود من وحدة أومون الخاصة امرأة وألقوا بجثتها للكلاب

وفى يوم 22 من فبراير أخذوا أربعة مساجين آخرين وأنا معهم ووضعوا أكياس بلاستيك على رؤوسنا وتم دفعنا إلى حافة الغابة وأجبرونا على الركوع وحذرونا من أنهم سوف يطلقون علينا النيران إذا أزلنا الأكياس وعندما غادر الجنود قررنا أن نزيل الأكياس بأى طريقة ولم يكن هناك جنود واكتشفنا أننا لسنا من بعيدين عن محطة السكك الحديدية فى تشر فلينايا وثبت فى النهاية أن كلا منا قد أعتق مقابل ألف دولار

ويمكن وجود أوصاف أكثر للمعاملة المروعة التى كانت من نصيب الأسرى الشيشان فى كتيب عنوانه **"التعذيب وسوء المعاملة فى معسكرات الاعتقال الروسية"** وكانت المعسكرات فى جروزنى وأورس- مارتان قد حظيت بوجه خاص بسوء السمعة لما يمارس بها من أقصى درجات البربرية والقسوة

وكان معسكرا إعتقال في حافالات الباسات الأولى والخامسة فى العاصمة الشيشانية، جديران بالسمعة السيئة، وحسب وصف شهود عيان فإن 500 أسير فقد فقدوا فى معسكر يورس-مارتان بمفرده ولم يعرف مصيرهم، وأصدرت المنظمة الدولية لمراقبة حقوق الإنسان قوائم تحتوى على 300 أسير مفقود من معسكر أورس-مارتان وتم تقدير من فقدوا إجمالاً فى هذه المعسكرات بـ 900 شخص

ويمكن مراجعة كل ما قدمناه هنا من خلال مقابلة الشهود أو فحص الأماكن التى ارتكب الروس فيها جرائمهم ومع ذلك فإن اعتقادى الراسخ أنه من الأفضل لنا نحن الشيشان ألف مرة وكل منا نحن المسلمين أن نختار إخفاء ألمنا من أسلوب بيعه للعالم الذى يزعم بأنه ديمقرطى وأنه من الأفضل ألا نسمح لهم باستخدام معاناتنا وصراعاتنا ونضالنا موضوعاً لكلماتهم الجوفاء وموقفهم الساخر ويكفينا أن الله يرى هذا ويجب أن نثق فيه وحده سبحانه وأن نعهد بآمالنا إليه وحده وكل الأدلة التى تم جمعها ضد هؤلاء المسئولين عن الجرائم البشعة التى تم إرتكابها فى الشعب الشيشانى

ستخدم العدالـة حيث يستدعى هؤلاء النـاس للحسـاب، وكـل هـذه الأدلـة ستخدم العدالـة أيضـا لأنـهـا تستعمل فى تحفيز النضال من أجل العدل الحقيقى وإقامة عالم يعيش وفق قوانين الخالق الأعظم

الفصل الرابع

العـــالم الحديـــث: السيـــــاسة والواقــــــع

قد كشفت المواجهة الجغرافية السياسية فى العالم عن أشكال جديدة على مدى العشر سنوات الماضية، ففى الأساس يتبنى العالم قطبية جديدة، فالعالم المسيحى المسلح تسليحاً وفيراً بل أكثر من اللازم ومزود فنياً ومادياً بشكل جيد فى كل الجوانب تقريبياً يواجه العالم الإسلامى، وبالضرورة فإن تجمعات دينية أخرى تخضع بدرجات متفاوتة لمراكز القوى المسيحية التى تشكل فى الواقع المجتمع الدولى المزعوم فتشكل "تصرفات وسياسات هذا المجتمع من الدول ويتم تحقيقها من خلال سلسلة من التحالفات والمؤسسات والمنظمات التى تعمل على كل من المستوى الاقليمى والدولى ومن هذه الأمثلة الاتحاد الأوربى وحلف شمال الأطلسى "الناتو" والأمم المتحدة ذاتها وقد ساعدت هذه التكوينات الاقتصادية والعسكرية والسياسية فى خلق العالم القطبى الذى نعيش فيه، وهذا بسبب أنها تخدم مصالح وترسخ هيمنتها المسيحية على نطاق دولى وعند القيام بهذا فإنه لا توجد مصلحة فى أى نوع من المساواة أو التعاون مع المسلمين أو مع أتباع أية ديانة أخرى

فقد حدد العالم المسيحى فى علم السياسة فى الوقت الحاضر أهدافاً استراتيجية ووسائل مادية وتكتيكية ضرورية لبلوغ هذه الأهداف وتأتى المعارضة الرئيسية لتحقيق هذه الأهداف من العالم الإسلامى، وفى غضون ذلك تم منح الأديان الأخرى دور التابع المذعن مثل بيارق الشطرنج الضعيفة فى لعبة أكبر، وعندما سمحوا لأنفسهم بأن يوضعوا فى هذا الدور فإنهم فشلوا فى فهم أنه إذا ما تمت إبادة العالم الإسلامى فإنهم سيلقون بدورهم نفس المصير من الإبادة

والمبدأ التكتيكى المستخدم ضد العالم الإسلامى فى هذا الصراع هو المبدأ العتيق "فرق تسد" فلقد تم استخدام كل الوسائل لإثارة الانقسامات فى العالم الإسلامى بداء من الحيل والخديعة والدعاية، وإنتهاء بالإرهاب والحرب الشاملة، يعم ويشمل هذا الاعتداء والانقضاض على الإسلام كل المجالات ومستويات السيادة فى العالم هذه الأيام ولقد وصل حقاً الاعتداء إلى السلوك دقيقة بدقيقة فى الحياة اليومية، ويحاول المعتدى إخفاء نواياه الحقيقة وذلك عن طريق استخدامه بانتظام المصطلحات المألوفة الآن فى القاموس السياسى مثل "الديمقراطية", "القيم الإنسانية العالمية", "حرية التعبير", "الحرية الدينية" وهكذا دواليك وكل هذه المصطلحات تحتاج من يدافع عنها، وينهض بها، وتستعمل هذه اللغة فى تأكيد الخيال بأن ما يفعله مجتمع الدول هذا بوجه خاص من خلال الأمم المتحدة، يتم فعله باسم الخير العام

ومع ذلك فإن حقيقة الأمر أننا اليوم مشغولون فى الحرب العالمية الثالثة فهى بالفعل حادثة وهى تتميز عن الحربين الآخرين من جانبين : الأول: فهى حقيقة تشمل العالم كله كميدان لها وهذه الحرب

تتم عن طريق سلسلة صراعات إقليمية ويوجهها المجتمع الدولى المزعوم تحت إشراف ما يسمى بالقانون الدولى الثاني: تتم هذه الحرب ضد الإسلام

فماذا تمثل الأمم المتحدة وتلك المنظمات الدولية الأخرى فى حقيقتها؟ فالأمم المتحدة هى بالضرورة المركز الرئيسى لمجموعة الأمم المسيحية التى لها السيطرة فى العالم حالياً، ففى بعض الوسائل فإن قيادتها تشبه العصابة الإجرامية، أو المافيا فلقد تم خلق الأمم المتحدة لتتكتم على نشاطاتها الإجرامية التى تشمل الحيل والرعب وتصرفات الإكراه والتخويف الأخرى والعدوان التى تفيد فى التعجيل بهدف الهيمنة الدولية

فالمنظمات الدولية الإنسانية التى تعمل تحت رعاية الأمم المتحدة هى فى الحقيقة تكوينات وتراكيب تم تكريسها لجمع المعلومات وتلقين الأفكار وهى مشغولة فى التدمير الأيدولوجى وحتى فى التدمر البيولوجى فى بعض الحالات

والمنظمات التى مقرها أوربا مثل الاتحاد الأوربى نفسه ومنظمات العلوم والثقافة والتربية والمجلس الأوربى وغيرها قد ظهرت نتيجة التعارض بين العناصر الغربية والسامية داخل المسيحية الدولية، وتم التعبير عن هذا فى التوتر التاريخى بين العالمين الحديث والقديم واستمر هذا حتى اليوم الحاضر ومع ذلك فإن حل هذا التعارض يهتم فقط بالتفاوض فى توزيع مجالات النفوذ داخل موضوعات الهيمنة المسيحية وهذا الهدف النهائى هدف مشترك

فمنظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية تبدوان للذين لديهم الفهم المبدئى على الأقل للنظام الاستعمارى المسيحي أنهما غير مناسبتين تماماً كرد فعل واستجابة، فهما منظمتان رجعيتان بلا هدف مرسوم بدقة، فليس لهما دور مستقل فى عمليات العالم السياسية وبرهنتا فى الحقيقة أنهما عاجزتان عن حل مشكلاتهما الداخلية الخاصة

والمنظمات القارية وغير القارية الأخرى ليست مناسبة بالمثل فليس لها دور ذو مغزى فى تشكيل مصير العالم والحقيقة أنه بالنسبة لسؤال من يحكم العالم بفاعلية يمكن إجابته ببساطة إذا نظرنا للناتو وهو الجناح المسلح لزمرة الدول الإستعمارية المسيحية

فانظر إلى خلق دولة إسرائيل بالإكراه على أرض عربية وتوسعاتها التالية عن طريق سلسلة من الحروب الاستعمارية وانظر فى الحرب ضد العراق وانظر للهجمات الجوية التى تشن على الدول الإسلامية باسم محاربة الإرهاب،وانظر أيضا للحصار الجوى ضد أفغانستان، وإثارة الحرب الأهلية المبنية على الدين فى السودان وتعويق أى تسوية لمشكلة كشمير وانفصال تيمور الشرقية بالقوة عن أندونسيا ومرة أخرى على أسس دينية، وختاماً انظر فى الحروب الروسية ضد شيشينا فى السنوات العشر الأخيرة، انظر فى تلك الأمور بعناية حيث أنها كلها عناصر لنفس السياسة المعادية للإسلام التى تكونت وتم تنفيذها بنية متعمدة من قبل تحالف محدد للمصالح القوية

وبالطبع لا يمكن الإدعاء بأن الأمم المتحدة تم خلقها مقتصرة على هدف معادى للإسلام ففى وقت تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية كان التعارض أكثر وضوحاً بين الكتلة الشيوعية والغرب الرأسمالى وأثناء هذه الفترة كان العالم الإسلامى قد بدأ فى اتخاذ شكله مع أن تصرفات ما يسمى بالمجتمع الدولى من خلال الأمم المتحدة كانت تشكلها رغبات ومصالح الدول الغربية المسيحية ومع ذلك فإنه بإنهيار الاتحاد السوفيتى والكتلة الشيوعية كان من المحتوم أن تصبح سياسة الدولة

المسيحية فى الميدان الدولى بالضرورة ضد الإسلام وتم تحديد الحركة فى هذا الاتجاه عندئذ تزايدت القدرة السياسية والاقتصادية للعالم الاسلامى ولذلك طرح التحدى المحتمل القضية على الهيمنة المسيحية على العالم ومستقبله

واتجاه الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين نحو أفغانستان لخير دليل يزيدنا علماً، فأثناء حرب الاتحاد السوفيتى ضد أفغانستان كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يساعدون المقاومة الأفغانية، وتغير هذا الاتجاه بصورة فجائية تثير الغرابة عندما بدأت القيادة الأفغانية عملية بناء الدولة وفق المبادئ الإسلامية،ويكفى العداء تجاه أفغانستان كمثال واضح على الانحياز ضد الإسلام فى مراكز القوة العالمية وتبريراً لهذا وصمت الأمة الأفغانية كلها ببساطة بأنها إرهابية

ولقد قدمت طريقة إلصاق الأسماء للأشياء أو تسميتها بوجه خاص خدمة لمهندسى العالم الحديث ذات فاعلية بخصوص المسلمين، والأمر المدهش فى هذا أن القادة فى العالم الاسلامى يخافون هذه التسميات وتحتفظ الولايات المتحدة لنفسها بحق استخدام وتطبيق هذه المسميات ولها حتى لجنة خاصة تتولى عمل تكوين قائمة على أساس سنوى بالمنظمات والأفراد الذين يعتبرهم إرهابين،ويتم قبول هذه القوائم عموماً والقليل يدرك فيما يبدو أن أغلبية الحالات الساحقة التى توصف بأنها إرهابية هم المسلمون والمنظمات الإسلامية وبالطبع فهم فى الحقيقة ليسوا إرهابين إطلاقاً ولكن المسلمين والمنظمات الإسلامية تحارب من أجل تحررها الوطنى والبعث الإسلامى وحقا أصبحت هذه العملية متأصلة فى مراكز القوة لدرجة اعتبار أى شخص مسلم أو إسلامى متطرفا أو إرهابياً غالباً بالاسم فقط

وحان الوقت أن نرى الأشياء بوضوح، وأن نرى الأشياء وماهيتها، والذى يقود ويرشد المجتمع الدولى المزعوم ليس مبدأ المساواة بل هى رغبات ومطالب ومصالح الأقوياء ولا يوجد فى الحقيقة مجتمع دولى بل توجد فقط زمرة الدول المسيحية وليس هناك قانون دولى بل فقط توجد مجموعة قواعد تضمن حقوقاً لا حدود لها للقلة على حساب كل الآخرين، وليس هناك ديمقراطية بل فقط الأوتوقراطية وحكم الفرد المسيحى المطلق، وليست هناك دول ديمقراطية بل دول مسيحية ودول مؤيدة للمسيحية تعنون نفسها بالديمقراطية والدول المؤيدة للدول المسيحية هى الدول المؤيدة للغرب وبها سكان غير مسيحيين يوجهون أنفسهم تجاه الديمقراطية الغربية

وتوجد دول إسلامية مختلفة، وبعضها مستقل بالنسبة لسياستها الخارجية، بينما الآخرون يعتمدون على أمريكا والغرب ويوجد أيضا دول مؤيدة للدول الإسلامية وهذه لديها مقداراً من التوجه نحو الإسلام وبالطبع يوحد فى الوقت الحالى مسلمون يفتقدون إلى أى تعبير عن الاستقلال السياسى أو الحكم الذاتى فى شكل دولة لأنها واقعة تحت الهيمنة الاستعمارية، وأكثر الأمور دهشة وغرابة فى هذا المضمار هى الشعوب الإسلامية التى تعيش تحت الهيمنة الاستعمارية الروسية وهى تسعى فى عملية تخليص أنفسهم من هذه الهيمنة

فالمجتمع الدولى المزعوم لا يناضل من أجل الديمقراطية بل من أجل السيادة المسيحية وتستعمل أية وسيلة يعتقد أنها ضرورة لتحقيق هذه السيادة ويمكنك تأمل طبيعة الأمم المتحدة وما تفعله حقاً، فهى ليست منظمة تكرس جهودها لتوحيد الأمم بل هى إلى حد ما منظمة تنظم وتساند العنف المكشوف ضد الأمم والشعوب، وهى أيضا منظمة تعمل لتبرير هذا العنف، فتتم المرحلة الحالية من هجوم الإبادة الجماعية التى تشنه روسيا على الشعب الشيشانى بتأييد ومساندة مادية من الأمم المتحدة، والسبب فى هذا فى المرحلة الأكبر أنه ليس الشعب الشيشانى الذى يتم قتله فحسب بل

الشعب المسلم، فالهجوم الحالى هو أهم الجميع حيث يبحث العالم المسيحى عن تقديم ترضيه وتعويض للهزيمة المذلة التى عانت منها روسيا فى الحرب الماضية، ففى بداية الألفية المسيحية الجديدة يتم التضحية بالشعب الشيشانى على مذبح التقدم المسيحى، ويعتبر الشعب الشيشانى أيضا النموذج للشعب المسلم الذى يتم تدميره أيدولوجياً وبدنياً لا لشيئ إلا أنه جرأ على المقاومة

فالديمقراطية التى تستخدمها الدول المسيحية تمويها تعوق وتحجب الجوهر المسيحى الذى يوجد فى قلوبهم، فادعاؤهم القيم الديمقراطية وإدعاؤهم بأنهم يدعمون ويؤيدون القيم الإنسانية العالمية هو زيف وتزييف ورياء وخداع، فتوجد فقط القيم المسيحية فى صميم وقلب ما يزعمون أنها ديمقراطية غربية

فيتم القيام الآن بجهد عالمى لجعل العالم مسيحياً وتحويل المسلمين إلى مسيحيين، فهناك جهد من العالم المسيحى لفرض المسيحية على كل الشعوب الأخرى مهما كانت الأديان التى يعتنقونها، وحتى يحققون ذلك يستعملون كل الوسائل بما فى ذلك الخداع واللصوصية والرعب والإرهاب والحرب، ويتم استخدام رذائل حقيرة مفسدة للأخلاق تماماً مثل البغاء وذلك ليخدموا أغراضهم فهذه هى الحالة الحقيقة للأمور فى العالم وأحكم بالنظر فيما يتم فعله حقيقة والآن فيما يتم قوله فسوف تساعدنا الحقيقة إذا ما بحثنا عنها على إنقاذ العالم

الفصل الخامس

المجتمع الدولى والقانون

ماذا يمثله المجتمع الدولى المزعوم اليوم وما هى طبيعة القانون الذى أنشأة لنفسه ولبقية العالم؟

ويقودنا التأمل للمسألة بنظرة واضحة إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد مجتمع دولى فى حد ذاته، فلم يتم الوصول إلى القرار الذى يشمل بالفعل أمم العالم ناهيك عن شعوبه، وتقرر حفنة من الدول- لا تزيد عن عشرة وأحياناً أقل- كل الموضوعات التى تتعلق بالسياسة الدولية، وهذه الحفنة تعمل فى ظل شعار من الشريعة منحته لنفسها، فهى تتصرف نيابة عما يسمى "بمجتمع الأمم" مستخدمة قوانين تم تفصيلها تماما لمصلحتها فقط، ونفترض أن مجتمع الأمم هذا يمتلك مجموعة مغلقة من القواعد التى تخدم بها ذاتها ونفترض الطبيعة الصادقة لإجراءاتها فهذه الحفنة يمكن أن تقارن بكل دقة بمجتمع اجرامى مغلق فدخول دولة معينة فى زمرة الأمم هذه يعتمد قبل كل شئ على وفائها بمتطلبات معينة يجعلها مقبولة ويذكر باحد المتطلبات الضروية لكسب الدخول إلى محفل ماسونى أو مجمع لساحرات ، وبالطبع تأتى بعد ذلك امتيازات وحقوق العضوية

لهؤلاء الذين نجحوا فى طلب الوظيفة، وكى يكون الأمر مقنعاً ونرده إلى مكانه فكر ملياً بالتناقض فى هذه الأمم التى لا تنتظمها الأمم المتحدة والذين لا يستطيعون حتى التقدم جدياً للعضوية فينظر لهؤلاء باحتقار ولا يبالى أحد بهم ولا يعترف بهم ويتم تهميشها ويوصمون بوصمة العار على أنهم مجرمين ويعاقبون إذا ما بحثوا عن حريتهم وتحرير أنفسهم وفى هذا الشأن يرد للتو فى الذهن فلسطين وكشمير وكوسوفو وشيشينا وهناك العديد الآخرون

وتكفى لحظة تأمل حتى يكون الأمر جليا وأن هذه هى الحالة السيئة الحقيقة0 ومع ذلك عندما يسير شخص ما أكثر عمقاً ويبحث عن اختراق لب هذا المجتمع وقانونه عندئذ نجد -مع كل شئ آخر- ملمحاً رئيسياً واحداً يشكل أساساً للفروق والتباينات التى نجدها فى العالم بين الأمم والشعوب بخصوص ما لديهم من حقوق وحريات، تلك التباينات بين الناس الذين يتبعون اختلافاتهم الدينية، ويعتمد كل شئ فى التحليل النهائى على كونك مسيحياً أو مسلماً او هندوسياً أو بوذياً أو تابعاً لدين أخر

وحل اليهود مشكلتهم مباشرة بعد تكوين الأمم المتحدة التى ساعدتهم فى خلق دولتهم، وهذا سمح بحل للمشكلة الفورية لاستيطان اليهود فى العالم وذلك بخلق دولة لهم على أرض عربية احتلوها، فهل فى الإمكان إظهار أن الأمم المتحدة لم تصادق سرياً على احتلال الأراضى العربية؟ بالطبع لا يمكن بل العكس هو الصحيح، ومع ذلك فقد ابتدأ اللوبى اليهودى فى الدول المسيحية فى خلق الأمم المتحدة محدداً بنيتها وأهدافها، فلقد تم وضع اللوبى اليهودى تماماً كى يؤثر على توجيه الأمور والتلاعب بها من أجل مصالحه فقط وانتهز اللوبى الفرصة واستغل مزاياها السياسية أقصى استغلال ممكن ، وبالطبع يجب أن نذكر أنه إذا واجه شخص آخر نفس الموقف الذى واجهه اليهود كان سيتصرف بنفس الطريقة، فبداية الصراع العربى الأسرائيلى والطريقة التى تجلى بها وطبيعة وتوقيت الإنشغال الدولى به قد أثار عدة مسائل ومشكلات ومع ذلك فإن الحالة التى انكشفت بها الأحداث قد دعمت فقط الموقف الدولى لإسرائيل وخلقت لهما مزايا خاصة بالنسبة لبقية العالم، وتحددت طبيعة الاستيطان التى تم الوصول إليها بعد خمسين سنة من الصراع

وإذا ما استمر الإنسان فى اتخاذ نظرة قريبة هادئة فى ظروف وكيفية تشكيل الأمم المتحدة يصبح من الواضح كيفية نجاح مهندسيها إلى حد كبير فى خلق عالم ركز القوة فى أيدى اليهــود، وبعد الحرب العالمية الثانية كان العالم الذى أرهقته ولازالت ترهبة الفاشستية جاهزاً تقريباً لقبول

أى تسوية تعد بنهاية للصراع، فالترتيب الذى تم الوصول إليه قد تم ترويجه على أساس أن الاستقرار العالمى يمكن أن يتحقق فقط من خلال مجموعة من القواعد يوافق عليها عموما وتنطبق على كل أعضاء المنظمة الدولية وفى نفس الوقت يحدد مؤسسو المنظمة مقاييس العضوية وبالطبع تم صياغة هذه المقاييس لتعكس بالضبط الأسس السياسية والأيدلوجية للدول التى أسستها، ومن الطبيعى أن مبدعى هذه العملية وهى الدول المسيحية قد جعلت بنية هذه المنظمة بقدر المستطاع على أسس انعكست فى أهدافهم وأخلاقياتهم وتلك كانت متناغمة مع تطور مجتمعاتهم وأسلوب حياتهم، فإن الأمر ببساطة يفيد بأن المبادئ التى تحكم بنية الأمم المتحدة وعملها وفاعليتها تنبع مباشرة من فهم مسيحى للعالم بشكل معين

ومع ذلك لا يجب أن يؤخذ هذا ليعنى أن كل المشاركين فى خلق الأمم المتحدة وكل شئ مرتبط بها كانوا فى اتفاق كامل مع ما قد وصفناه توا، والأكثر اهمية أنه لا تجب حتى المبالغة فى مدى ما يقال كما لو كانت الشعوب المسيحية فى العالم تؤيد وتتبع اتوماتيكيا قادتها، وببساطة فإن الحالة ليست كذلك، فالحقيقة أنه لم تتم مناقشة مشروعات مثل خلق وإنشاء الأمم المتحدة مع شعوب هذه الدول أنفسهم أو مع أى حركات سياسية أو اجتماعية قد يمكن ان توجد بينها، وفى الحقيقة لا تناقش حتى برلمانات هذه ا لدول غالباً مشروعات من هذا النوع، وبالطبع فإن الافتراض هو أن أى أمة سوف تجد فقط سببا للابتهاج إذا وجدت نفسها فى دور قيادى على المستوى الأقليمى والدولى، ونتيجة لهذا فإن الآباء المؤسسين للأمم المتحدة يفترضون ببساطة الدعم الكامل من كافة المواطنين لمشروع يتم تقديمه لأن هناك أسباباً أفضل للقيام به وفى ضوء كيفية أن هناك معارضة بسيطة فى الوقت الحالى وكيف يمكن تجاهل أو تطويق مثل هذا الأعتراض أين كان فإن مشروع الأمم المتحدة كان مضمونا له النجاح

وسوف يفهم أى شخص لديه أية معرفة بعمليات مماثلة أن مشروعا كهذا فى ظل الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى ذلك الوقت يكفيه حفنة اتفاق صغيرة فقط ومن الضرورى فقط تصحيح وفهم شكل بنيتها الأساسية دون التباس وبسط وعرض أهدافها المزعومة، وهذا لا يتطلب أكثر من مسألة العرض الماهر، وبالطبع فى نفس الوقت فإن الظروف مواتية للدول المسيحية لمباشرة هدفها المركزى الذى يمكن وصفه ببساطة: "السيطرة على العالم"، وقد برهنت الأمم المتحدة الخمسين عام الماضية فى مناسبات متكررة أنها أداة نافعة جداً بالنسبة لهذا المشروع

وحتى نهاية 1991 كان وجود النظامين الرأسمالى والشيوعى المتعارضين لا يسمح للتكفير السليم فى المكونات التى تدخل فى تركيب الأمم المتحدة، فلقد كانت الأيدولوجية الرأسمالية والأيدولوجية الشيوعية فى الحقيقة نتاجين متنوعين للفكر المسيحى، فلقد مال التعارض بين هذين النموذجين الاجتماعيين الاقتصاديين- رغم أنهما مشتقان أساساً من نفس المصدر- إلى إعاقة التقسيم الحقيقى فى العالم، فلقد عززت فكرة الشيوعية التى امتدت لتكون نظاماً دولياً الدور الهائل الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فى هزيمة الفاشية ، وترتب على ذلك أنه كان لابد من وضع أهداف استراتيجية أكبر فى أحد الجوانب- رغم عدم نسيان ذلك كى يتم التعامل مع الحقائق الموجودة آنذاك ومع ذلك فإن حتى قادة المجتمع الدولى نفسه اضطروا إلى الاستجابة للواقع السياسى الذى ساد أثناء فترة زمنية معينة، لهذا فإنه قد تم ولع القادة لفترة ما بالتقسيم حيث أنه كان فى نطاق معسكرهم الخاص، ومع ذلك فإن فى نفس الوقت فقد سمح تعدد الاعتراف بالعالم، بكل تأكيد باستراتيجيات كل من المعسكرين فى توسيع وتكبير قواعدهما الاقتصادية والسياسية، وعندما اقدموا على هذا فإنهم لم يتخذوا خطوات ثابتة فقط ولكنهم شاركوا أيضا فى التأثير فى رأى العالم سعياً وراء أهدافهم وليس ذلك لأنه لم تكن توجد أية مقاومة بل كانت عملية التلاعب والتأثير كلها فى اتجاه واحد وكان ممثلو الديانات والمصالح الأخرى قادرين على طلب التأييد الخارجى لكفاحهم الخاص وذلك باللجوء لأصحاب النفوذ فى معسكر أو آخر من المعسكرين، ولقد وجدنا فى هذا تفسيرا لسبب حصول العديد من الدول غير المسيحية على استقلالها أثناء الثلاث حقبات الأولى من وجود الأمم المتحدة

وأثناء هذه الفترة فإنه من الأهمية ملاحظة حدوث تكوين دول اسلامية جديدة، وهذا لم يكن أساساً على حساب الدول المسيحية التى يحاول المسلمون فصل أنفسهم عنها ولكن من خلال تقسيم الشعوب والأراضى الإسلامية وفى الحقيقة فإنه من وجهة نظر مراكز القوة المسيحية التى كانت منهمكة فى تنمية مشروعات الاستعمارية فقد تم النظر لهذا التقسيم على أنه ليس شيئا سيئا ورديئا

ومع ذلك كانت هناك مشكلات لبناة الأمبرطوريات فقد تضمنت المواجهة بين النظامين الشيوعى والراسمالى تهديداً رئيسيا لطموحاتهم، ، وهذا ببساطة كان يتضمن التهديد بحرب عالمية أخرى لها امكانية الإبادة الكاملة وإذا لم يكن ذلك فإنه يستحيل التنبؤ بالنتائج والآثار الخارجة عن السيطرة، وحقا فإن احتمال امكانية هذه الحرب قد ساهم فى انهيار الكتلة الشيوعية ويمكن أن يكون الجيل الأخير من القادة السوفييت قد راى أن حقيقة الوضع الذى يتعاملون معه قد شمل

مخاطرة حقيقية فعلا تؤدى لضياع كل شئ، ونتيجة لذلك فقد بدأوا تفكيك الكتلة الشيوعية وبدأوا البحث عن الإندماج مع النظام الراسمالى، واعتقدوا أن هذا بدوره سوف يسمح لهم فى دمج أنفسهم فى قيادة دولية انفرادية، ومع ذلك فقد جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن ولم تتمش الأمور وفق الخطة التى تتلاءم مع الخدع والمؤامرات الداخلية لقصر الكرملين فلقد تم طرد جورباتشوف مهندس الإصلاح من خلال "بيرسترويكا" و "جلاسنوست" من الحكم وحل محله قيادة تبنت منهجاً مختلفاً إلى حد ما ومع ذلك فقد حدث بالضرورة الإصلاح المركزى وتفكيك الاتحاد السوفييتى والكتلة الشيوعية القديمة، واهتمت القيادة الجيديدة عندئذ بكيفية التعامل مع المشكلات الذين اعتبروها من المخلفات التى تركتها هذه العملية وراءها

ومن وجهة نظر الغرب فإن الأمر بسيط فى استيعاب دول الكتلة الشيوعية السابقة فى الناتو فبالنسبة لهذه الدول فإن التهديد ببقائها فى ظل روسيا كان دافعاً كافيا للانضمام للنيتو وكانت المشكلة التالية مختلفة بعض الشئ، فلقد كان إعادة توحيد ألمانيا له المقدرة على تمزيق أوربا بشكل خطير، وبدى هذ كل ما هو ممكن لأن روسيا كانت مسيطرة على سرعة الأحداث ومع ذلك فإنه على المدى البعيد فإنه البرجماتية (فلسفة المذهب العملى) الألمانية نجحت فى التغلب على هذ العائق، وبالطبع سبب هذا النجاح بدورة مشكلة محتملة أخرى، فكانت هناك امكانية أن تصبح ألمانيا الموحدة بديلا قوياً متزايدا لمراكز القوة القائمة بالفعل، بمعنى آخر كان هناك خطر منافس جديد بزغ خلال المعسكر المسيحى، وفى النهاية تبقى روسيا نفسها مشكلة حيث اعتبرت نفسها لفترة طويلة فى مكانة "الكاثوليكى الرفيعه" ولازالت لها المقدرة على ان تعوق المجتمع الدولى عن مواصلة أهدافه المركزية أو تحطيمه كلياً فى مواصلته للقيادة ففى "مجالات وحقائق" فإن ميخائيلوف عضو الخدمات الخاصة الروسية والصحفى يطلب من بوتن ان يقمع ويحطم الشيشان الذين "حطمهم رغم الاهتمامات الأوربية" ويستمر فى قوله أن "أوربا وهى تبحث عن الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع أمريكا قد فشلت فى فهم أن مصالحها الحقيقية مع روسيا لأن روسيا تقع فى مقدمة العالم المتمدين" وليس هذا فقط ما يفكر فيه الروسى العادى بل هذا أيضا ما يفكر فيه القادة فى اعظم مراكز القوة ارتفاعاً، فكيف نستطيع أن نفسر بشكل آخر كلمات رئيس روسيا حيث يذكر العالم بان بلده لازلت قوة نووية وبالرغم ان عضلات القوة العظمى السابقة قد تضاءلت حقيقة وضعفت إلى حد ما فإن بوتن حريص على تذكير العالم بقوة روسيا وأهميتها، فحقا يمكن اكتشاف الارتفاع المفاجئ فى الطموح الاستعمارى الجديد فى كلمات سلزنيف المتحدث فى الدوما

الروسى، فيقول ردا على جدال بخصوص عضوية روسيا المقترحة فى المجلس الأوربى: "لقد نسوا مع من يتعاملون فإن روسيا يمكنها البقاء دون أن تعظها وتعنفها اوربا، فقد فشل الغرب فى فهم عمق مشكلاتنا ويضحك على الصعوات الاقتصادية التى نواجهها، ولكننا سنعيد بناء قوتنا وسيكون القرن الواحد والعشرون قرناً روسيا فلا يبدو ان الغرب قد فهم تماماً أن المشكلة ليست فقط مسالة شيشينا ولكن المشكلة قائمة لأن روسيا تمرن عضلاتها ومصممة على استعراض قوتها وقدرتها فى أن تعيد تأسيس نفسها كقوة عالمية ومع السادية التى لا نهاية لها والقسوة التى هى وليدة حقدها على الشعب الشيشانى والإسلام فإن روسيا تبحث عن إثبات مؤهلاتها وأوراق اعتمادها لتتولى موقع القيادة فى العالم المسيحى وبالتالى كل العالم وكون هذا ما فى ذهن روسيا بالتحديد فغنها تعارض الولايات المتحدة والقوى الأوربية الأخرى فى البوسنة وكوسفو ومع ذلك فإن روسيا ليست ألمانيا ولا يجب أن يبحث الإنسان عن العقلانية والبرجمانية والمبادئ الواضحة التى تكون التصرف الألمانى، فإن الروسى الذى يقتل أخاه من أجل "قارورة فودكا" ويسامح عدوه اللدود من كل جرائمه سوف لا يفهم ابداً الأوربيين كثيرى الوساوس والشكوك الذين يتصرفون وف مبادئ تم رسمها بوضوح

فعلى سبيل المثال يبدو ان الروس ينقصهم أى فهم فى ضرورة احترام وتنفيذ الالتزامات التعاقدية التى تعهدوا بها فكل شئ يفعلونه ليلائم رغبتهم الحالية بغض النظر عن الآثار بعيدة المدى، وتتصرف الدولة الروية فى هذا المضمار تماماً مثل الروسية الذى يصل لقارورة الفودكا

فالمشكلة الرئيسية داخل المعسكر المسيحى أن روسيا ترغب دخول النظام الاستعمارى الجديد بالشروط التى يعرضها الغرب وفضلا عن ذلك فهناك شك سببه عدم قدرة التنبؤ والطموح غير الواقعى، وهذا يرتبط بعدم قدرة روسيا الواضحة فى الوقت الحالى على إحداث بعض اجراءات النظام والتنظيم الداخلى وهذا بدوره يجعل من الصعب جداً أن نضع فى المكان شيئا ما يشابه المظهر الديمقراطى الكاذب للغرب فإن شوفينية دولة ترى فى نفسها قوة عظمى ونظامها الفاشستى العارى يجعل منها شريكا صعبا للغرب، وفضلا عن ذلك ولأن نواياها الفعلية دائما محل شك فإن من الصعب ان تندمج فى حركة نحو هدف مشترك، ومع ذلك فإن الغرب ليس فى وضع يجعله ينسى ببساطة روسيا لأنه حتى يفعل هذا من المحتمل أن يكون اكثر عمقا فى انتاجيته المضادة كما أدرك ذلك بناءة الإمبراطورية الغربية أثناء الصراع فى البوسنة وكوسوفو فإذا لم يسترض الغرب روسيا فإن هناك خطراً من روسيا إذا حاولت ان تمشى طريقها كما تشاء،

وهذا بدوره يشكل خطراً حقيقياً يتمثل فى مواجهة أخرى عديمة الجدوى داخل المعسكر المسيحى مسببة ضعفاً له من الداخل

لهذا ما هو الثمن الذى يضطر الغرب لدفعه للسماح له بالتصرف فى البلقان دون تدخل روسى جاد الإجابة بالطبع هى شيشينا، فتم السماح لروسيا بأن تطلق يدها فى القوقاز فى المقابل تسمح للغرب بمواصلة أهدافه فى البلقان، وهذا يخدم ايضا غرض عقاب العالم الإسلامى الذى ادعى بان انتصار 1996 هو انتصاره، ولقد ارتأت الأيدولوجيات المسيحية على النقيض فى هذا الانتصار هزيمة لا تغتفر ولابد من ان تنعكس ضد العالم الإسلامى حيث تم العرض على روسيا بإطلاق يدها كما تشاء فى القوقاز إضافة إلى إدراك رأى الغرب فى الحرب السابقة وكل ذلك يعزز الإشارة للروس أنه بإمكانهم التصرف تماماً كما يرون، وبمعنى آخر كان لديهم الترخيص بالتصرف كما يحلو لهم دون قيد أو تحفظ فى البدأ فى سحق الشيشان وإنزال الهزيمة بالعالم الإسلامى بوجه عام عند الاحتفال بانتهاء الألفية الثانية للديانة المسيحية

وحاولت روسيا التعلم من أخطائها أثناء حرب 94-1996 وقامت بتنفيذ حملة عسكرية سريعة وجيدة التنظيم، ومع ذلك فشلت بشكل يدعو للخزى فى ذلك، وخلف هذا للغرب مشكلة، فلا يمكن رؤية الغرب وهو يؤيد علناً عدوان روسيا البربرى على شيشينا، وعلى أية حال لا يمكن التنبؤ بنتائج الهزيمة الخطيرة جداً بالنسبة لهدفهم العدوانى الأكبر، وعلى سبيل المثال هناك خطر فى أن المظهر الديمقراطى الكاذب الذى بزغ فى روسيا- بوضعه الحالى – قد ينهار وينتج قيادة يزال التحكم فيها أكثر صعوبة، فحقا وكما يبدو فقد جعلت الحرب الجديدة ضد الشيشان الطبيعة الحقيقية للموقف فى روسيا أكثر وضوحاً ووضوحاً

وبالنسبة للأمناء والأشراف من الناس حيثما كانوا حتى فى الدول المسيحية ذاتها ولأى مسلمين ينبغى أن يكون واضحاً أن الأمم المتحدة ليست مجتمعا من الأمم أصيلا وصادقا يعمل لخير أعظم وينبغى أن يكون جلياً أيضا أن الأمم المتحدة أداة فى أيدى زمرة استعمارية من الأمم تم تكريسها وتخصيصها لتحقيق الهيمنة الدولية فتحكم العالم بشكل متزايد مجموعة مختارة من الدول التى تجد – فى وجه المقاومة إنه من الصعب والأصعب المحافظة على الصورة الزائفة المؤلفة من مصطلحات مثل "الديمقراطية" و" حقوق الإنسان"

وتظهر مشكلات عديدة فى ضوء ما قلناه حتى الآن هل نحتاج مجتمع دولي على الإطلاق؟ فإذا كانت الإجابة بنعم فمن يحتاجه؟ وماذا يعنى مجتمع حقيقى صادق أصيل من الـــدول عمليـــا؟ وكيف يكون له علاقة بحقوق الشعوب والأمم؟ وهل ترى له سمة أو علامة فى الوقت الحـــالى؟ ولقد اجبنا بالفعل على هذه التساؤلات بخصوص مجموعة الدول التى تقدم نفسها على أنها "مجتمع الأمم" ولقد أجبنا من يحتاج هذا المجتمع من الأمم ومن يخدم، ودعنا ننتظر للسؤال الباقى لنـــرى هل يمكننا على الأقل تكوين بدايات للإجابة فإذا نظر شخص إلى القانون الدولى المزعوم ففيمـــا يبدو أن الحال هو أن كل الشعوب لها حق الحديث عن حقوقها ولكن دون أن تعيش بهـــا، فعلـــى سبيل المثال وفق هذا القانون الدولى كل شعب له حق تقرير المصير وحرية الإرادة بمعنى آخـــر له الحق فى أن ينمو ويتقدم خلال لغته وثقافته الخاصة على أرضه، ولكن ماذا نجد عملياً؟ هـــل تمتلك كل الشعوب الفعل هذا الحق؟ البعض يمتلك ذلك، وكما يلاحظ بالفعل أن الشعب اليهـــودى يمارس تماما هذا الحق رغم أنه ليس على أرضه، وعلاوة على ذلك فقد تم تسهيل قيـــام الدولـــة اليهودية تحت رعاية الأمم المتحدة وتلى انهيار الكتلة الشيوعية منح حق تقرير المصير دون مانع لشعوب كرواتيا وماكدونيا وجمهورية التشيك وسلوفاكيا ولا تيفيا ولتوانيـــا وإســـتونيا وأكرانيـــا وبلاروسيا وملدوفا وجورجيا وأرمينيا وتم حظره ومنعه بشكل خطير عن شعوب أذربيجان وكازا خستان وكرغستان وأوزباكستان وتركما نستان وشيشينا الذين يمكنهم فى أحسن الأحـــوال فقـــط ممارسة أشكالا محدودة من حق تقرير المصير الذاتى، ومن غير الممكن ألا تلاحظ ان المجموعة الأولى تتكون من دول هى بالضرورة مسيحية بمعنى آخر تاريخها جزء لا يتجـــزأ مـــن الثقافـــة والقانون المسيحى بالإضافة أنه عندما حصلت على استقلالها لم تعان من أية معارضـــة مترتبـــة على ذلك، اما الدول فى المجموعة الثانية التى لايمكن عدم ملاحظة أنها جميعا دول اسلامية قد تم إجبارها على أن تبقى تحت القانون المبنى أساساً على قيم مسيحية، فهذا هو الأرث الذين أجبروا على حمله من الماضى السوفييتى، وحتى الآن فإن الشعب الطاجيكى والشيشانى فقط هما اللـــذان حاولا تحقيق حقهم كاملا فى حق تقرير المصير بشكل كامل وتكوين دولتين اسلاميتين تتمشيا مع تاريخهما وثقافتهما وطريقة حياتهما ونتيجة لذلك تعرضت طاجكستان إلى هجوم روسى فـــورى نتجت عنه حرب أهلية كان ضحيتها اكثر من مليون من أرواح المسلمين وأتاح هذا فرض أنظمة سياسية وقانونية خارجية على الشعب الطاجيكى المبعثر المتفرق وهذه تماما النتيجة التى تســـعى الأمم المتحدة لتحقيقها فى أفغانستان وكشمير، وسوف نتجاهل تبريرات ذلك حيث لا توجد حرب

قائمة ضد الأرهاب كما يدعى وعلى النقيض فالأمم المتحدة نفسها وهؤلاء الذين يتحكمون فيها هم ممثلون لأكثر المنظمات الإرهابية خطورة والمرتكبون لأشكال العمل الأرهابى الأكثر خطراً

وماذا عن الشيشان؟ فكر مليا فى ألوان الفزع الذي يعيش فيه الشيشان فى صراعهم من أجل تقرير مصير حقيقى وكامل وفق مبادئ وقواعد السلوك الحقيقية للتاريخ الإسلامى والثقافة الإسلامية وبكل دهشة يشهد على كفاح الشعب الشيشانى وألوان الرعب الذى يقاسية هؤلاء الذين يملكون أبصاراً للرؤية، وفى نفس الوقت بتحدث قادة المجتمع الدولى المزعوم بثرثرتهم المعهودة ساخرين من المبادئ الفعلية للقانون الدولى الذين شكلوه هم وأمثالهم

ومما يجب أن يقال أن روسيا لم تخالف أية قاعدة جديدة بخصوص سلوكها إزاء القانون الدولى، فنحن علىألفة تماما باستعمال الإرهاب والإبادة الجماعية كأدوات حرب، فروسيا لم تفعل اى شئ على خلاف الوسائل التى يستخدمها المجتمع الدولى المزعوم ربما ذلك جزئيا لأنهم يعرفون أنفسهم بالديمقراطيات الغربية المزعومة التى تصمت عن جرائم روسيا وفى نفس الوقت يبحثون عن طرق للحفاظ على علاقات طيبة ولكى نضع الأمر بشكل الآخر فالغراب لن يخرج أبداً لينتزع عين غراب آخر ولكن ينعق كل منهما للآخردائما

وإذا ما حاولت شعوب اسلامية أخرى من الجمهوريات السوفيتية السابقة تحقيق حقهم فى تقرير المصير بتصميم وعزم وروح كما بدى ذلك فى طاجكستان والشيشان على أثر إنهيار الاتحاد السوفيتى فإنهم سيلقون نفس المصير فقد تم تدمير البوسنة وكوسفو جزئياً لأنهما اختاراً تحديد مصالحهما من بين الخيارات التى قدمتها لهم زمرة الدولة المسيحية الاستعمارية من خلال الأمم المتحدة، وقارن هذا مع الهجمات الوحشية التى لا نهاية لها والتى تم القيام بها فى كشمير وفلسطين حيث يتم عمل محاولات لتأسيس دول اسلامية مستقلة وقارن هذا أيضا بالرعب الذى يشن على السكان المسلمين فى أفريقيا واجزاء أخرى فى أسيا وجريمتهم أيضا أنهم يبحثون عن تحقيق تقرير مصير حقيقى بشروطهم وبهذه الأمثلة أصبح النموذج واضحاً

وعندما انحاز المجتمع الدولى أثناء حرب 1994 –1996 للشيشان كان لا يدرى بالمبادئ التى سوف يستخدمها الشيشان فى بناء دولتهم، وكان لدى قادة الدول المسيحية الاستعمارية الأمل فى انهم سينجحون فى فرض أيدولوجيتهم وقيمهم وطرق حياتهم على الشيشان وأنهم سيكونوا قادرين على إدخال الشيشان فى حظيرة الأمم الديمقراطية المزعومة، وبإيجاز كان لديهم الأمل

على الوصول فى حالة الشيشان إلى ما قد وصلوا إليه حتى اليوم مع معظم الشعوب الآسلامية فى الاتحاد السوفيتية السابق ومع ذلك برهن الشيشان على أنهم مصرون على نضالهم غير متراجعين عنه فقد اختاروا المضى فى طريق الشعب المسلم الحقيقى الذى يكرس جهده لإحيـاء الأمـة أى المجتمع الدينى الإسلامى كى يحتلوا مكانهم مع المسلمين الآخرين فى أمة اسلامية واحدة وفى هذا رفضوا خيار البقاء مجرد سكان يعتنقون العقيدة الإسلامية وناضلوا لصالح اتباع طريق الإسـلام القويم وأحد نتائج هذا النضال على الطريق الإسلامى القويم أنهم أيضا كرسوا حيـاتهم لقضـية الحرية لإخوتهم المسلمين الذين يعانون من الظلم فى أجزاء اخرى من العالم، وفضلا عن ذلك قد تحدثوا بوضوح عن ضرورة إحياء الخلافة الإسلامية كى تكون فى العـالم مـرة أخـرى قـوة تتصرف وفق القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى ويدفع الشيشان اليوم مقابـل سـمو هـذه المثاليات والطموحات إضافة لاصرارهم على تنفيذها، ولكن الأهداف لتى يناضلون مـن أجلهـا مازالت جديرة بالمزيد من التضحيات وسنكون قادرين فقط على انتزاع الحرية العالمية من حكـم الأصنام المزيفة عندما يدرك العالم الطبيعة الحقيقية للنضال ويتبع نموذج الشعب الشيشـانى فـى النضال

ومع ذلك وكما بينا من قبل عند اشارتنا للدولة الأسرائيلية أنه يوجد هناك وسـائل بديلـة للحصول على حق تقرير المصير شريطة ألا تكون مسلماً، ويجادل مهندسو ومؤيدو الديمقراطية بالطبع فى أن ظروفا وشروطا خاصة قد جعلت تكوين دولة اسرائيل ممكناً ومع ذلك يوجد مثـال حديث على تكوين الدولة فلقد رأينا مؤخراً انفصال تيمور الشرقية عن أندونيسيا وهو انفصال تـم على أسس دينية، ففى حالة تيمور الشرقية استخدم المجتمع الدولى القوة والتهديد بالقوة العسكرية ليفصل جزءاً مسيحياً صغيراً من سكان دولة عن الجزء الأكبر المسلم، اعلنوها عندئذ دولة وبهذا العمل حققت زمرة الدولة المسيحية الدولية الحاكمة عددًا من الأهداف: فقد قسمت هـذه الزمـرة دولة إسلامية وبهذا أضعفتها وجعلت السكان المسيحيين تحت حمايتها المباشرة، ولتظهـر علـى الدول الإسلامية الأخرى نتائج عدم الانقياد والانصياع للأوامر وإضافة لذلك هناك فائدة إضـافية وهى أن ذلك قد يشجع أصحاب الديانات الأخرى ليتحولوا عن دينهم للمسيحية بسبب الفوائد الجمة لذلك

وبالطبع تعمل معايير مزدوجة فى هذا المضمار، ومع ذلك فقولنا هذا معادل لكوننا لم نقل شيئاً مطلقاً حيث يتم تجاهل الطبيعة الحقيقة للمشكلة، ورغماً عن كل ذلك فلا يوجد شى مصـادفة

أو غير عادى بخصوص ظهور مثل هذه المعايير المزدوجة تحديداً لأن هذا النظام يعمل كمبـــدأ دائم فى السلوك السياسى فى الصراع الدولى، فكيف يمكن للإنسان أن يفسر بشكل آخر الحروب الروسية فى شيشينا التى إستمرت لقرون فيشمل الصراع شعبين بديانتين وحضـــارتين ولغتـــين وعادات معيشية مختلفة تماماً ويعيشان فى أراضى منفصلة تماماً، ومع ذلك يتم وصف الصـــراع بأنه شأن داخلى روسى داخلى، وفى نفس الوقت فى تيمور الشرقية فإن انفصال عدد صغير مـــن السكان المسيحيين يشتركون بشكل كبير في اللغة والثقافة والعادات مع الأغلبية المســلمة ويــتم تصوير هذا كشأن يتطلب التدخل بل التورط الدولي، وقد نتساءل بالطبع لماذا تعتبر مسألة تيمور الشرقية موضوع اهتمام دولي بينما مسألة الشيشان لا تعتبر كذلك وحتى السؤال ســوف يكــون سؤالاً متكلفاً تماماً

دعنا ننظر للمسألة التي نناقشها من منظور أوسع وذلك بالنظر بشكل أكثر عمومية للعلاقة بين المجتمع الدولي المزعوم والدول الإسلامية، فلقد نظرنا بإيجاز لمثال أندونيسيا في علاقاتهـــا بتيمور الشرقية، وسوف تعرف بعض الأمثلة الأخرى طبيعة العلاقة بين المجتمع الدولي والـــدول الإسلامية تعريفاً أوضح فالحرب الأهلية في السودان مثل أندونيسيا مثال لتمزيق الدولة على أسس دينية يؤيدها المجتمع الدولي، وفي الجزائر وصل الإسلاميون للسلطة بالشكل الشرعي من خلال الانتخابات ولكن تم منعهم من ممارسة السلطة وتولي نظام حكم ضد الإرهاب الإسلامي منذ ذلك الوقت!!، وفي إيران وصل الإسلاميون للسلطة ومارسوها وخلقوا جمهورية إيــران الإســلامية ولكن تم وصمهم بأنهم أعداء للمجتمع الدولي المزعوم من اللحظة التي وصــلت فيهــا الثــورة الإسلامية لهدفها المباشر، وفي أفغانستان تحكم حكومة طالبان 95% من أراضي الدولة وحققــت السلام والاستقرار خلال هذه المنطقة على نقيض الحكومة السابقة التي كانت غير قــادرة علـــى التحكم في الجريمة وحل الصراعات الداخلية ومع ذلك لازالت حكومة طالبان تنتظر الاعتــراف من المجتمع الدولي لأنها بوضوح باشرت برنامج بناء الدولة وفق المبادئ الإسلامية، ويمكننا أن نذكر أمثلة أكثر على هذا ولكن ما ذكرناه قد أوضح الأمر بدرجة كافية فعندما تحــاول الشــعوب الإسلامية والدول الإسلامية وضع برنامجها كشعوب ودول تجد نفسها خاضعة للتمييز والعــداوة والعدوان في صلتها بزمرة الأمم المسيحية الاستعمارية التي تترأس المجتمع الــدولي المزعــوم، فهذه هي الكيفية التي تبدو عليها الأمور بالفعل فيما يتعلق بحق الشعوب فـــي تقريــر المصــير، فالشعوب الإسلامية التي تعيش في ظل نير وظلم روسيا الاستعماري لا تتوقع مهما كــان الأمــر

كسب تأييد المجتمع الدولي المزعوم أو هيئاته المختلفة لقضيتهم، وبالطبع فإن مسألة التخلص من الاستعمار موجودة في جدول أعمال الأمم المتحدة منذ عقود ومع ذلك يجب ألا نتوقع تطبيق المبادئ من تلك الزمرة بشكل نزيه، فإزالة الاستعمار يحددها الانتساب الديني والدرجة التي تنحاز بها أمة ما إلى المبادئ الأساسية التي تتضمنها تلك الديمقراطية المزعومة، بمعنى آخر إن إزالة الاستعمار يعتمد على درجة الولاء التي تظهره أمة ما تجاه النظام العالمي القائم

وواضح في حالة الشعوب التي تعتنق المسيحية أن الأمم المتحدة تتحرك لتحقيق التخلص الكامل من الاستعمار ولكن في حالة الشعوب التي تعتنق ديانات أخرى – خاصة الإسلام – تتحرك الأمم المتحدة لوضع شروط ملائمة لخلق وإقامة شكل آخر من الأشكال المنوعة للتحكم الاستعماري الجديد ويمكننا وضع هذا ببساطة فالشعوب غير المسيحية يتم التمييز ضدها ويتم تقويض حقوقها بكل الوسائل التي تعتبر ملائمة من وجهة نظر الزمرة المسيحية الحاكمة والوسائل التي يغلب كثيراً استخدامها لإنكار الحق في تقرير المصير هو وضع هذه الدول في مواجهة الحقوق الفردية أو في مواجهة مبدأ الحفاظ على سلامة الدولة وعدم تجزئتها، ولقد تم إدخال مبدأ سلامة أراضي الدولة ووحدتها في القانون الدولي منذ حوالي 30 سنة مضت، والهدف من ذلك بالتحديد هو تبرير الدعم لتلك الدول التي تعتبر أن عملية التخلص من الاستعمار تهدد مصالحها، ومنذ تلك اللحظة فصاعداً قد تم استعمال هذا المبدأ ضد الشعوب الإسلامية التي تحاول تخليص نفسها من الحكم الاستعماري، وتعزز استعمال هذا المبدأ محاولات التفاوض على شئ ما أقل من حق تقرير المصير الكامل والمستقل، فيطلب من الشعوب الخانعة التابعة أن تقبل شكلاً ما للحكم الذاتي والاستقلال تحت رعاية الدولة المستعمرة، وتبقى أراض الشعوب التابعة في ظل هذه الترتيبات في أحسن الأحوال أراض تابعة للقوة الاستعمارية، وبهذه الطريقة يتم احتفاظ الدول المهيمنة "بوحدة الأراضي وسلامتها"، وتستعمل مثل هذه الآليات القانونية الحرفية مع وسائل أخرى عديدة تعتبر ضرورية لمنع الشعوب غير المسيحية من الوصول إلى الاستقلال الحقيقي، ويكون هذا صحيحاً بشكل خاص، إذا كان هدف تقرير المصير المستقل يمس مصالح الدول المسيحية العظمى أو أهدافها الاستراتيجية وعلى أية حال وعلى العكس فإذا كانت المسألة موضوع البحث تهتم بحق شعب ينفصل عن دولة غير مسيحية فيتم حل الموضوع فوراً ويستعيد مبدأ حق تقرير المصير أولويته بالطبع في القانون الدولي

لهذا فإن القانون الدولي المزعوم هو في الحقيقة ليس أكثر من أداة يتم إستعمالها لتخدم مصالح الدول المسيحية المهيمنة وليحافظ على سيطرتها على الشعوب غير المسيحية في العالم وتم وضع بنود القانون الدولي تحديداً لهذه الأغراض، ففي كل مصطلح رئيسي يسمح هذا القانون بتفسيرين أو ثلاثة ويعتمد ذلك على من هي الدولة أو من هو الشعب الذي يطبق عليها أو عليه هذا القانون، فمصالح بناة الإمبراطورية المسيحية هي العوامل الحاسمة في كل الأحوال وهي التي تحدد أي التفاسير تستخدم حيث تستعمل زمرة الدول المسيحية التفسير الذي يروق لها، ويمكن حتى للشعوب التي تدين بديانة واحدة أن تجد نفسها وقد تم التمييز ضدها إذا دخلت طموحاتها في الصراع مع هذه المصالح، فالموجود هنا ليس القانون الدولي المحايد بل حالة من عدم القانونية تعمل في ظل غطاء من القوانين ثم وضعها وتشكيلها لخدمة مصالح معينة هي بالطبع مصالح الزمرة المهيمنة وتعمل هذه الآليات بداية مع جوانب الفشل الأساسية للإنسانية التي نالت سيادة مجانية وحتى تم تشجيعها، فقد خرب الطمع وأفسد كل جوانب المجتمع الدولي المزعوم بما في ذلك المنظمات التي تعمل في ظل حماية الأمم المتحدة، وأحد المشروعات الأكثر ربحاً هنا للذين يتحكمون في العملية – هو توفير المساعدات الإنسانية في مناطق الصراع، فكل الضحايا في صراع ما سواء كانوا من المشردين أو المذعورين أو المرضى أو الجائعين أو الجرحى يصبحون سلعاً وضحايا للعصابات الإجرامية الذين يشغلون أسواقهم السوداء ومنظمات ابتزاز المال إما بالتهديد أو الإيذاء أو الابتزاز خدعة لإصدار جوازات سفر، ويعيش هؤلاء الناس بالفعل عالة على الأرباح التي يجمعونها من المعاناة والصراع، وهذا شأن لا تبالي به القيادات المسيحية في الغرب، ومع ذلك لابد أن تعي الشعوب المسيحية عدم المبالاة هذا رغم أن ما يميز العالم اليوم هو الهجوم على الإسلام، لأنه سيأتي دورهم عندما يجدون أنفسهم بأي طريقة في صراع مع مصالح هؤلاء الذين يستخدمون القوة في هذا العالم وهذا سببه أن طموحهم وطمعهم لا يعرف شيئاً في الحقيقة عن الإخلاص أو الإيخاء أو الشرف والحقيقة أن الجوهر المختفي بعمق في مؤامرات عصابة القادة تلك ليس في الواقع مسيحياً تماماً، فهو جوهر شيطاني وموجه تماماً لكل الأديان، وفي الحقيقة أنه موجه ضد الطبيعة المقدسة نفسها ضد الله، وعلى أية حال فأثناء هذه الفترة وتحديداً أثناء العشر سنوات الأخيرة فقد استعملت هذه العصابة المصالح الحقيقية للعالم المسيحي محاولة استغلال قوتها ومؤسستها العسكرية في خدمة أغراضها الخاصة، وهذه هي الكيفية التي تعمل بها أي عصابة سرية أو عصابة إجرامية أو مافيا وذلك عندما تتبوأ مراكز القوة، فهي توظف وتستغل هذه القوة لخدمة مصالحها الخاصة، وعلى سبيل المثال فإن عصابة بولشفيك في

الاتحاد السوفيتي اعتمدت على غريزة القطيع عند الناس عند استغلال قوتهم ككتلة جماهيرية، فلقد تلاعبت بهم مستغلة غرورهم ومفاهيمهم للعظمة، وفي نفس الوقت حاولت أن تخفي نواياها الإجرامية عن طريق وضع الشعب الروسي في دور القوة الموحدة التي حررت الشعوب الصديقة وسمحت لهم بأن يصبحوا جزءاً من الاتحاد السوفيتي العظيم

فالجهاز السوفيتي الذي ترأسه عصابة بولشفيك لم تعلن نفسها على الملأ بأنها روسية في حد ذاتها ولكن أرشدتها وقادتها الاتجاهات والطموحات للشوفينية الروسية العظيمة، فليس من المدهش عندئذ أنهم حيثما ذهبوا ظن الروس في أنفسهم أنهم سادة، ونستطيع أن نرى اليوم بوضوح آثار هذا التاريخ على شعوب الاتحاد السوفيتي السابق، وعلى أية حال فقد ساهم هذا التاريخ أيضاً في الإدراك والفهم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في أن حق تقرير المصير ضرورة إذا ما أرادت أن تتحرر من هذا التاريخ ومن ميراثه، والروس من جانبهم مصممون بالطبع على المحافظة على هيمنتهم والمحافظة على طموحهم عندهم الاستعداد للجوء إلى الإبادة الجماعية في شيشينا أو أي مكان آخر إذا ما اعتبروا هذا ضمن مصالحهم القومية

فسياسات وأسلوب القادرة الاستعماريين المسيحيين في المجتمع الدولي المزعوم سياسات تخريبية مدمرة على النطاق الدولي وهي ليست مدمرة فقط للعالم الذين يطمحون للهيمنة عليه بل لأنفسهم أيضاً، فهذه تحديدا السياسات التي يتبعوها نيابة عن المجموعة الصغيرة من الدول التي لها السيطرة في النظام العالمي الحالي والذي سيقود إلى تدميرهم وسينجم عن هذه السياسات نوع من الآثار والنتائج مثل التي دمرت كل إمبراطورية شهدها العالم من قبل

وتبدو كل النظم الامبريالية لمهندسيها أنها تستمر للأبد، مع أن قوانين الله تحطمها جميعاً لأن كلها وثنية دون استثناء وليس هناك فرق تماماً بالنسبة لكون ذلك النموذج الدنوي أو الديني الذي يستخدم في تشكيل أساس هذا النظام وكانت النتيجة ودائماً ستكون واحدة، والسبب في تدميرهم هو أنهم لا يعملون وفق القوانين الإلهية، ونتيجة لذلك فإن الأنظمة حتى التي صممت بنية الوصول إلى الحرية والعدل الحقيقيين بين الناس يتضح أنها في النهاية وبالضرورة شيطانية في طبيعتها، فالبنية الاستعمارية التي تتكون من مجتمع الأمم الدولي وأدواته العديدة ليس بينها فرق فبالتحديد إن التمييز ضد الإسلام من قبل زمرة الأمم المسيحية التي تكون المجتمع الدولي الذي يحث ويحرض المسلمين على الفعل والتصرف ويجعل المسلمين يستجيبون بالتصرفات

الضرورية للدفاع عن مصالحهم والحفاظ على الكرامة الإسلامية فالحقيقة أنه لا يوجد تطرف في الإسلام ولكن توجد مبادئ تحدد التصرفات الضرورية للحماية الذاتية وحماية النفس، إنـــه حـــق حماية النفس الذي يحاول الدعاة ضد الإسلام إنكاره على المسلمين عندما يلفقون أوصافهم العديدة للذين يجرؤون على المقاومة0 وفي نفس الوقت فإن المتطـــرفين والإرهـــابيين الحقيقيـــين هـــم المتمذهبون والموظفون لقطاع الطرق الاستعماريين الذين يبحثون عن الهيمنة على العالم

ولا يمكن للعالم أن يتحد بأي طريقة وثنية حتى لو كانت هذه الطريقة تسترشـــد بالمبـــادئ التي هي دينية في أصلها، فمن الأقل إمكانية غزو العالم فكل الجهود الماضية في هذا الاتجاه قـــد أدت فقط إلى التفكك المدمر والفشل، ويمكن للعالم فقط أن يتوحد وفق قانون الله وأخلاقيـــات الله وأي منهج آخر يمكن أن يقود فقط إلى وهم النجاح من ناحية مبدعيه والثـــروات الوقتيـــة لهـــم ولموظفيهم، ومع ذلك فالنتيجة أنهم سوف يضطرون لدفع الثمن لغطرستهم عندما ينادون للحساب أمام الله

ولسوء الحظ فالعالم بعيد عن فهم أبسط الحقائق وهي أن الله يقدم فقط الطريـــق الصـــحيح تجاه الخلاص ورغم حقيقية أن هذا قد تم عرضه علينا مرة أخرى خلال التاريخ الإنساني، فنحن نقول أن الله عندما يرغب في عقاب شخص ما يحرمه من العقل، ويبدو أن القادة الحاليين للمجتمع الدولي المزعوم قريبون من هذه الحالة وهي الحرمان من نعمة العقل فلقد قرروا أنهـــم قـــادرون على الوصول إلى أهدافهم ولقد قرروا في حماقتهم أنهم قادرون على الوصول إلى شئ ما، فشـــل في تحقيقه الجميع بدءاً من الإسكندر وحتى جنكيز خان ومن بعده وهو السيطرة على العالم، ومع ذلك فإنه من يدعون أنهم سادة العالم الحديث قد قرروا أنه يمكنهم العمل بشكل أفضل مع المزايـــا التكنولوجية في القرن العشرين وبشكل أساسي في شكل القوى الحربية للولايات المتحدة وحلفائها وأنظمة إتصالاتهم، وهم يحصون ضمن مزاياهم الرئيسية الأخرى في هذا الشأن ديـــنهم الكـــاذب "الديمقراطية الغربية" والأداة السياسية وهي مجتمع الأمم الدولي المزعوم بالإضافة إلـــى هيئاتـــه المختلفة فاعتقادهم أن تلك المزايا قد تساعدهم الآن في تحقيق هدفهم في وحدته الكاملة كما لاحظنا قد نشأ منذ حقبة مضت

وإن تصرفات قيادة المجتمع الدولي في الوقت الحالي يمكن النظر إليها مـــن عـــدة نقـــاط أفضلية ومن وجهة نظرهم فإن القضية الرئيسية التي تحظى بالاهتمام خارج العالم الإسلامي هي

الصين، فبعد أن فهموا أن الصين لن يملى عليها شئ ويفرض على أثر إنهيار الكتلة الشيوعية في أوربا والاتحاد السوفيتي قد بدأ الغرب في البحث عن طرق جديدة للوصول – على الأقل- إلى حيادية جزئية ومؤقتة للصين في الوقت الذي يركز فيه على إخضاع العالم الإسلامي وحياديته، وبهذا الهدف في الذهن يبذل مجهود معين في تقوية أي معارضة قائمة في الصين وإثارة وتحفيز أي معارضة جديدة، فزيارة رئيس الولايات المتحدة المؤخرة التي امتدت أسبوعاً للهند في مارس عام 2000 كان لها اهتمامان عند تركيز المحادثات السياسة الدولية مع القادة الهنود، هذان الجانبان هما الصين نفسها وباكستان، وبخصوص الصين التي استغرقت وقتاً طويلاً أثناء زيارة كلينتون فإن الضغط المتواصل الرئيسي كان في النظر إلى طرق للاستمرار في حث الصين للحركة نحو الديمقراطية الغربية، فالاتفاقيات الصينية الأمريكية الحديثة الخاصة بالتجارة وهلما جرا كانت من بين الوسائل التي تستعمل للوصول لهذا الهدف، ومع ذلك فإن الصين لم تتراخ ولم تتكاسل في جعل الأمر واضحاً وأن لديها منهجاً للتنمية مخصصاً للصين مهما كانت وجهة النظر الغربية وأنها بعيدة عن إتهامات الغرب الزائفة وبريئة منها في موضوع حقوق الإنسان

وبعكس الصين فإن اليابان تمثل إنجازاً رئيسياً للغرب لأنها لم تتبع فقط مجموعة الدول النامية اقتصادياً ولكنها أيضاً تتمشى مع النموذج الغربي للديمقراطية المزعومة فاليابان -حقاً بالنسبة لهذه المسألة – وكوريا الجنوبية يمكن اعتبارها "محيدة" بالنسبة للأهداف الاستراتيجية الأكبر في اللعبة، وحقاً وحسب المعايير التي تم وضعها للاندراج في المجتمع الدولي المزعوم فكل من اليابان وكوريا الجنوبية تجاوزتا المتطلبات فهما يمثلا النتيجة المنشودة من بقية جنوب شرق آسيا الذي يشبه في حيادتية في الإقليم دولاً أخرى منها فيتنام

ومع ذلك وكما رأينا فقد تبني الغرب طريقة مباشرة أكثر عدوانية في مواجهة العالم الإسلامي، وتنطلق المواجهة مع العالم الإسلامي بالطبع من قابلية وميل داخلي قديم العهد في الغرب، وتشير الجملة الآتية من المجلس الثاني للفاتيكان سنة 1970 لهذا : "يجب على المسيحيين التخلي عن الأفكار القديمة والتشويهات والتحريفات المجحفة المغرضة ويعترفوا بالأخطاء التي ارتكبوها في حق المسلمين في الماضي" ومن سوء الخط فإن هذا الاعتراف كان له التأثير القليل على القادة في الغرب الذين استمروا في العمل كثيراً كما كانوا يفعلون دائماً

ومن منظور إسلامي فنحن مضطرون للقول أن غياب أي أثر ضئيل للوحدة يسهل بشكل له مغزى عمل القوى التي تواجه الإسلام، وفضلاً عن ذلك فإن الأمر لا يبدو كما لو كانت مشكلة الوحدة من المحتمل أن تحل في المستقبل القريب، ونتيجة لذلك إنه لا يبدو من المحتمل أن العالم الإسلامي سوف يكون قادراً على عرض استجابة متماسكة ومؤثرة للمشروع الاستعماري الجديد يمكن القيام بها ضده ومن الصحيح أن بعض الأمم قد استطاعت عرقلة مهندسي هذا التصميم الإمبريالي الجديد، وترد للذهن إيران وأفغانستان والسودان وباكستان كأمم عارضت – بطرق معينة وفي ظل شروط معينة – الغرب، وإذا ما سلمنا بقوة المعارضة في هذه البلاد فإن الولايات المتحدة وحلفاءها وأعضاء عديدين في المجتمع الدولي قد شكلوا سياسة نحو عزل هذه الدول والتقليل من نفوذها، ويمشى هذا يدا بيدمع السياسة التي تم تبنيها تجاه الدول التي لها مقدرة إسلامية قوية مثل تركيا ومصر والمملكة العربية السعودية حيث أن الهدف هو التقليل من المأمول من هذه الدول التي تصبح إسلامية وبهذا يؤمنون أنفسهم ضد بزوغ قيادة اسلامية أصيلة في هذه البلاد، وبالمثل فإن الدول المستعمرة جزئياً في وسط آسيا ودول مثل كازاخستان يمكن استخدامها كحلفاء عندما تقتضي الضرورة

وتعتبر إيران وأفغانستان وباكستان المصادر الرئيسية للقلق الغربي بخصوص العالم الإسلامي في هذه النقطة عاجلاً أم آجلاً، وبالطبع فإن الأخيرة تشكل مصدر الاهتمام الأعظم للغرب والحقيقة البسيطة أن باكستان تمتلك أسلحة نووية تجبر واشنطون لأخذ الأمر بمنتهى الجدية وتتعامل معه باحترام بغض النظر كم قد تكره فعل هذا، فزيارة الرئيس الأمريكي لباكستان في مارس 2000 حدثت رغم رغبات واشنطون في رؤية إعادة "تأسيس الديمقراطية" على أثر استيلاء مشرف على السلطة، ووضحت باكستان الأمر من جانبها بأنها سوف تعيد السلطة لحكومة مدنية عندما ترى باكستان بنفسها ذلك مناسباً، وربما لم تستمتع واشنطون سواء بإصرار مشرف على توضيح أنه لا يجب الخلط بين الجهاد والإرهاب، وكذلك استناداً لأسس بسيطة وهما أنهما مختلفان تماماً

واعتراف أفغانستان بالجمهورية الشيشانية في اشكيرية قد سبب إنزعاجاً كبيراً في الغرب وإن تصرفات روسيا والقوى الغربية المماثلة بالنسبة لإعادة تأسيس علامات رسمية وودية بين دولتين إسلاميتين مبنى على المصالح المشتركة والفهم وهذا فقط يعطي التأييد للفرض هنا بأن الدول المسيحية تشترك في استراتيجية مشتركة بخصوص استقلال الشيشان، فحقاً إنها تؤيد وجهة

نظرنا القائلة أنها أي القوى الغربية وروسيا تشتركان في استراتيجية واحدة تجاه العالم الإسلامي بوجه عام، ويمكننا رؤية هذا في العداوة المباشرة التي تظهر تجاه أي علاقة للوحدة الإسلامية في قضية مشتركة فالتحالفات الحكومية في معارضة الغرب وآلياته وهو ما حدث نتيجة للمعاهدة بين الشيشان والأفغان وسوف تجلب استجابات خشنة سريعة، وبمجرد أن كونت جمهورية الشيشان وأفغانستان تحالفهما تم إتخاذ الإجراءات ضد هذا التحالف وضد أي شخص يفكر في التصرف بنفس الأسلوب وأوضحت واشنطون أن أي دولة تعترف بالجمهورية الشيشانية سوف يتعرض لاستيائها، إضافة لذلك فقد تم إرسال وفود من الولايات المتحدة نفسها والناتو والأمم المتحدة إلى الدول الإسلامية لتوضيح أن الحركة الأفغانية غير مقبولة ولا يجب أن تعامل على أنها قدوة سابقة

فالمثال المذكور عالية مثال يوضح بشكل إضافي الطريقة التي تعمل بها الدول المسيحية الاستعمارية الجديدة التي تقود العالم، فهي باستمرار تسعى إلى اعتراض طريق وإضعاف أي شخص يحكمون عليه بأنه خصم لهم ذو مقدرة، وكما رأينا أن القانون الدولي المزعوم قد تم وضعه عن قصد ليكون في خدمة هذا النهج، فوظيفته هي تقديم شرعية باطلة وتبرير مزيف لكل ما يرغب الأقوياء عمله لصالحهم فقط، فالهدف المطلق المنشود هو تأسيس نظام عالمي يخدم هذه المصالح دون اعتراض، وهذا النظام بالطبع سيكون على حساب الأغلبية العظمى من الذين يسكنون هذا الكوكب بما في ذلك هؤلاء الذين أخضعوا أنفسهم وأذعنوا لمبادئ الديمقراطية الغربية المزعومة وسوف يزداد إنقسام العالم إلى معسكرين مسيحي وغير مسيحي كلما تقدمت هذه العملية وكذلك سوف تزداد المعارض للقوى المهيمنة لأن الشعوب تحاول تحقيق قوتها ومقدرتها السياسية والروحية الخاصة بها وفي النهاية سوف يصبح واضحاً أن وعود بناة الإمبراطورية وهم لا يمكن تحقيقه وأن ما شيدوه خدعة وأن منجزاتهم المتبجحة أوهام، والمأساة أن العالم كله بما فيه الأجزاء المسيحية منه سوف يقاسي الكثير من الشر قبل الوصول لهذه النقطة، وفي بعض النواحي فإن المستعمرين الجدد من الغرب المسيحي يتصرفون وفق نفس الاعتقادات الخادعة المخيبة للآمال مثل الشيوعيين فهناك معنى في الشئ الذي نشاهد وهو أنه يولد من اعتقاد خاطئ متزايد للوعي الغربي ما عدا الآثار المترتبة على هذا الأمر ستكون أكثر شدة وقسوة

وليس هناك أمام العالم طريق للعودة، فلقد وضع الله الخالق في آلية التاريخ حركة أمامية سرمدية ثابتة، وبالطبع فإن كل هذا مقدر وأن كل كلامنا عن مصير العالم ومحاولاتنا في فهم جوهر مشكلاتنا سوف تصل لشئ واحد في النهاية وسوف ينتهي بنا المطاف أن نقرر اتخاذ

الخيار الوحيد الذي نمتلكه وهو أن نستدير إلى الكلمة الصادقة لرب كل العالمين والمالك يوم الدين ويوم الحساب وفي النهاية لا يوجد مكان آخر لنا لنتوجه أو نذهب إليه، ولا شئ آخر كاف، فهذه هي الحقيقة التي يفهمها جيداً كل المؤمنين الصادقين سواء مسلمين أو مسيحيين أو أفراد أي دين آخر

فالسلام الذي يتكون من الوجود المشترك بين الناس ذوى الشرف والعدل يكون فقط ممكناً إذا ما اتبعنا طريقاً واحداً حقيقياً ومستقيماً وإذا ما اخترنا طريق الصواب، فبدون ذلك لا يمكن لأحد منا أن يكون حقيقة حراً رغم أن الله خلقنا لنكون أحراراً0

الفصل السادس

الديمقراطية والمسيحية

فى الأجزاء السابقة التى تناولت السياسة والواقع فى العالم الحديث، والمجتمع الدولي والقانون، حاولنا وصف الملامح الرئيسية للعالم الذي نعيش بين جنباته فى الوقت الراهن، غير أنه تظل هناك تساؤلات كثيرة حول الإجراءات التى تتخذها الدول، أو بالأحرى الإجراءات التى تصدر عن الشعوب التى تنتمي بصورة تقليدية للديمقراطيات الغربية0 كما تظل هناك تساؤلات فى هذا الشأن حول الحرب الشيشانية الروسية بصفة عامة وحول طبيعة القرارات التى اتخذتها الجمعية البرلمانية بمجلس أوروبا ومجلس الشيوخ الأمريكي واللجنة الدولية للأمم المتحدة حول حقوق الإنسان

وما أكثر هذه القرارات، ونحن مهتمون على وجه الخصوص بكيفية الربط بين هذه القرارات والبيانات الرسمية الأخرى وبين الحقائق الملموسة للسياسة الدولية التى تمسك ديمقراطيات الغرب بدفتها ولمزيد من التحديد ينصب اهتمامنا على كيفية ارتباط هذه القرارات والبيانات بهدفها الرئيسي الذي ينشد إقامة عالم من المصالح والسيطرة تحتوى العالم بأسره

وتنطوي الملاحظات التالية على إيضاح كيفية الرد على هذه التساؤلات :

1-لا ترتبط قرارات وإجراءات المنظمات الدولية المذكورة أعلاه بالمواقف الفعلية لقادة الغرب تجاه الإسلام بصفة عامة أو تجاه الجهاد فى الشيشان على وجه الخصوص0 والواقع أن هذه الأجهزة هامشية ولا تمثل التيار الرئيسي لسياسة حكومات هذه الدول أو السياسات التى تنتهجها فى الساحة الدولية

2-لم تلق قرارات وإجراءات هذه الأجهزة أي تأييد من الأجهزة التنفيذية للدول الغربية سواء على الصعيد الوطني أو الصعيد الدولي، وهذا يثبت أن أنشطة وبيانات هذه الأجهزة ليس لها تأثير ملموس على السياسة، ذلك لأن هذه الأجهزة ليست سوى مجرد أجهزة شكلية من حيث طبيعتها وليس لها سلطة التأثير الفعلي على مجريات الأحداث، وهذا أمر يتضح من الواقع الذي نعايشه

3-لا تتأثر سياسات المجتمع الدولي بشكل كبير بمبادئ الأخلاق العامة أو بأراء الجمعيات تجاه انتهاكات حقوق الإنسان وغيرها من الانتهاكات، وإن نظرة إلى تاريخ تدخل المجتمع الدولي فى حالات الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان أو ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية تظهر عدم إمكانية اتخاذ إجراءات ذات مغزى ما لم يكن تدخل المجتمع الدولي مطابقاً للأهداف السياسية، ومن ثم فلا غرابة من عدم اتخاذ إجراءات ذات فعالية إزاء تعرض شعب مسلم لانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان أو حتى إذا تعرض هذا الشعب لمذابح صارخة، فإذا انخرط شعب من الشعوب فى صفوف المقاومة والكفاح لبناء دولة إسلامية فلابد أن يتوقع هذا الشعب مواجهة تواطؤ ما يسمى مجتمع الدول الديمقراطية من أجل تدمير هذا الشعب والقضاء عليه

4-إن الدبلوماسي الإنجليزي الذى لاحظ أن بريطانيا ليس لها أصدقاء دائمين وإنما مصالح مستمرة إنما كان يتحدث عن الأساس الذي تقوم عليه سياسة عالم اليوم، إن هذه المقولة تصور بإحكام جوهر الدبلوماسية الدولية والطابع الحقيقي لديمقراطية الغرب المزعومة إزاء أنشطتها الدولية، ومع ذلك لا بد أن نضع فى حسباننا أن المصالح الذاتية لا تشكل فقط أساس السياسة التى تنتهجها الدول بل تشكل أيضاً أساساً للسياسة التى تنتهجها كافة أنماط المنظمات السياسية والدينية والعرقية

5-إن شعوب الدول المسيحية وحكومات تلك الدول غالباً ما تبدو منفصلة إنفصالاً واضحاً من حيث نظرتها للعالم ورغم ذلك فإن آراءها يمكن أن تتجمع وتتوحد إذا تعلق الأمر بمسائل تنطوى على ما يشار إليه بصفة عامة فى الغرب مسمى سياسة الواقع، وفضلاً عن ذلك فإن الوضع يتمثل فى أنه لم يحدث إطلاقاً أن أسقط شعب حكومته بسبب رد فعل هذا الشعب إزاء

المعاملة التى تفرضها الحكومة على الشعب ومن المهم أن نلاحظ أيضاً أن ما يطلق عليها اسم الدول الديمقراطية بالغرب لديها مجتمعة مجموعة من الطرق والوسائل الجماعية تلجأ إليها للتعامل مع الرأي العام وتخفيف حدة القلق الاجتماعي، وهذه الطرق يتم استخدامها بمهارة وفعالية كلما اقتضت الأمور ذلك

6- هناك انقسام فى العالم المسيحي وهذا الانقسام يمكن تفسيره بأن المسيحية لا تمثل وحدة واحدة متناغمة، فهي بصحيح العبارة مرحلة من مراحل إنتشار ديانة حقيقية واحدة وهي جزء من الحركة التاريخية نحو دين الوحدانية الحقيقي0 وهذا يفسر ما ينحو إليه المسيحيون من تصرفات تبدو غير عادية لمن يتأملها من أول وهلة

وقد أخبرنا النبي محمد فى حديث قدسي أن الأمة "المجتمع الديني" فى عهد النبي عيسى المسيح إنقسمت إلى اثنين وسبعين طائفة، وعلى الرغم من أنه يصعب الآن تحديد الفوارق الدقيقة بين كل هذه الطوائف إلا أنه يمكننا ملاحظة وجود الكثير من الطوائف الرئيسية داخل الديانة المسيحية، وفى هذا المقام سنركز اهتمامنا بصفة أساسية على المذهب الكاثوليكي بالنظر إلى حجم أتباعه وتأثيرهم فى كافة انحاء العالم، فضلاً عن التركيز على المذهب الأرثوذكسي فى روسيا لأنه يمثل ديانة الشعب الروسي والديانة الرسمية لدولتهم ومن ثم ستكون محلاً لاهتمامنا بصورة واضحة ومباشرة0 وما سنفعله هو النظر إليهم مجتمعين لنقارن بين مدى تسامحهم تجاه الأديان الأخرى ومدى استعدادهم لتقبل فكرة وجود قيم إنسانية عالمية ومدى إقرارهم بوجود حقوق الإنسان الأساسية0 وهذا البند الأخيرة سيحدد إلى أي حد يقرون تلك الحقوق التى تنبع من الاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية مثل حق الشعوب فى تقرير مصيرها

المذهبان الكاثوليكي والأرثوذوكسي الروسي – يمثلان طائفتين لدين واحد ومشاربهما واحدة من حيث التعاليم والمبادئ الأساسية0 والاختلافات بينهما ناتجة عن الاختلافات بين الأمم التي تؤمن بهما من حيث التاريخ والثقافة والهوية القومية والتوجهات السياسية0 وببساطة يمكن القول بأن الاختلاف بين المذهب الكاثوليكي والمذهب الأرثوذوكسي الروسي – ينبع أولاً من حقيقة أن المذهب الكاثوليكي أقرب كثيراً من الناحية التاريخية إلى القواعد الأصيلة للديانة المسيحية0 ولهذا السبب يمكن القول بأن هذا المذهب يضم الجزء الأكبر من أساسيات الدين المسيحي إذا ما قورن بالمذاهب اللاحقة لنفس الديانة

وعلى النقيض من ذلك يمثل المذهب الارثوذوكسي الروسي أكثر مذاهب المسيحية إنحرافاً عن مبادئ تلك الديانة، وهو لا يعدو أن يكون نمطاً زائفاً للمسيحية0 وفى هذا المقام يمكن القـــول بأن المسيحية قد لاقت نفس المصير الذي لقيه أي شئ آخر إستعارته روسيا من الغرب

وإذا نظرنا إلى أساسيات التعاليم المسيحية لوجدنا أن المسيحية فى ثوبها الأصيل تضم بين جنباتها من السمات المشتركة مع الدين الإسلامي أكثر بكثير مما تضمه أي من الطوائف الأخرى للمسيحية التى شهدها العالم فى حقبة لاحقة من التاريخ وهذه الأساسيات تم الحفـــاظ عليهـــا فـــى العالم، وإلى حد ما، بسبب ما تتسم به شعوب الغرب من روحانية وأخلاقيات واحترام للحريـــات المدنية الأساسية، وفى واقع الحال كان المجتمع الأوروبي متطوراً من حيـــث مبـــادئ المســـاواة والشرف والأخلاقيات والكرامة عندما شرع النبي عيسى المسيح فى نشـــر رســـالته0 وإذا كـــان المجتمع الأوروبي يحتضن هذه المبادئ التى من الله بها على البشرية فإن ذلك يرجع إلى أن هذه المبادئ كان قد سبق ورودها فى الكتب المقدسة ومواعظ المبشرين والأنبياء

وعلى ذلك فإن التعاليم التى جاء بها النبي عيسى المسيح والتى تم تدوينها فيما بعـــد فـــى الأناجيل وأصبحت تمثل أساس الديانة المسيحية جاءت إلى عالم مهيأ لاستقبالها أو بمعنـــى آخـــر يمكن القول بان بذور تعاليم عيسى النبي بذرت فى أرض مهيئة ومعدة لاحتضانها، حيـــث كـــان الناس فى الغرب بصفة خاصة مهيئين سياسياً واجتماعياً وروحياً لاســـتقبال التعـــاليم الأساســـية للمسيحية

ولا يمكن تطبيق هذه المقولة على روسيا التى اعتنقت المسيحية عـــام 988 مـــن التقـــويم الميلادي أي بعد تسعمائة سنة من قيام هذا الدين حيث كان الشعب الروسي يحيـــا حيـــاة الـــرق والعبودية تحت نير حكم اللوردات والسادة المستبدين0 وقد ظـــل تـــأثير المعتقـــدات الأساســـية وممارسات هذا النظام الاجتماعي باقياً حتى يومنا هذا0 والأمر الذي يستحق التفكير فيه هو قرار الدوق فلاديمير بتفضيل الدين المسيحي على الإسلام0 فلقد رفض الإسلام لأنه يحرم الإفراط فى الأمور وهذا أمر لم يكن الروسي يحتملونه فى الماضي مثلما يحتملوه الآن

لم تكن المسيحية فى روسيا تتضمن نصاً واحداً يمكن وصفه بنبل الإدراك رغـــم أن هـــذه الديانة من وحي السماء، وعلى الرغم من أن الروس المسيحيين كان بينهم معلمـــون ومفكـــرون جيدون، فلقد وجد هؤلاء المفكرون أنفسهم ضائعين بين أنقـــاض معتقـــدات الفلاحـــين الـــروس

"الموجيك" غير الدينية حتى وفقاً للمعايير الروسية ذاتها ولم تسفر جهود هؤلاء المعلمين والمفكرين إلا عن الإرهاق الشديد فى معركة تحرير الناس من الوهم والوهن والهبوط فى بؤرة الانحطاط والتدهور وتحتفل كنيسة الروس الأرثوذوكسي – بدعوى أنها تمثل سلطة الرب فى الأرض- بذكرى كفاح هؤلاء المفكرين وفشلهم الذريع باعتبارهم أمثلة من أمثلة الشهداء والقديسين فى هذه الحالة وفى كافة أنشطة كنيسة الروس الأرثوذوكسي، تتصرف الكنيسة لتقيم نفسها كسلطة أرضية وهي بذلك تسعى لتنصب نفسها فى مقام السيادة الروحية والمادية فوق العبيد البؤساء من الناحيتين الأخلاقية والاقتصادية

وبالطبع فإن الكنيسة لدى سعيها لتحقيق هذا الغرض تحالفت مع اللوردات والحكام المستبدين فى المجتمع الروسي ومن المنظور الفلسفي يمكننا أن نلاحظ إلى أي مدى يتناقض هذا التوجه مع التعاليم الأساسية للمسيحية0 وواقع الحال هو أن المذهب الأرثوذكسي فى روسيا عمل جاهداً للإبقاء على مجتمع يقوم على العبودية وهذه هي مواقف الكنيسة التى تنبع من هذا التوجه والتي لا تزال الكنيسة تتبناها بحذافيرها، الأمر الذي جعل الكنيسة غير قادرة على استيعاب فكرة العدالة أو التحرر الحقيقي من العبودية فى الأرض وهذه المواقف أيضاً هي التى جعلت الكنيسة لا تستجيب لأي شئ تراه أجنبياً فهي تتخذ موقف المعاداة لأي شئ يضم مفاهيم العدالة والتحرر الحقيقي طالما أن هذه المفاهيم تهدد كيانها

نشأ المذهبان الكاثوليكي والبروتستانتي نشأة مختلفة فى بيئات مختلفة تماماً من حيث المجتمعات والثقافات الوطنية، ومع ذلك فقد شهد المذهبان معاً تطوراً تاريخياً شأنهما شأن العالم الغربي من خلال سلسلة من الإخفاقات والمآسي التى كلفتهما الكثير من الدماء والدموع وصاغت مجتمعات تقوم على المبادئ الدينية المتماسكة0 ومع ذلك لم تدخل روسيا فى هذه التجربة0 وبدلاً من ذلك تبنت روسيا افكاراً من هنا وهناك أسفرت عن مجتمع يمثل مزيجاً ضحلاً وغير متماسك يعتوره القلق فى أعماقه

إن ما ذكرناه عن التراث المسيحي للغرب يفسر بشكل جزئي إطلاق التعبيرات السياسية فى الدول الغربية على المواقف الإيجابية تجاه فكرة الحرية والعدالة للشعوب الأخرى، ولقد كانت هناك محركات ودوافع لتأييد العدالة والحرية الفردية وتقرير المصير فى أوضاع مثل وضع الشيشان اليوم0 كما أن ذلك يفسر أيضاً وجود معارضة فى الغرب للأفكار الشيطانية التى تمثلها

الشيوعية0 ومن المسلم به ان هذه الأفكار ولدت فى الغرب من حيث أيديولوجيتها وتم إقرارها فى بعض الدوائر والأوساط غير أن تجسيد هذه الأفكار بهذه الصورة البشعة والمارقة أثار معارضة الغرب

أن أفكار الديمقراطية المزعومة للغرب أصبحت لها جاذبيتها فى كثير من دول العالم ولا سيما فى الأماكن التي تعاني من كوارث اقتصادية وتقهقر ديني لأن هذه الأفكار تنطوي على شئ من اليقين الديني من واقع تاريخها الذي تعرضنا له بالوصف ولقد حافظت الدول الغربية على هذه الأفكار كأساس للمطالبة بنوع من العدالة والمساواة فى الهياكل الاجتماعية والسياسية للمجتمع الإنساني

ولقد شهدت هذه الدول كفاحاً عنيفاً عبر تاريخها نتيجة لهذه الأفكار وبسبب ذلك يمكننا التعرف على حدود التراث الديني الحقيقي

إن حقيقة عدم وجود مثل هذا التراث فى روسيا يعنى عدم وجود جذور راسخة لمفاهيم العدالة والحرية فيها أو في أي مكان يخضع للحكم الروسي

إن وجود بقايا للوعي الديني فى الغرب يعني أن قادة دول الغرب يسمحون لشعوبهم بالتعبير عن بعض تعاطفهم تجاه الشعوب الأخرى بما في ذلك الشعوب الإسلامية0 وفى بعض الأحيان يسمح الحكام لشعوبهم بالتعبير عن أرائهم بصورة هادئة ونشطة لدرجة أن الحكام يجيزون ممارسة قدر من الضغط على الحكومة، غير أن هذه الممارسة لها حدودها وهذا التعبير تحدده الأيديولوجيات الأساسية ومتطلبات السياسات الجاري إنتهاجها0 وهناك أيضاً قيود كامنة منها الافتراضات التى تتبناها المجتمعات الغربية حول المسيحية ذاتها ومن ذلك رغبتها فى السيطرة فى مواجهة الديانات الأخرى ولا سيما على ضوء الأفكار المقولبة التى تكنها هذه الشعوب لتلك الديانات الأخرى ومنها الإسلام على وجه الخصوص

ومع ذلك، وحتى مع وجود هذه القيود فى المجتمعات الغربية، فإن المجتمع الروسي على النقيض من ذلك لا يقدر على أي شئ يمكن مقارنته بهذه التوجهات ولو من بعيد

ورغم ذلك فإن العالم من وقت لآخر يخطئ فهم الخوف الغريزي الذي ينتاب الروسي أحياناً من احتمال تعرضهم للإنتقام من جانب أولئك الذين يضطهدم الروس لاعتبارات إنسانية

وبطبيعة الحال، فإن أولئك الذين تعرضوا للجرائم التى ارتكبها الروس فى حقهم من منطلق الحقد والكراهية لابد وأن يسعوا إلى الانتقام وهذا أمر لا يصعب على أحد أن يدركه حتى ولـــو كـــان محدود الوعي

ولأن العالم يسئ فى غالب الأحيان فهم نوايا الروس وردود أفعالهم، فإنــه مـــن الجـــدير بالملاحظة التمعن فى بعض الأمثلة الواقعية للتعرف على مدى شطط الروس فى عواطفهم

دعنا نتأمل بعض الرموز التى تمثل المجتمع الروسي وهو مجتمـــع يفتقـــر بحـــق إلـــى الإحساس بمفاهيم العدالة والكرامة، ذلك فضلاً عن افتقاره الشديد لإدراك مبادئ الحرية والمساواة

عقب عودة الشيشان والأنجوش من منفاهم الجماعي فى عهد ستالين، تولى منصب سكرتير اللجنة الاجتماعية للحزب الشيوعي أستاذ مساعد بمعهد البترول والغاز وهذا الشخص كان نفســه ضحية من ضحايا النظام الشيوعي تحت حكم ستالين لما أبداه من توجهات تحررية تجاه الشيشان وهذا الرجل ويدعي "فيلكن" من الحاصلين على درجة الماجستير فى التاريخ وكان محطا لاحترام الدوائر الفكرية كما كان يعتبر من الأصدقاء المتعاطفين بصدق مع شعب الشيشان وواقع الحـــال أنه كان يتخطى أحياناً الحدود المرسومة له وكان يتعدى حدود الحذر فى نقده العنيف لسياســـات الحزب الشيوعي الجائرة ولم يكتف هذا المسئول بهجومه على النخبة الشيوعية فـــى جمهوريـــة الشيشان والأنجوشي بل وجه انتقاداته إلى موسكو بشأن الأمور الوطنية بشـــكل عـــام والجانـــب الشيشاني الأنجوشى من هذه الأمور على وجه الخصوص ونتيجة لذلك وعنـــدما خرجـــت إلـــى الوجود حركات الإصلاح ومنها حركة الإصلاح ومنها ح ركة "بروسترويكا" و"جلاسونات" فـــى عهد جورباتشوف وكانت فى مراحلها الأولى كان هذا الرجل محلاً للإشادة به بإعتباره من أشـــد المناصرين للأفكار الجديدة التى تهدف إلى قيام حركة الديمقراطية الصـــحيحة فـــى جمهوريـــات الاتحاد السوفيتي وظل هذا المظهر التقدمي البارز فى أفكار فيلكن محلاً للاعتبـــار حتـــى عـــام 1990 وفى هذه السنة طرح عدد من المنظمات بقيادة حزب "فيفاخ" الـــديمقراطي فكـــرة إعـــادة إرساء الاستقلال الطبيعي لشعبي الشيشاني والأنجوشي وكانت الآلية المقترحة لذلك تتمثـــل فـــى صياغة إعلان حول السيادة الحكومية لجمهورية الشيشان والأنجوش وهذه الوثيقة تمت المصادقة عليها من قبل أول إتحاد قومي لشعب الشيشان فى 25 نوفمبر 1990

عندئذ وبين عشية وضحاها قامت المحكمة العليا لجمهورية الشيشان وأنجوشيا السوفيتية المستقلة استجابة لما تعرضت له من ضغوط اجتماعية وسياسية بإصدار الإعلان الخاص بها تأسيساً على الوثيقة المستوحاة من أفكار حزب "فيناخ" الديمقراطيى وهذه الوثيقة الثانية كانت متطرفة فى كل جزئية من جزئياتها وأقرتها المحكمة العليا بتاريخ 27 نوفمبر، ففي الأساس كانت هذه الوثيقة تمثل محاولة من الحزب الشيوعي فى شيشنيا وأنجوشيا لمجاراة الأحداث والحفاظ على وضعه

عقب هذه الواقعة لم يكتف فيلكن بإتخاذ موقف الروس المتعصب بل أصبح مستبداً ومعاديا، فسرعان ما نسي الجرائم التى ارتكبت فى حق الشعب الشيشاني، وطرد هذا الشعب وقمعه وكافة المساوئ التى أشار إليها فى حملاته السابقة نيابة عن هذا الشعب0 لماذا حدث ذلك؟ ولما هذا التغير؟ الحقيقة هي أنه كان على استعداد لإظهار التعاطف مع الشيشان والدفاع عنهم شريطة أن يكون هذا الشعب على استعداد لقبول وضعهم كطبقة ثانية فى كنف السيطرة الروسية

كان التغيير الذي يشغل بال فيلكن مسموحاً به وفقاً لهذا الوضع المشار إليه أعلاه0 وبعبارة أخرى كان ينظر إلى مسألة الشيشان وأنجوشيا بل والمسائل القومية بصفة عامة بإعتبارها شأن روسي تتولى روسيا معالجته

ومن ثم توقف دعمه للشيشان بمجرد أن أعلنوا وأوضحوا عدم اكتراثهم بأي ترتيبات من هذا النوع وصمموا على إرساء قواعد استقلالهم الوطني والسياسي بعيداً عن أي شكل من أشكال السيطرة الروسية

ولم يكن لدى أمثال فيلكن أو لدى الديمقراطية الروسي استعداد لقبول مفهوم تحرر الشيشان أو أي من الشعوب الإسلامية بالجمهوريات السوفيتية السابقة، لأن قبولهم هذا المفهوم يعني أن تتمتع هذه الشعوب بنفس الحقوق التى يتمتع بها الروس أنفسهم0 ولكي يسدوا الباب فى وجه الأحداث الجارية التى ستؤدي إلى الاستقلال، قرر الروس إستعادة النظام الدستوري وتنظيم عمليات لمقاومة الإرهاب وهذا هو الإصطلاح الذي يستعملونه لكي يبرروا ما يرتكبوه من أعمال عدوانية وهذه الخطوات من جانب الروس ترقى إلى أعمال الإبادة الجماعية لشعب الشيشان

لقد أثبتوا فى حرب 1994 – 1996 وفى الحرب الحالية أنهم مستعدون لفعـــل أي شـــئ لتحقيق هدفهم الذي يرمى إلى الحيلولة دون تحقيق استقلال الشيشان، وعلى أثر ذلك اختفى أمثال "فيلكن" وأصدقاؤه الديمقراطيون دعنا نستعرض مثالاً آخر وهذا المثال يتمثل فى شخص بارز فى روسيا بل وخارجها من دول العالم، وهو رجل له شهرته وسمعته على نطاق كبير0 إنه الكسندر سولزيا نيتزن الذي حظى بالإشادة به فى كافة أرجاء العالم وكثير من الناس ســيطلعون علـــى مؤلفه المشهور "أرخيبيلاج جولاج" ففى هذا الكتاب أشاد هذا المؤلف برزانة وشجاعة الشيشانيين فى مواجهة الوان الحرمان والرعب التى تعرضوا لها فى منفاهم الطويل، وتناول "سولزيا نيتزن" بالوصف كرامة الشيشانيين فى مواجهة التعسف والمآسي وأشاد على وجه الخصـــوص بإيمـــانهم الذي لا يتزعزع بإمكان تحقيق حريتهم ورغم أن كتاب " أرخيبيلاج جولاج " كتب فـــى أوائـــل الستينيات عندما لم يكن سولزيا ينتزن يشعر بأي تهديد مما يفعله الشيشانيون الآن وما يعتبرونـــه حرية فى ثوب الاستقلال الوطني، فإنه وللأسف لو كان يعلم وقتذاك أن هذا الشعب الفريـــد فـــى نوعه سيقاتل من أجل التحرر الوطني، لما أعرب عن إعجابه بشعب الشيشان

وهو لا يعبأ الآن بأن يحتج على قصف قرى الشيشان بالقنابل والمدافع ليمـــوت بـــداخلها مئات من المدنيين الأبرياء كل يوم

بل إنه لا يعبأ بأن يحتج على تدمير دولة وشعبها، وإذا وضعنا فى حسباننا أصل ســـوليزيا نيتزن لوجدنا أن مواقفة المعادية للشيشان لا تثير ذلك القدر من الغرابة، فهو روسي قومي ويعتقد أن روسيا لابد وأن تتولى إدارة أقاليمها كما تفعل القوى فى الغرب، والمشكلة تكمن فى أنه وباقي أمثاله لا يفهمون على ما يبدو ما هي الأقاليم الروسية وما هي الأقاليم التى ليست كذلك

ونحن بوسعنا أن نستطرد إلى الأبد ونجمع قائمة من الديمقراطيين الروس الذين تخلوا عن مواقفهم الحقيقية خلال الحرب فى شيشينيا، وعلى رأس هذه القائمة يتربع سيرجي كوفاليف0 فإنه هو الذي أدخل فى اتفاقية 1996 الشروط التى ساهمت فيما بعد، فى إندلاع حرب جديدة، فلقد فعل كوفاليف الكثير مع آخرين لوقف حرب 1994 –1996 لأنه كان يعرف مـــا تعنيـــه الحـــرب0 والحقيقة إنه أثناء عدوان أعياد الميلاد على جروزني عام 1994، كان فى نفس الخندق مع مؤلف هذه العبارات، ففى ذلك الوقت كنت أشغل منصب نائب رئيس جمهورية الشيشـــان والأنجـــوش0 ومع ذلك لم تدم كثيراً مبادئ الديمقراطية لهذا المدافع عن حقوق الإنسان

أما الشخص الوحيد من بين صفوف الديمقراطيين الروس الذي احتفظ على نحو مستمر وبشجاعة بمبادئ العدالة والديمقراطية وبالحقوق المتساوية للجميع فهو نوفودفورسكايا، أما بقية كتيبة من يطلق عليهم مسمى الديمقراطيين الروس فليسوا سوى دجالين

فلقد جاء على لسان جوهر دوداييف رداً على شخص أراد إقناعه بأنه لم يكن منافقاً، "إذا أردت أن تخدع نفسك فليكن لك ذلك ولكن دعني وشأني فأنا لا أرغب فى أن أخدع نفسي"

إذا كان لا يزال هناك من يرغبون فى ممارسة لعبة "أستغماية" وخلطها بالحقيقة، أو من يرغبون فى خداع أنفسهم حول الوضع الحقيقي للأمور فى هذا العالم فإن هذا شأنهم وهذه مشكلتهم، أما نحن من جانبنا فإننا أخترنا أن نحارب الشرور التى تلوح أمام عيوننا، فنحن اخترنا طريق العزة والكرامة والشرف، وهو الطريق الذي سيقودنا إلى الفوز برحمة ربنا وبوضوح نحن اخترنا طريق الجهاد

الفصل السابع

الإسلام والسياسة : بعض التساؤلات

فى هذا الفصل سنستعرض بعض المسائل التى تتعلق بالإسلام فى أيامنا هذه، ومنها على وجه الخصوص البعد السياسي للإسلام، وسنبدأ باستعراض العالم الإسلامي بصفة عامة قبل أن نشرع فى الحديث عن الإسلام والسياسة، وفى هذا الصدد سنتناول مشكلة الوحدة الإسلامية ثم التعليم والتقدم فى ظل الإسلام0 وأخيراً سنتحدث عن الجهاد من حيث مفهومه وتطبيقاته

حسب تقديرات عديدة، يوجد ما بين 1.3 بليون، 1.5 بليون مسلم فى العالم0 والمسلمون يتواجدون فى كل مكن غير أن مراكز تجمعهم تجدها فى آسيا وإفريقيا وبعض مناطق أوروبا وحسب دراساتنا يعتبر الإسلام الديانة الأسرع انتشاراً ونمواً فى العالم وليس ذلك فحسب بل هو الديانة الأسرع نمواً فى الدول الصناعية المتقدمة كذلك، وتضم الشعوب الإسلامية نحو خمسة وخمسين دولة يطلق عليها مسمى "الدولة الإسلامية"

وهذه الدول تضم دولاً أعضاء فى الأمم المتحدة فضلاً عن أعضاء فى العديد من الأجهزة الدولية الأخرى منها منظمة العالم الإسلامي وجامعة الدول العربية، وهناك أيضاً العديد من التحالفات فيما بين الدول الإسلامية وهذه التحالفات قامت على أساس إقليمي، وأخيراً هناك عدد من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير السياسية تعمل على المستوى الثنائي ومتعدد الأطراف

وقد كونت الشعوب الإسلامية أيضاً بصفة شرعية دولاً لم تحظ باعتراف المجتمع الدولي، وتضم هذه الدول جمهويرة الشيشان فى أشكيريا، شمال قبرص، كشمير وجمهوريات شمال القوقاز وسيبيريا المستقلة سابقاً التى ظلت تحت السيطرة الاستعمارية لروسيا، وكما أشرنا آنفاً تم الاعتراف بجمهورية الشيشان من قبل أفغانستان، ومع ذلك لم تنضم أي من هذه الدول إلى الأمم المتحدة أو أي من المنظمات الدولية الأخرى0 ومن وجهة نظر الشيشان فإن عدم الاعتراف بهذه الدول أمر يثير القلق لكنه فى نفس الوقت أمر له دلالته، فقد أثارت شيشنيا رغبتها فى الاستقلال السياسي وترجمت ذلك على أرض الواقع من خلال الدخول فى حروب شرسة فى الفترة من عام

1994 إلى عام 1996، وأخيراً تم إقرار استقلالها بمقتضى اتفاقية السلام المبرمة فيما بين الاتحاد الروسي وجمهورية الشيشان فى اشكيريا فى 12 مايو 1997

جرى التوقيع على هذه الاتفاقية فى موسكو من قبل رؤساء الدولتين، واستندت أحكامها إلى مبادئ القانون الدولي، ومع ذلك فإن ما يطلق عليه مسمى المجتمع الدولي والمقصود بـذلك هـو زمرة الدول المسيحية التى تستأثر بالقوة والسلطة فى الوقت الراهن قامت من منطلق أنانيتها بتأييد روسيا فى خرقها لهذه الاتفاقية وذلك على الرغم من أن هذه الاتفاقية كانت تستند إلى المبادئ التى وضعتها تلك الدول المسيحية0 وكان غرض تلك الدول بالطبع هو عدم خروج الدولة الإسـلامية التى استطاع شعب الشيشان إنشاءها إلى دائرة الضوء وحيز الوجود وهناك بعض الشعوب التـى ليس لها دول، ومجتمعات صغيرة داخل الدول المسيحية تنتمي إلى الأمة الإسـلامية أو مجتمـع الشعوب الإسلامية0 كما أن هناك حركة تحول إلى الدين الإسلامي تأخذ مسارها داخـل الشـعب الروسي، حيث خرجت إلى حيز الوجود أول جماعة من المسلمين الروس، وهذه الحركة بـدأت إبان حرب الروس والأفغان وحظيت بالدعم خلال الحرب الروسية الشيشانية عندما بـدأ بعـض الروس يبحثون على الحقيقة التائهة فى طوفان الكذب والإفلاس الأخلاقي

وهناك من الروس من راقبوا الأحداث الجارية فى الشيشان عن كثب وتعرفوا على حقائق الأمور، وهذا أمر يضيء لنا شعلة الأمل، ذلك لأن المرء قلما يجد أي شعب من شعوب العالم لا يضم بين رعاياه عدداً من المؤمنين بالخالق الحقيقي ألا وهو الله الرحمن الرحيم

إن الله وهب الدول الإسلامية وشعوبها فى كافة أرجاء العـالم ثـروات طبيعيـة هائلـة0 فبالإضافة إلى أن هذه الدول تمتلك 80% من مخزون النفط فى العالم، نجد أن هذه الدول غنيـة بالفلزات النادرة والأملاح المعدنية والجواهر والأخشاب0 كما أن أراضـيها الخصـبة واعتـدال مناخها يوفر لها إمكانية إنتاج قدر هائل من المنتجات الزراعية

وبإختصار تتوفر لدى هذه الدول القدرة على إنتاج كافة مستلزمات شعوبها لكـي يحيـون حياة مريحة ترفرف عليهم أسباب السعادة، ولكن للأسف تطالعنا الحقائق بأن الجزء الأعظم مـن الشعوب الإسلامية بالعالم تقع ضمن الشعوب الأكثر ضعفاً وقهراً فى العالم، وزيادة على ذلك نجد أن معظم هذه الشعوب تعاني من القمع فى أوطانها وعلى يد حكوماتهم0 وقد دأبت تلك الحكومات على تبرير تصرفاتها فى غالب الأحيان بالإشارة إلى القرآن وسنة النبي، وهذا يعنـي أن جميـع

الشعوب الإسلامية تخضع لشكل ما من أشكال القمع التى فرضها أو دبر لها بناة الإمبراطورية المسيحية، والشئ الوحيد الذي يفرق بين المسلمين فى هذا الصدد هو نوع السيطرة التى يخضعون لها

ففى كثير من الدول الإسلامية التى تطلق على نفسها المسمى الإسلامي نجد أن جوهر كلمات الله إما محظور عليها تماماً أو تم تحريفها لخدمة مصالح النظام الحاكم، والكثرة الغالبة من الحكام وحكومات ما يسمى بالأمة الإسلامية يذيقون شعوبهم مرارة القهر، وهم يفعلون ذلك فى الوقت الذي لا يتوقفون عن التشدق بالكلمات والعبارات الإسلامية وينادون بالولاء لعقيدة شبه إسلامية

وهم بذلك يلحقون الضرر والأذى بالإسلام وأمة الإسلام والمجتمع الإسلامي فى كافة أرجاء المعمورة أكثر مما تفعله دول العالم المسيحي مجتمعة بالإسلام والمسلمين0 وهناك بعض الدول الإسلامية التى تشن الأنظمة الحاكمة فيها حرباً معلنة على الإسلام والمسلمين، ومن الجدير بالذكر أن نعترف ونسلم بأن هناك الكثير من الدول الإسلامية الزائفة التى أنكرت على مواطنيها معظم الحقوق الأساسية اللازمة لهم لمباشرة أسباب حياتهم اليومية، وإذا وضعنا ذلك فى الحسبان لا نجد غرابة إذا قلنا أن الحقوق السياسية ليس لها مكان فى هذه الدول

وواقع الحال أن إنكار الحقوق أمر يتنافى مع الإسلام، إذ لابد من أن يسمح للمسلمين بالمشاركة فى تنمية دولتهم ومجتمعهم، وهذه المشاركة لابد منها وضرورتها أمر شرعه الله فى القرآن وتجسد فى سنة النبي

لقد طغت على قادة العالم الإسلامي أفكار تحجيم المصالح الوطنية وتحقيق المصلحة الحزبية والمصلحة الذاتية والأنانية، ولم تحاول الدول الإسلامية وقادتها بصورة جدية إقامة وحدة فيما بينها أو السعي للمساعدة فى تنمية شعوبها، والواقع أن ما فعلوه هو نقيض ذلك، بل أن القادة راحوا يفكرون ويسعون إلى طرق وأساليب للسيطرة على تلك الشعوب، ولم تتحول السلطة إلى أداة لتحقيق النظام والعدالة فى المجتمعات الإسلامية على نحو يسمح بالتنظيم الصحيح لأمور الحياة حتى يتمكن أفراد الشعب من تلمس طريقهم إلى الله، ولم يتم استخدام السلطة كأداة لتطبيق شرائع الله وأوامره تحقيقاً لمصلحة الجميع، لا، لقد أصبحت السلطة أ داة للسيطرة فى أيدي القلة القليلة

لقد عملت هذه القلة فى سفور على استخدام السلطة كأداة للقهر بصورة تحمل فى طياتهـا لوناً من ألوان العجرفة، والحقيقة المحزنة أن كلمات الله وعلوم الشـريعة السـماوية والأخـلاق والقوانين قد انتزعت من حياة المسلمين فى الكثرة الغالبة من الدول الإسلامية لتوضع على رفوف المكتبات التى يعلوها التراب0 ولا تخدم هذه العلوم فى تلك الدول سوى بعضاً من العلماء الـذي اكتفوا بالتشدق بكلمات جوفاء أمام سادتهم

أما المسلمون الحقيقيون والمناصرون لقضية أمة الإسلام فقد تحولوا إلـى منبـوذين فـى أوطانهم

ولم يقتصر الأمر على أن الدول الإسلامية مفككة بل راح بعضها يعارض البعض الآخـر حيث تم إقناع شعوب هذه الدول بدعم ما يطلق عليه مسمى المصلحة الوطنية، حتى ولو كان ذلك يعنى معارضة شعب مسلم آخر وإخضاعه لبطش وسلطة قادتهم، فإن من يشيد بأمثال هؤلاء القادة إنما يشيدون بمن يرسون دعائم الفوضى والخروج على القانون

هؤلاء لم يعد يعبدون الله خالق الكون بل هم فى واقع الأمر يعبدون رمـزاً مزيفـاً وهـو الدولة فى مثل هذه الأحوال

ولقد تشرذمت الأمة الإسلامية وهي المجتمع الأكبر لكافة المسلمين إلى قبائـل ومـذاهب ومجتمعات ومنظمات وأحزاب، وكل هؤلاء يزعمون أنهم يستندون فى أفعالهم إلى القرآن وسـنة النبي، وقد نتساءل كيف يكون ذلك ممكناً إذا كان القرآن ذاته يحذر المسلمين من الفرقة والإنقسام بكافة صوره، وواقع الأمر أن العكس هو الصحيح، فالله يدعو إلى الوحدة كشرط للتجـارة فـى الآخرة وبعبارة أخرى يدعونا الله إلى إقامة دولة إسلامية متحدة

لقد نسينا الله فى زحمة همومنا ولذلك فقد تركنا نستخدم أدواتنا ووسائلنا، لقد هجرنا شرع الله إلى الحكم الجائر لخدمة الشيطان والله أباح لنا الحرية لتكون خيارنا، وما يحدث الآن ليس إلا عقاباً لنا على تصاغر عبادة الله فى قلوبنا، فلقد تركنا لمصيرنا وهذا درس قاس لابـد وأن نعيـه ونتعلم منه

فإن التخلي عن الله وعن الطريق الذي رسمه لنا يمثل خسارة لنا، فنحن الذين نفتقر إلـى الأخلاق والروحانيات أما الذات الإلهية الخالدة فعلى النقيض من ذلك لم تنقص مثقـال ذرة مـن

جراء تصرفاتنا وسلوكياتنا، وفضلاً عن ذلك لا يهم ما نفكر فيه او نأتي من تصرفات، ففي النهاية هو الذى سيقاضينا وهو الذي سيعاقب من خالفوه أياً كانت دوافعهم فى ذلك، وضعنا الآن هو وضع شعب فقد كل شئ؛ وكل ما نأمله فى خضم هذا الشقاء هو رحمة الله، فلقد أصبحنا مستعبدين على يد طواغيت، وأصبحنا مقهورين وكل ما نستطيع عمله هو الإدعاء بأننا بشر

لقد فقدنا حريتنا فى أراضينا وتخلينا عن كافة طموحاتنا فى السعادة الحقيقية أو الأمن فى بيوتنا، فنحن نتجرأ ونطلق على أنفسنا رعايا دول مستقلة غير أن الحقيقة هي أننا نعيش فى مستعمرات لغير المسلمين، ونحن نسمى أنفسنا مسلمين فى حين أننا نخضع لقوانين تناهض الإسلام، وفوق كل هذا فإننا تخلينا عن أي أمل فى الفوز بالجنة

فإذا ذكرنا الله حق ذكره فمن الأكيد أن يستجيب لنا، وسوف نرى هموم الدنيا تافهة وأنه بوسعنا أن نعلو فوقها، يجب أن نطبع شرع الله فى قلوبنا حتى نتمكن من إعادة هيكلة العالم وفقاً لهذا الشرع، وإذا نحن فعلنا ذلك فإن الله سيخلصنا من الحكم الجائر للشيطان وسدنته، وسوف يخلصنا الله من قوى الجهل والظلام، وسوف نحمل محبة الله فى قلوبنا، ونحمله فيما تنطق به السنتنا من ألفاظ وما نأتيه من أفعال، وإذا فعلنا ذلك سيكون بوسعنا السيطرة على هذا العالم الذي نحقق فيه ذاتنا ونتخلص من الطاغوت الذي يجثم على صدورنا

فكل ما نحتاج إلى فعله هو أن نصبح مسلمين حقاً إذا كنا نريد أن نحيا حياتنا فى عزة، ونرفل فى أنوار الجنة فى الآخرة

إن أولئك الذين يسعون إلى تنظيم حياة الآخرين بصفتهم حكاماً أو موظفين أو أرباب أسر أو أوصياء لابد لهم وأن ينتبهوا؛ ذلك لأنهم بحكم تقلدهم هذه المناصب إنما يتحملون المسئولية أمام الله عن الأحوال الروحانية والخلقية لأولئك الذين يعيشون فى كنفهم

الملاحظة الأخيرة تأخذنا إلى أحد التساؤلات الأساسية التى تواجه الإسلام المعاصر، وهذا التساؤل يتعلق بالعلاقة بين الإسلام والسياسة، إنه تساؤل جوهري لأنه يتعين علينا الرد عليه قبل أن نعالج المسائل المعنية بالجوانب العملية للحياة كما ينبغي أن نعيشها وفقاً لتعليم الإسلام

إن حيرتنا الشديدة بشأن هذا التساؤل الأساسي حول علاقة الإسلام بالسياسة لأمر جلي وواضح فى أحوال العالم الإسلامي ذاته، والمسئولية عن ذلك بالمعنى العميق لهذا التساؤل يقع

على عاتق قادة الدول الإسلامية، وبعض هؤلاء القادة يهيم على وجهه فى خضم جهل مطبق بينما الآخرون على وعي تام بما يفعلونه، وفى كل يوم وبطبيعة الأحوال تتفاقم المشاكل الناجمة عن حيرتنا وارتباكنا على يد أعداء الإسلام، وهؤلاء الأعداء يسعون إلى استغلال ضعفنا وفرقتنا من خلال ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية ومن خلال أعمال الإذلال والإرهاب والإبتزاز والإحتيال، وهؤلاء يهدفون فى نهاية المطاف إلى تقويض دعائم الإسلام، ومما يزيد الأمر سوءاً أن حملتهم لتحقيق هذا الغرض السيئ تزداد شراسة بفعل تشرذم العالم الإسلامي، وزيادة على ذلك أصبحت إقامة شعائر الدين الإسلامي اليومية بالنسبة لكثير من المسلمين تمثل مشكلة نتيجة لإجبارهم على أن يعيشوا فترات طويلة بعيدين كل البعد عن طريق ممارسة الحياة الإسلامية، ومحرومين من وسائل وأدوات الدراسة وحتى من القرآن ذاته0 وفى هذه الحالة اضطر هؤلاء المسلمين إلى الاكتفاء بإقامة الشعائر الرسمية

بالنسبة للمسلمين الذين يعيشون تحت حكم مسيحي لم يبق لهم سوى شكل الإسلام دون جوهره، ولقد اضطر هؤلاء المسلمين إلى العيش فى عباءة ما يسمى بالشرعية الديمقراطية، وتحول إلى الإسلام إلى أثر يذكر على سبيل التهكم، فضلاً عن تعمد إظهار الإسلام بهذه الصورة التهكمية أمام جموع العالم من خلال وسائل الإعلام الالكترونية، والغرض من ذلك هو بذر بذور الشك بين المسلمين ومن يحتمل أن يتحولوا إلى الدين الإسلامي حول هذا النمط من الحياة الإسلامية، وزيادة على ذلك يتم عن عمد مقارنة الحياة الإسلامية بنمط الحياة الديمقراطية أو إذا أردنا التعبير الصحيح مقارنة الحياة الإسلامية بنمط الحياة المسيحية

ونحن بالطبع مستهدفون من خلال إطلاعنا على مزايا الحياة المسيحية حيث تنسب إلى نفسها كل شئ يمكن اعتباره جانباً إيجابياً، ويتم تقديم وجميع إنجازات العلم والتكنولوجيا والفن والثقافة على أنها إنجازات العالم الديمقراطي الذي يعمل جاهداً من أجل تحقيق التقدم فى مسيرة الديمقراطية للبشرية بأسرها

وفى نفس الوقت ليس ثمة غرابة من أن نجد أن كل شئ سلبي فى العالم تلقى المسئولية عنه على الإسلام وكل ما يمت للإسلام بصلة وكل ذلك يتم على نطاق واسع وباستخدام كافة ألوان المهارة بصورة رتيبة لدرجة أنه يصعب حتى على الشخص المتعلم وواسع الإطلاع ملاحظة كيف تقلص جوهر ومضمون هذا الدين السماوي من الحياة اليومية، وهذا التقلص

تصاحبه حرب دعائية لا تفترضد الإسلام، لعل وعسى يدب الشك فى نفس البعض حول أسس ومقومات هذا الدين السماوي

وفضلاً عن الجوهر الروحي والثقافي للإسلام ينطوي هذا الدين على أيديولوجية واضحة ومنهج أخلاقي يعني بتنظيم وممارسات حياة البشر، وتجري حالياً عملية لإفساد هذا الدين من خلال إضافة أفكار أجنبية إليه مستوردة من أديان أخرى وطرق تفكير مصممة لجعله جذاباً فى نظر ذوى الأفكار والأفق المادي الضيق، كما يجري استعمال الأجهزة التكنولوجية لصناعة المعلومات الحديثة فى هذا الجانب المستوحي من الافكار الشيطانية للهجوم على الإسلام، ويتمثل الهجوم الرئيسي لهذه الحرب الشاملة ضد الإسلام فى الجانب السياسي؛ ذلك لأن محو الإسلام من حياة المسلمين لا يكون ممكناً إلا إذا تم تغيير مفهوم الحياة البشرية عند الناس، وتحقيقاً لهذه الغاية يتم استخدام مصطلحات مثل الحكومة والحياة الوطنية على نحو يعطي أولوية المطلقة لفكرة الدولة

والهدف من ذلك محاولة تحويل الدولة إلى غاية فى حد ذاتها0 بحيث تمثل الدولة بداية ونهاية وجود الإنسان، ونمط حياته وغاياته، وبهذه الطريقة تكون الدولة هي معبودة أولئك الذين أوجدوها وأولئك الذين يخدمونها، وهؤلاء الأخيرون هم الموظفون الحكوميون والفنيون الذين يحلو لهم التفكير فى أنفسهم وتقديم أنفسهم على أنهم أفضل البشر فى حين أن واقع الأمر هو أنهم هم الأسوء بالقدر الذي يجعلهم مثالاً للشر واللاإنسانية

إذن ما هي العلاقة الحقيقية بين الإسلام والسياسة؟ نأمل أن نتمكن من الإجابة على هذا السؤال قبل أن نسترد الأرض التى فقدناها0 فدعنا نحاول إيجاد إجابة دون أن نضيع فى خضم التفسيرات المعقدة والمراجع العلمية لهذا المحيط المترامي الأطراف المتمثل فى الدراسات الإسلامية، ودعنا نحاول أن نستخدم بدلاً من ذلك قليلاً من الفطرة السليمة والحصافة التى حبانا الله بها

الإسلام هو سياسة العدل وبراعة الفكر، إنه هو سياسة تقدم البشرية فى حياتهم الدنيا وهو سياسة القيم الخالدة، إنه هو القانون الإلهي الخالد والدائم ديمومة الإله الخالق ذاته، ولقد قدم لنا الإسلام قانوناً أخلاقياً هو أساس ثقافتنا ودعائم حياتنا، فلقد أوضح لنا الإسلام دور العلم والتكنولوجيا والفن فى حياة البشر وهدانا إلى نمط السلوك الإنساني والعلاقات على كافة المستويات سواء مع الأفراد أو المنظمات أو الدول وهو باختصار يضم كل هذا فى نطاقه وبين

جنباته، وإذا بدأنا بمسألة أن الحياة الحديثة لا توجد خارج نطاق الدولة ولا يمكن فهمها خارج هذا النطاق، يصبح من الواضح أن فصل الإسلام عن الدولة هو بمثابة فصله عن جوهر حقيقته، وفى الاتجاه الآخر فإن أي ضغوط تمارس على الإسلام فى النطاق الحكومي لا بد وأن تشكل تعقيداً للحياة نفسها، وهل هناك شخص عاقل لا يفهم أن الإسلام لا يمكن ممارسته خارج النطاق السياسي؟ إذا لم يدخل الإسلام فى المجال السياسي فإنه يفقد ماهيته كمنهج حياة شامل، ومن وجهة نظر العالم الإسلامي لابد وأن يشكل الإسلام أساساً لكامل المنظومة المركبة للعلاقات التى تشكل الأمة الإسلامية

وبكل بساطة يمكن القول بأن الإسلام خارج نطاق السياسة يفقد ماهيته كإسلام، وكل مسلم حق يشعر بداهة بذلك كما أن أعداء الإسلام يقرون بهذه الحقيقة إلى حد ما لأن هذه الحقيقة تمثل نقطة إنطلاقهم فى معركتهم ضد الإسلام، فإن محاولة إبعاد الإسلام عن السياسة ومن ثم إبعاد السياسة عن الإسلام تمخضت عن الخروج بهيكل هش يسهل تخريبه، وهذا الفراغ الذي أوجدوه يشجع على بزوغ كافة أنواع الطوائف والجماعات التى تحاول فرض أفكارها المتعارضة وغير المدروسة على الناس، وهذا أمر يمكن أن يكون فى غاية الخطورة، ذلك لأن هذه الطوائف والأحزاب الزائفة يمكنها تجميع جيش من المناصرين لها ليقوموا من منطلق سذاجتهم وبصورة متعصبة بتنفيذ الأوامر التى يصدرها لهم أناس هم فى حقيقة الأمر أعداء للإسلام0 وهؤلاء الناس وأتباعهم يخربون الإسلام بإضعافه من الداخل، ومن ثم فإنهم يتصرفون في الحقيقة ضد أهدافهم المرسومة

إذا فرغ الإسلام من محتواه السياسي يصبح إسلاماً دون مضمون قانوني، وعندما يحدث ذلك يصبح المجتمع الإسلامي عرضة للتهديد بأن يجد هذا المجتمع نفسه محكوماً وفقاً لقوانين أجنبية، وأفضل هذه القوانين -أن وجدت بينها تفاضل يمثل خرقاً لتعاليم القرآن وسنة النبي، وهذا الخرق بالطبع يمثل خيانة لله، والأسوء من ذلك أنه يمثل خيانة لله فى مواجهة الكافرين ولا يعتبر سوى استسلاماً للغزاة، وزيادة على ذلك نود التنويه إلى أنه لو حدث ذلك لأصبح المسلمون الحق الذين ينشدون الطريق القويم عرضة للاضطهاد ذلك لأن الدستور والقانون ينصون على وجوب الفصل بين الدين والسياسة

إن محاولة تتبع مسيرة الإسلام خارج نطاق السياسة درب من دروب المخاتلة وخداع الذات، إن ذلك ليس إلا نوع من أنواع إساءة تفسير أحوال العالم بل إن من يفعل ذلك يكون بمثابة من يخدع نفسه، وأخيراً يمكن القول بأنه طالما أن ذلك خداع للنفس فإنه يستتبع خيانة لله

والإسلام بعيداً عن السياسة يكون منافياً للعقل، وكل ما ينتهج هذا المنهج المتمثل فى فصل الدين عن السياسة ليس له صلة بالإسلام الذي أنزله الله إلينا فى القرآن الكريم على لسان نبيه محمد، بل ليس له صلة على الإطلاق بذلك القانون الشامل والخالد ولا يمت بصلة للطريق القويم الذي يسلكه المؤمنون

لماذا هذه الرغبة فى فصل الإسلام عن عالم السياسة والحكومة، ومن الذي يستفيد من ذلك؟ المستفيد الأول من ذلك هو الشيطان بطبيعة الحال، إنه الشيطان الذي أقسم بغواية الإنسان وإبعاده عن الطريق المستقيم، وأي طريقة يمكن أن تكون أكثر فعالية فى هذا الصدد من إكراه المؤمنين على العيش بعيداً عن شرع الله؟ وفوق كل ذلك، إذا كان الناس يريدون أن يعيشوا وفقاً للقانون الإلهي، لابد وأن يطبق هذا القانون فى كل مكان وفي كل شئون حياة البشر، وإذا كان هناك أي جانب من حياة المسلم لم يتم تقنينه وتنظيمه على ضوء القانون الإلهي حتى ولو للحظة واحدة، فلابد أن نكون على يقين من أن الشيطان يتربص بنا فى هذا الجانب، وإذا لم نعش وفقاً للقانون سنكون عرضة لتهاوي أساس عقيدتنا، وسوف تتسرب الغواية والشك إلى نفوسنا، وإذا ضل الأفراد طريقهم سيضل المجتمع الإسلامي بالضرورة ويفقد وجهته، ومن ثم يضعف ويتلاشى لأن المجتمع الإسلامي شأنه شأن أي مجتمع ليس سوى مجموعة من الأفراد يمثلون أعضاء هذا المجتمع، وإذا أدركنا ذلك تتضح لنا حالة المجتمعات والأمة الإسلامية، وإن ما نشهده اليوم يمثل وضعاً مأساوياً لا يمكن تداركه إلا بالمبادرة إلى التطبيق الكامل لشرع الله

وإذا تم تطبيق شرع الله بكامل قد سيته وشموليته، فإن المجتمع يكون قد كفل لنفسه حماية أفراده من الضياع، ويدرك أعداؤنا ذلك جيداً ولذلك فإنهم يبذلون كل ما في وسعهم لكي يخلقوا فى الدول الإسلامية الكثير من المعوقات والتشويش فيما يتعلق بالقانون الإلهي، وفى حالة الاستطاعة يقومون بإفساد شرع الله من خلال إدخال قوانين أجنبية تحمل فى طياتها أسباب إضعاف المجتمع ومن ثم إضعاف عقيدة أفراد هذا المجتمع، ويرجع ذلك ببساطة إلى أن قوانين الدولة تضع قواعد

السلوك المطلوبة من كل فرد بالمجتمع ومن ثم ليس من الصعب إدراك ماهية هذه القوانين من حيث ما تحمله فى طياتها من تخريب وعدم لياقة وفساد

إن فصل الإسلام عن السياسة يعني فصله عن المجتمع وعن حياة البشر، وإذا تم فصله على هذا النحو فإنه يفقد جوهره حتى فى النواحي الخاصة والأمور الشخصية، ويصبح مجرد طقوس فارغة لا أكثر ولا أقل، ورغم ما يعتمل فى نفوس أعداء الإسلام من تصميم على النيل منه وكراهيته فإنهم لا يتقاعسون عن محاولة الإساءة إليه وحظر تطبيق تعاليمه أكثر فأكثر

مما ذكر، يتضح جلياً أن قوانين المجتمع الإنساني ولا سيما المجتمع الإسلامي لابد وأن نؤخذ فقط من القرآن ومن سنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام

وليس لغير المسلمين أن يخافوا أو يخشوا من ذلك لأنهم لن يخضعوا لأي محظورات خاصة بسبب عقائدهم، وهم بالطبع يتعين عليهم أن يلتزموا بالمحظورات العامة المتعلقة بالأنشطة المعادية للإسلام، وخلاف ذلك، فإنهم أحرار فى أن يعيشوا ويعبدوا ما يختارونه لأنفسهم، وفى النهاية فإنهم سوف يحاكمون مثلنا أمام الله

إن ما يطلق عليه مسمى العملية الديمقراطية يتعين عدم حظرها وإنما يجب عدم تطبيقها كمبادئ تنظيمة مركزية، ذلك لأن هناك كثير من الحالات لا تلبي فيها الديمقراطية متطلبات الإسلام، وإن الشريعة الإسلامية تمنح الفرد من الحقوق والحريات داخل المجتمع أكثر من أي قانون آخر، وإن الإسلام هو الأساس الوحيد الدائم الذي تقوم عليه دولة القانون بالمعنى الصحيح لهذا التعبير، ومن أجل ذلك فإنه يشكل الأساس الوحيد الدائم لقيام منظومة القانون الدولي المنصف والعادل

ويرجع ذلك إلى أن الإسلام فى تطبيقاته الصحيحة والشاملة لا يخضع لأهواء التفسير البشرى ولا يسمح بأي تهاون مفرط فى أحكامه، ومقياس شدة هذه الأحكام واضح وسهل الاستيعاب وما ذلك إلا لأن الشريعة الإسلامية تستنير بكلمات الله، وملاءمة هذه الشريعة لمهمة تنظيم حياة البشر والمجتمع يمكن الحكم عليها من واقع أن واضع هذه الشريعة هو خالق الناس والمدرك لجوهر ومعنى الحياة بكليتها، والشريعة لا تقل فى شئ عن الدستور الإلهي، إنها شريعة الله، والقانون الذي أنزله لينظم بالعدل والقسطاس حياة الناس والمجتمع حتى يوم الحساب

إن تطبيق هذه الشريعة يعني العودة بالإنسانية إلى حالتها الأصيلة كما يعني ذلــك العــودة بالإنسانية إلى مكانها الصحيح فى المنظومة الإلهية، هذه الشريعة توفر لكل مخلوق من مخلوقات الله الأساس السليم للسير على الطريق القويم فى هذا العالم مع إخوانه المؤمنين ووســطهم وهــذا يعني تمهيد الطريق القويم لمن أراد أن يسلكه0 وهذا الطريق هو السبيل الوحيد الذي يؤدي بمــن يسلكه إلى الله وإلى الجنة0 وليس هناك وفقاً لمعايير القيم الإنسانية أعظم أهمية من إتبــاع هــذا الناموس الإلهي

وإذا كان الحلم الخالد بالعودة إلى الجنة مرتبط بإقامة شرع الله فى الأرض والحرص على تطبيقه، فإن ذلك يرتبط إرتباطاً مباشراً بحالة العقيدة فى الأمة الإسلامية، وذلك لأن الله قال فــى القرآن الكريم أنه لن يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

إن هذا يعني أن أي مسلم لن تكون لديه القدرة على تغيير أي شئ فى حياته الــدنيا حتــى يعني بنفسه وبعقيدته، وبعبارة أخرى يجب على المسلم أن يكرس كل حياته فى التوجه إلى خالقه ويشرع فى العيش وفقاً لأوامره فى مجالات الحياة البشرية الخاصة والعامة على السواء

ومن بين كل المشاكل التى تواجهها الأمة الإسلامية اليوم، يمثل موضع وحدة هذه الأمــة أهم وأخطر هذه المشاكل، وإذا لم نجد حلاً لهذه المشكلة وفقاً لمبادئ الإسلام سيكون مــن قبيــل المستحيل إيجاد حل لاي مشكلة تواجه العالم الإسلامي، وسينتهي والتقاعس عن حل هذه المشاكل بهذه الأمة إلى الضعف ويمهد الأرض للشيطان ليكسب مزيداً من الأرض بأن يلقي فى طريقنــا المزيد من أسباب الغواية الفكرية والمادية

ورغم ذلك فإن وحدة الأمة الإسلامية تظل لا يمكن تحقيقها من خلال توحيد المسلمين على الأصعدة الوطنية والسياسية والدينية فحسب فهذا لا يكفي، بل لابد لها أن تعمل من أجــل إيجــاد حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية والثقافية العامة وذلك مع مراعاة الظروف المحليــة لحيــاة الناس، فبدون هذا النمط من الإجراءات العملية على المستوى المحلي، ستكون الوحــدة الشــاملة مجرد وحدة شكلية ومجموعة من الكلمات الجوفاء فلابد أن تكون الوحدة وحــدة عمليــة وعلــى مستوى حياة الناس لكي تكون وحدة حقيية

والوحدة السياسية لابد وأن تعمل جاهدة على إيجاد مكان لإضفاء التوجهات الإسلامية على الحياة فى العالم، وفى نهاية المطاف يمكن القول بأن الوحدة الشاملة لكل شعوب الأمة الإسلامية تعتبر شرطاً لتحقيق الخلاص والنجاة، وبناء على ذلك فإن هدف الوحدة فى الوقت الراهن لابد وأن يتمثل فى الوحدة الإقليمية والسياسية والروحية لكل شعب من شعوب الأمة

ومن الأهمية بمكان عند الشروع فى عملية الوحدة أن يتم إدراك الجوانب الوطنية والسياسية للوحدة الإسلامية إدراكاً واعياً وصحيحاً وهذا أمر حيوي إذا أردنا تجنب الخلافات وفى رأي أن هذا أمر صعب لأن التناقضات هي نتاج لا مفر منه للواقع الذي نعايشه

ومن ثم أصبح من المهم ألا نقيد أفكارنا وأن نأخذ كافة الأمور فى حسباننا، ففى الأماكن التى كانت فيها الأفكار محلاً للقيود والمصادرة حدثت انتهاكات وخروقات للأسس التى يقوم عليها الإسلام، وهذا أمر يتضح بجلاء مما حدث فى الجمهوريات السابقة لفترة ما بعد الحكم السوفيتي فى القوقاز مثلاً تجاهل الأصوليون والصوفية الحقائق الموجودة، ومن ذلك تجاهلهم التام للحقائق التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذات الأهمية البالغة

وبناء على ذلك أخفقوا فى مواجهة الحقائق التى نجمت عن إنهيار الإتحاد السوفيتي بالصورة الكافية ومثال ذلك فشلهم فى معالجة مطالب شعوبهم غير القادرة على إشباع متطلباتهم الروحية من خلال الأنماط الشعائرية البحتة للإسلام التى تمت فى ظل القمع السوفيتي

إن الوحدة الوطنية بكافة أشكالها اللغوية والثقافية والروحية والسياسية والاقتصادية وضعت فى الواجهة مشاكل نوعية ذات طابع إقليمي وعرقي لا يرغب كثير فى معالجتها وفهمها، ورغم ذلك فإن هذه المشاكل لابد وأن تعالج من خلال العمل الشاق والدؤوب لبحث جوهرها وفقاً للمعتقدات الأساسية للإسلام، والحقيقة أن كافة التناقضات والمنازعات فى الأمة الإسلامية لها حلول فى القرآن وسنة النبي وبعبارة أخرى فإنه لدى البحث عن حلول لمشاكلنا، سنجد أن كل هذه المشاكل لها حلول فى الإسلام، والواقع أننا سنجد لدى البحث أن هذه المشاكل تحولت إلى مسائل تتعلق بكيفية تحقيق الصحوة الإسلامية ويشمل ذلك مجالات التربية وممارسات الحياة اليومية، وجميع مشاكل المجتمع الإسلامي مشاكل يمكن تناولها من منظور إسلامي، ومن المهم أنه لدى تناول المشاكل الثقافية والاقتصادية والسياسية والإقليمية من منظور إسلامي نجد أنها

تتعلق بتعاليم محددة وردت فى القرآن وليس إلى أفكار لاحقة له حتى ولو بــدت هــذه الأفكـــار إيجابية من حيث طبيعتها

ونحن يتعين علينا بالتأكيد ألا نبني على التجارب السلبية التى واجهها الناس فــى مراحــل معينة من تطورهم التاريخي وتحت وطأة ظروف وأحوال خاصة، فالسنوات الطويلة تحت نيــر الحكم السوفيتي والممارسات والأفكار الزائفة التى تنامت فى ظل هذا الحكــم تقــف وراء هــذه التجارب السلبية، ففي هذه الفترة كان الجزء الأكبر من حياة المسلمين يسير على هدى قيم أخلاقية وقواعد سلوك أجنبية من ناحية ومعادية للإسلام فى بعض الأحيان؛ وكان لذلك تأثير هدام علــى الأفراد والعائلات والمجتمع ككل، وفى هذه الحالات تعرضنا لمخاطر إنتهاك مقومات الدين الحق المنزل علينا من قبل الله، لا سيما إذا انتهى بنا الأمر كما حدث كثيراً، إلى تقليص جوهر الــدين وتحويله إلى مجرد شعائر واحتفالات خالية من مضمونها، وليس من شك أننا نــرى فــى تلــك الأوقات أن الشيطان قد كثف من جهوده لأنه يسعى دائماً إلى غواية الناس والابتعاد بهم عن منهج الله وتصوير هذا المنهج فى أعين الناس وفقاً لمخططاته الشريرة ومن أخطر صور التخلي عــن الطريق القويم الذي أنزله الله لنا هو أن نتصور أن هناك حقاً وصدقاً بجانب الحق الــذي أقامــه الإسلام، وأن هناك سبيلاً آخر إلى الجنة بجانب ذلك السبيل الذي يقتضي منا التوكــل علــى الله وتكريس حياتنا لمرضاته دون سواه، ومن منظورنا لذلك الخطر الذي يتهدد الإسلام، يكون مــن الأساس لنا بطبيعة الحال أن ندرك ماهية الإسلام كدين سماوي

والإسلام هو الدين العالمي بالمعنى الصادق الذي يحمله هذا الوصف، إنه هو الدين الوحيد الذي يصدر وينبع من الله الواحد الأحد خالق ورب العالمين، وهو بهذه الصفة دين لم يختص بــه الله شعباً أو جنساً بعينه، إن هذا الدين هو الدين الإلهي الأوحد، وهو دين الله خالق الأكوان وخالق كل شئ تدب فيه الحياة فى السموات على مر العصور، وهو خالق كل دابة فــى الأرض، وهــو الرب الخالق لكافة الأكوان فى جميع الأزمان وهو الذي وهبنا نعمة النجاة والحياة الأبدية، ومــن اللحظة التى من الله فيها على النبي محمد بنعمة النبوة نرى هذا النبي قد أســلم نفســه لله، وبــدأ الدعوة إلى الرسالة المكلف بها ليس بصفته عربياً وإنما كمسلم شأنه فى ذلك شــأن غيــره مــن الأنبياء ومعلمي الأديان الذين ولدوا وترعرعوا فى مختلف الشعوب والقبائل0 وأصبح النبي مسلماً شأنه شأن غيره ممن أرسلهم الله لنا رحمة بنا0 لقد بعث الله النبي محمداً كخاتم للأنبيــاء وأنــزل

على قلبه القرآن كخاتم الرسالات، والقرآن بهذه الصفة نزل لهدايتنا وراحتنا طوال الفترة المتبقية من حياتنا على ظهر الأرض

فإن هذه الرسالة الخاتم رسالة شاملة وتنسخ كل ما سبقها، إنها الرسالة التى تجمع بين جنباتها كل ما تحتاج إليه لنجمع أمرنا ونتبع الطريق القويم حتى يظلنا يوم الحساب

لقد من علينا الله برحمته بأن أرسل لنا النبي محمد ليبلغ الناس بالدين الحق وإن الرسالة الحق المنزلة من الله الخالق برحمة منه لا يمكن أن تختص جنساً أو عنصراً بعينه ولا أن تخضع لقيود إقليمية، وكل الكتب السماوية تنبئ عن أن الدين السماوي دين واحد ليس دونه أديان أخرى، والإسلام يقتضي منا جميعاً طاعة الإله الخالق الواحد، واتباعنا لهذا الدين الحق الواحد، يقتضي منا أن نسلم أنفسنا إلى الله الرحمن الرحيم فى كل أفكارنا وتطلعاتنا وفى كل جانب من جوانب حياتنا، وكيف نتصور أن يكون غيره كذلك، وهو رب السموات والأرض وما فيهن، إنه هو رب يوم الحساب، وهو الذي وهبنا الحياة والموت، وهو الذي وفر لنا كافة الأسباب المادية والروحية فى حياتنا الدنيا وفى الآخرة

وجميع الكتب والرسالات المنزلة من الله تشكل كلاً لا يتجزأ، وجميع الاديان والعقائد الأخرى الموجودة على ظهر الأرض والتى تزعم أنها أديان مستقلة ما هي إلا محض إفتراء وخروج على الدين الواحد الحق، إن الثواب والعقاب الذي أتى به الإسلام وتضمنته آيات القرآن لا يختص شعباً بعينه دون غيره من الشعوب، والإسلام لا يفرق بين الناس إلا بمعيار الإخلاص والحب الشديد للدين الحق وقد جاء ذلك على لسان الله عز وجل فى القرآن حيث قال ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

وما يفرق بين الشعوب ويحولها عن الدين الحق إلى الدفاع عنه وإتباع عقائد مزيفة سوى أنانيتهم ونزعاتهم الوطنية بكافة مظاهرها الظاهرة والباطنة ولن يتأتى لنا أن نحيا حياة هانئة تتسم بالعقلانية إلا إذا تنكبنا طريق الإسلام وعدنا إليه باعتباره الدين الإلهي الواحد

إن الرجوع إلى الدين الإسلامي من جانب الشعوب الأخرى ما هي إلا عودة لهم عن ضلالة أسلافهم ليكونوا فى كنف الدين الأصل وهو دون سواه دين الحق، وليس فى ذلك تنكر للديانة المسيحية أو اليهودية أو أي عقائد أخرى سبقت رسالة النبي محمد، ذلك لأن هذه الديانات

الأخرى ما هي إلا مراحل تاريخية من مراحل الوحي بالدين السماوي والإيمان بالله، ولقد كان لهذه الديانات أهميتها فى وقتها حتى أكملها الله الخالق برسالته الخاتم والشاملة التى إحتضنها القرآن الكريم

والله سبحانه وتعالى لا يصطفي الشعوب على أساس جنسيتها أو أي معايير أخرى للتمييز بينها، وإنما يصنف الناس على أساس إسلامهم له أو عدم إسلامهم ومع ذلك لابد أن نضع فى الاعتبار أنه ليس كل من يطلق عليه مسمى المسلم هو مسلم حقاً، فالمسلم هو الذي يسلم تمام التسليم بوحدانية الله وبالطريق القويم الذي رسمه الله للمسلمين، والتسليم بذلك أمر مباح وفى استطاعة كل فرد حتى آخر يوم فى حياته الدنيا وماذا نبتغيه بعد ذلك كدليل على رحمة الله التى لا حدود لها

إن انتصار الحق والعدل، والحب والوئام بين الشعوب والأجناس يكمن فى الرجوع إلى الدين الإلهي الحق ومع ذلك يجب على كل منا أن يدرك أن إتباع منهج الإسلام لابد وأن يتسم بالحرص الشديد والتدقيق فى كافة الأمور، وإذا تحقق ذلك إسترد الإسلام قوته واستعاد وضعه الذي فقده فى معظم الجوانب الهامة من حياتنا الدنيا

إن النهوض بالمكانة التى اختص الله بها الأمة الإسلامية وترسيخها لن يتأتى إلا إذا اتحدت شعوب هذه الأمة فيما بينها وهذا أمر فى متناول أيديهم إذا كانت لديهم القدرة على التعايش وفقاً لمصالحهم ومبادئهم المشتركة، وهذا الأمر يصدق على الدول الإسلامية بصفة خاصة التى ينبغي عليها أن تعمل من أجل خير كافة المسلمين وتحقيق مصالحهم المشتركة، ولابد لنا من التعرف على المشاكل الاستراتيجية المشتركة، والعمل وفقاً لتعاليم القرآن التي تنادى بأن جميع المسلمين أخوة وبوسع المسلمين تحقيق ذلك إذا تعلمنا كيف نحافظ على تنقية الإسلام من كل شئ دخيل عليه يفسده ويقلصه فى نفوسنا

وعلى المسلمين فى سبيل ذلك، أن يفرقوا بين الإسلام كما ينبغي أن يعيشه المسلمون وبين الشعائر الشكلية الفارغة التى انحدر إليها الإسلام فى كثير من الحالات

ففى هذه الدنيا ليس أمام الإنسان سوى طريقين يفاضل فيما بينهما، أحدهما ينبع من الحق والثاني ينبع من الجهالة، ونحن مطالبون بأن نفاضل بين طريق الصلاح وطريق الشر، وهو خيار

لابد وأن نقيمه بين الله وبين الشيطان، وكل شئ حدث فى هذه الدنيا حتى وقتنا هذا سلك أحد هذين السبيلين، ولكن كيف نتعرف على الطريق القويم ونفرقه عن الطريق الزائف؟ الله وحده هو الذي يعلم ذلك، غير أنه سبحانه وتعالى وهبنا نعمة العقل والمعرفة والوعي والهداية لكي نشق طريقنا فى هذه الحياة، ومع ذلك فإننا ندرك أن الإنسان ليست لديه القدرة على الإمساك بتلابيب كل صنوف المعرفة وأن إدراكه محدود، وأنه كثيراً ما يقع فريسة للأفكار والمفاهيم الخاطئة والتي يمكن القول بأنها فى بعض الأحيان تكون وفقاً لاختياره، ذلك لأننا نظن من منطلق العجرفة أننا قادرون على الإلمام بكافة صفوف المعرفة، ونحن مخطئون فى ذلك فعلومنا التى نفاخر بها كثير منها مغلوط، وذلك من واقع استعراضنا لتاريخ هذه العلوم الذى يكشف عن وجود كثير من الأخطاء فى مناهج فكرها، وفضلاً عن ذلك فإن كل تفسيراتنا هي من نتاج البشر بما يتسمون به من قدرات محدودة، والبشر ليست لديهم البصيرة الإلهية، ذلك لأنهم يتلقون معارفهم من خلال التعليم الذي يلقن لهم فى بيئات وأطر محددة، فضلاً عن أن درجة تخصص المعلمين تؤثر إلى حد كبير على معارفنا وطرق تفكيرنا، وحيث لا تتوفر لنا المعرفة الكاملة ومن ثم لا يتوفر لنا الحكم الصائب على الأمور فإنه يتوجب علينا أن نعول على هداية الله

إن التعليم والعلوم بما لها من أهمية فى تقدم البشر تتأثر سلباً أكثر من غيرها إذا فقدنا الإتصال بالمغزى الحقيقي للحياة وطبيعتها، وهناك فى هذه الدنيا نوعان من التعليم، شأنه شأن كافة جوانب الحياة الأخرى، النوع الأول يهدف إلى تعليم البشر مقومات الحق والصدق والنوع الآخر يهدف إلى تعليمهم مقومات الزور والبهتان، وكلا النوعين يمكن أن يطلق عليهما إصطلاح العلم ويتم تقديم أحد هذين النوعين من العلم من منطلق الاعتراف بوجود الإله الخالق والثاني هو نتاج ألاعيب الشيطان، وهذا الأخير ينكر وجود الله مبدئ الخلق، وهو تجسيد لأغراض الشيطان بكليتها، إذ يعمل الشيطان على ضلالة البشر من خلال إفساد عملهم ومعارفهم0 وبناء على ذلك فإنه من قبيل الانتصار الكبير للشيطان فى العالم الحديث نجاحه فى تقسيم العلوم والمعارف إلى عنصرين منفصلين تمام الإنفصال هي العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، ولقد كان من شأن تقسيم العلوم والمعارف إلى عنصر علمي وآخر ديني أن فصل هذه العلوم والمعارف عن الحقيقة، ذلك لأن الحقيقة كل لا يتجزأ وإذا تناولناها على غير هذا المفهوم فإن ذلك ينتهي بنا إلى سوء الفهم والزيف، وزيادة على ذلك يمكن أن يسفر ذلك عن تحقيق تقدم يبدعنا عن طريق الخلاص والنجاة، ونحن فى حاجة إلى توحيد العلوم والمفارق لتمثل كلا أكثر ثراءاً وصدقاً يتمثل وجود الله

فى صميم جوهره، وليس لنا غني عن توحيد كل شئ يتعلق بمجالات التنمية البشرية فى نظام واحد يقوم على أساس من القرآن وسنة النبي عليه السلام

وبدون لك سنستمر فى التعرض لمعارف فاسدة تؤكد أن الإسلام يتعارض مع العلم، ونظراً لأن العلم يعتبر من الناحية الموضوعية من قبيل المعرفة الراسخة، يتم الاستطراد بالقول بأن الإسلام لابد وأن يكون من قبيل الزيف، وهذا من قبيل الأعمال الشيطانية فى مقاصدها، وحقيقة الأمر أنه ليس هناك أي شئ يقوم على الصدق فى جوهره ويتعارض مع الإسلام، وأخيراً ليس هناك معارف يمكن وصفها بهذه الصفة فى هذه الدنيا ولا يكون مصدرها الله

وبناء على ذلك فإن صدق أي درب من دروب المعرفة يجب أن يتحدد فى ضوء القرآن والسنة، وليس عندما تصبح الآثار الأليمة لذلك التقدم أو الإنجاز العلمي المزعوم واضحة وجلية، وكل شئ يتم فى سبيل تتبع المعرفة والتقدم بعيداً عن الإسلام يعتبر زائفاً وخارجاً على الإسلام

لقد وهب الله كل فرد فرصة إكتساب المعرفة فى جانب من جوانب الواقع الذى نعيشه، ومع هذا لا يعد ذلك منحة أو عطية تحقق لنا الفائدة فقط، ولكنها فى نفس الوقت اختبار لنا، والمعرفة البعيدة عن العقيدة والأخلاق تعتبر خطأ محتوم يؤدى بنا إلى ما يطلق عليه مسمى التقدم وهو فى نهاية المطاف ضار بنا، ذلك لأن ما نكتسبه من معارف وما نحققه من تقدم يعتبر من قبيل المعارف المضللة والله منها براء، لأنها من صنع أيدينا وأتباعنا لها إنما يقودنا بعيداً عن الصدق الواقع

هذا النوع من التضليل إن لم نصفه بأنه جريمة، فإنه يفسد أفكار ما يسمون أنفسهم بالمسلمين التقدميين؛ وهؤلاء مسلمون استقوا توجهاتهم من التعليم الدنيوي ويتبنون رأيا مؤداه أن التعلم والمعارف الحديثة، ولا سيما فى صورها العلمية والتكنولوجية تقتضي تغيير الإسلام فيما يتعلق بمعاييره الخلقية ومبادئه

ومن المفاهيم الخاطئة، التى لا تقل ضرراً عن ذلك، محاولة حماية نقاء الإسلام بعزله عن أي إتصال بالمعارف والتطبيقات العلمية الحديثة، وبطبيعة الحال فإن الحقيقة تتمثل فى أن الإنصراف عن العالم، أياً كانت رؤيتنا لذلك، تعتبر شأنا غير إسلامي

ولكي نحمي ونصون بقاء الإسلام يتعين علينا ألا نفرض عليه تدابير تقيد حركته والعكس هو الصحيح؛ إذ من الواجب علينا إدخال الإسلام فى حكومات ومجتمعات كافة الشعوب الإسلامية وهذا يعني بالضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، ففي تطبيقها حماية للإسلام وتوفير الأسس المأمونة لتطور وتقدم الأمة الإسلامية

فى هذه الحالة تصبح مزايا الإسلام ظاهرة للعيان فى مواجهة الأديان ونظم العقائد الأخرى، وإذا حققنا ذلك، نكون قد رسخنا ظروف العودة الإرادية للإسلام، وهذه العودة الإرادية لكافة الشعوب التى ضلت سبيلها أو تم التربص بها فى سيرتها التاريخية سيكون من شأنه أن يرسخ فى الأرض دعائم الدين الحق والأوحد

إن تقييد المعرفة بالنسبة لأي فرد أو مجموعة معينة يشكل جريمة ويترتب عليه إلحاق أضرار خطيرة بالمجتمع ككل، وهذا التقييد فى واقع الأمر يعتبر إنكاراً لحق أكده الله فى القرآن والسنة

وقد أوضح القرآن والسنة أن طلب المعرفة ليس فقط حقاً من الحقوق التى تكفل للمسلمين القدرة على تحقيق مستويات عليا من التعليم والمعرفة، وإنما هو واجب ملزم لهم، وقد أمرنا الله بأن نعلم أنفسنا ومن ثم يجب ألا تكون هناك تفرقة من أي نوع ضد أي فرد فى مجال اكتساب المعرفة والتعلم

إن تدابير الخطر فى مجال التعلم والعلوم تلحق ضرراً بالغاً بصفة عامة بالشعوب الإسلامية وبالدول على وجه الخصوص، واجبنا عندئذ هو أن نقنن وننظم بدلاً من أن نحظر بحيث لا تتعارض عمليات التعليم والبحث لدينا مع أخلاقيات الإسلام، واجبنا أن نعمل على التوصل إلى تعليم لا ينفصل عن الدين ويسمح لنا - فى إطار الحدود التى رسمتها الأخلاق ومبادئ القانون - بحرية متابعة سبل المعرفة والفهم، وهذا من شأنه إبراز الحاجة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية العالمية والشاملة التى هي الناموس الإلهي الحق

إن الرجوع إلى تاريخ نظام الخلافة العربية يقنعنا بأن أساس إزدهار وقوة هذا النظام يكمن فى التعليم والبحث العلمي والتنمية الاجتماعية المرتبطة إرتباطاً وثيقاً بتعاليم الإسلام

إن الاهتمام البالغ الذي اختص به النبي محمد عملية تعليم المسلمين تتجلى فى إخلاء سبيل أسرى أعداء الإسلام إذا قام الواحد منهم بتعليم الكتابة لعدد معين من المسلمين، وهنـــاك حـــديث يحث على التعليم إذ جاء فى متنه "إطلبوا العلم ولو فى الصين" والدرس المستفاد فى هذا المقام هو ألا ندخر وسعاً فى سبيل تحصيل العلم والمعرفة

وطلب العلم والمعرفة درب من دروب الجهاد، وهذه تمثل صوراً من صور الكفاح التـــى أمر الله بها كل مسلم من أول يوم فى حياته حتى يلفظ آخر أنفاسه إن الجهاد واحد من العناصـــر الأساسية فى الإسلام وهو أيضاً من أصعب المسائل التى تواجهنا فى العالم الإسلامي، والجهاد هو السبب وراء معظم الهجمات السياسية التى تشن ضد الإسلام، وأعداء الإسلام يطلقون على الجهاد مسمى الإرهاب أو التطرف فى حين أن المعلمين الوطنيين المزعومين لا يحاولون التفكيـــر فـــى ذلك حتى لا يضطروا إلى مواجهة الغرب المتحضر كممثـــل للعقائـــد الرجعيـــة، وحتـــى قـــادة وحكومات غالبية الدول الإسلامية بما فى ذلك بعض الدول التى تطلق على نفسها مسمى الـــدول الإسلامية يحاولون الإبتعاد عن تناول هذا الموضوع

ويقف وراء الكثير من الهجمات السياسية ضد الجهاد فكرة ومفهوم أن الجهاد هو بمثابـــة حرب، وهذا المفهوم هو الفكرة السائدة لدى وسائل الإعلام غير الإسلامية، والجهاد فى حقيقتـــه مجموعة مركبة من التعهدات المطلوبة من المؤمنين بالدين الإسلامي، وتتمثل هذه التعهدات فـــى أن يكرس الفرد حياته لله ويحي حياته باسم الله، ويعمل على ترسيخ كلمة الله وشريعته فـــى هـــذه الدنيا، والحرب ما هي إلا جانب من جوانب الجهاد، وهي بطبيعة الحال أمر لابد على المســـلمين من الاستعداد له عندما تفرضها الظروف كأمر حتمي لا فكاك منه، ومن المشاكل التي تصادفنا أن أولئك الذين يخطئون تفسير معنى الجهاد وأولئك الذين يتعمدون تشويه صورته يحاولون فـــرض تفسيرهم لمفهوم الجهاد على حساب حقيقة هذا المفهوم

وفى حين أن الجهاد قد يأخذ شكل الحرب فإن الحرب ليست جهـــاداً0 وواقـــع الأمـــر أن الحرب أمر يدينه الإسلام كدرب من دروب الشر

وبالمثل، إذا كان البعض يطلقون على الحرب مسمى الجهاد وهي ليست كذلك، فإن الجهاد الحقيقي ليس تطرفاً أو إرهاباً كما يسميه كذلك الروس وغيرهم من أعـــداء الإســـلام، والحـــرب تصبح جهاداً إذا تم شنها وفقاً لشريعة الله وباسمه، ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين يعتقدون

من منطلق جهلهم فى الشعارات التى يستخدمها أعداؤهم، وهذه الحقيقة وحدها تعتبر شاهدة علـــى الحالة الراهنة للأمة الإسلامية

لقد أقنعنا الشيوعيون والديمقراطيون والتحرريون ومن على شاكلتهم بأن القتال والموت من أجل مصالح الدولة، بغض النظر عن ماهية هذه المصالح، أمر لا بأس به وعمل محمـــود، ذلـــك لأنهم يطلقون على ذلك مسمى الوطنية0 وقد يشمل هذا المفهوم التضحية بحياة الفرد خدمة لبعض الأسباب البغيضة، دون أي اكتراث0 والوطنية كما قيل لنا أمر محمود، وعلى الجانـــب الآخـــر ووفقاً لمعتقدات نفس الشعب نجد أن القتال فى سبيل الله وباسم ترســـيخ شـــريعته فـــى الأرض، والموت من أجل الخالق يحمل لديهم مسمى الإرهاب

ولقد أخرج لفظ الجهاد من لغات كثير من الدول الإسلامية وتم استبداله بألفاظ مناقضة مثل التطرف والإرهاب والعدوان لقد أصبح لفظ الجهاد بمثابة شعار أو سمة تطلق على من يختارون طريق المقاومة الإسلامية باعتبارهم طرداء المجتمع أو مجرمي الدولة، ولقد تم تشـــويه مفهـــوم الجهاد للتقليل من شأنه والإستهانة بمن يتنكبون سبيل المقاومة، والنيل من قدر المقاومة ذاتها، وأن تشويه مفهوم الجهاد يستخدم كسلاح ضد المسلمين والضمير الإسلامي

ومع ذلك يفهم المسلمون الحقيقيون المعنى الحقيقي للجهاد وعدم قابليتـــه للإنفصـــال عـــن الإسلام، وأنه معلم من معالم الطريق القويم الذي رسمه الله لنا ومن ثم فهو عنصر من عناصـــر الحياة الإسلامية كما يصورها القرآن الكريم

وفى الوقت الراهن، يتصرف العالم الإسلامي باستثناء فئة قليلة، بســـلبية لا تغتفـــر إزاء سياسات ما يسمى بالمجتمع الدولي، ويعتبر العالم الإسلامي شاهد صامت على جرائم الكافرين فى حق الله، وهذه السلبية انعكست فى اختفاء كلمة الجهاد من لغات كثيرة كلفظ يمكن الرجوع إليـــه، واختفى لفظ الجهاد من الخطب فى المساجد حتى فى الدول والشعوب الإسلامية الرائدة، واختفـــى هذا اللفظ فضلاً عن ذلك من كتاباته الفقهاء والمعلمين الرواد فى العصر الحديث ومـــن منـــاهج المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية، ولا غرابة فى أن نكتف اختفاء هذا اللفظ من الأحاديـــث اليومية للمسلمين العاديين الذي يجري إمطارهم بالقيم الأجنبية لما يسمى بالديمقراطية وكل هـــذا يحدث فى ظل موافقة صامتة من قبل المسلمين المثقفين والرموز السياسية والزعمـــاء الـــدينيين،

والواقع وأن ذلك يتجاوز فى بعض الأحيان مجرد الموافقة، حيث يؤيد هؤلاء الرموز بشكل مباشر محو أحد المفاهيم القرآنية الأساسية من حياة وضمير غالبية المسلمين

وهذا من شأنه أن يسهل نسبياً مهمة أعدائنا ليصعدوا من هجماتهم على الإسلام، والشئ المحزن هو أننا نقبل عمليات التشويه والكفر هذه كعبيد مشدوهين يأخذ الخوف بتلابيبهم

ونتيجة لهذه الحرب الدعائية التى لا تهدأ فإن كثير من المسلمين، لا يفهمون المعنى الصحيح للجهاد، ومن ثم فإنه بدون التنقيب عن التفاصيل الأكاديمية دعنا نرى كيف نستطيع صياغة معنى عملى لما يعنيه لفظ الجهاد بالفعل0 وبصفة أساسية، الجهاد يعني الكفاح والمقاومة التى يتعين على المسلمين أن ينخرطوا فيها بتصميم والتزام من أجل تعاليم الله، إنه جزء من حياة المسلم ومن حياة البشر كما ينبغي أن يحياها هؤلاء البشر، وهو جزء من حياة المسلم من بدء إدراكه ما يجب أن يكون عليه المسلم حتى آخر نفس فى حياته، والجهاد حياة وكفاح باسم الله على الطريق الذي هدانا الله إليه، ومن المستحيل أن نحيا حياة المؤمن الحقيقي أو حياة المسلم بدون جهاد، فبدون الجهاد لا يكون المسلم مسلماً حقاً، وتصبح حياتنا غير مكتملة ومشوشة وغير ذي أثر، إن عدم وجود الجهاد كمبدأ نابض بالحياة تجعلنا ضعفاء وعرضة لأكاذيب ومؤامرات أعدائنا، وفى حياة المسلم الحق يصبح الجهاد هو المبدأ الحي الذي نؤدي من خلاله كل أمورنا فى خدمة الله وعباده، وبالطبع فإن صفات الشجاعة والإلتزام مطلوبة للجهاد فى الحياة اليومية تكون لازمة فى حالة الحرب، والحرب للأسف تكون ضرورية فى بعض الأحيان لعدم وجود خيار آخر من أجل الدفاع عن عدالة الله فى الأرض

وأسمى أنواع الجهاد هو محاربة الكافرين باسم الله، إذا كان الغرض من تلك الحرب هو حماية المسلمين وأراضيهم والدفاع من مبادئ الإسلام، ومع ذلك يكون من الأهمية بمكان أن نؤكد أن الحرب يجب ألا تكون غاية فى حد ذتها0 ولا يجوز إعلان الحرب إلا إذا لم يكن لذلك بديل، والحرب حينئذ تحمل مسمى الجهاد، وهذا النوع من القتال هو الذي فرضه أعداء الإسلام على المسلمين وفى هذه الحالة يحملنا الله مسئولية الدفاع عن أنفسنا إذا لم يكف أعداؤنا عن مهاجمتنا

ويجب ألا نتوقع ذلك منهم حيث جاء فى القرآن الكريم : "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا"، وبالطبع فإننا لن نغفل ذلك ولقد أظهر تاريخ البشرية أن التحرر من الظلم والقهر مستحيل بدون الجهاد، فمن المستحيل أن تحمي دينك الحق والعدل والحرية دون

اللجوء إلى الجهاد، وعندما يكون الجهاد هو السبيل الوحيد الباقي، فإننا نكون مطالبون بأن ننخرط فى صفوف الجهاد، فى صورة حرب إذا ما وقع الاعتداء على شعبنا وأراضينا وديننا، والحرب إذا أعلنت لأي سبب آخر تعتبر جريمة فى نظر العالم وجريمة أمام الله، ومما لاشك فيه أن الجهاد فى صورة الحرب بالنسبة للشيشان وجيرانهم من المسلمين أصبح واجباً عليهم أمام الله، ذلك لأن الكافرين الروس هاجمونا بقصد تدميرنا والقضاء على ديننا، وإن الحرب ضد الروس أصبحت من ثم فرض عين وواجب مقدس على كل مسلم فى بلاد القوقاز، وبالتأكيد على كل مسلم فى شيشينيا، وبالنسبة لبقية دول العالم الإسلامي يتمثل واجبهم فى هذا الشأن فى المشاركة فى النزاع من خلال مساندة شعب الشيشان على الصعيدين المعنوي والمادي، وهذا الدعم يجب أن يكون تناسبياً مع قدراتهم على المستوى الفردي والوطني

من هم الذين يحتاجون إلى جعل لفظ الجهاد مرادفاً للفظ الحرب ولماذا فعلوا ذلك؟ إن الجهاد هو الكفاح الذي تخوضه من أجل إقامة دولة إسلامية حقيقية، وهو بهذا المعنى كفاح على طريق استئصال شأفة الظلم والشر، لماذا يريد البعض حجب حقيقة أن الجهاد إصطلاح مركب يشمل كافة صور المقاومة تحقيقاً للهدف والغاية المنشودة؟ وبعد كل هذا فإن الجهاد غاية وقضية مقدسة، وبالطبع يتم حجب حقيقة الجهاد لإضعاف تمسك المسلمين بالجهاد كواجب أساسي فى حياتهم ومن ثم إضعاف قدرتنا على الدفاع عن بلادنا وعن الإسلام والدفاع عن أنفسنا ضد العدوان الذي يشنه ضدنا الكافرون على اختلاف صوره وأساليبه، والحقيقة أن التخلي عن الجهاد كمبدأ أساسي فى حياة المسلمين وشئونهم يحرمهم من الرد بصلابة على العدوان؛ كما أن ذلك يفت فى عضدهم والتزامهم بمباشرة كافة أعمال الجهاد اليومية العادلة والتى لا غنى عنها لإقامة العدل فى العالم، وإذا حرمنا من الجهاد لن تكون لدينا القدرة على الإنخراط الكامل فى المقاومة من أجل إقامة عالم إسلامي حقيقي

لقد نجح أعداؤنا فى مساعيهم؛ ذلك لأننا اليوم دولة متفككة يعارض بعضنا البعض، ولقد أصبحنا اليوم فى دولة لا يمكن أن توصف إلا بالضعف والهوان، وحالنا اليوم كشعوب ودول يعتبر إهانة ووصمة فى حق الإسلام دين الله، ونحن كمسلمون يجب أن نسعى جاهدين لنكون مثالاً للتضامن والشجاعة أمام ما يصادفنا من محن قد يزعم البعض منا أننا حققنا الكثير فى هذا الشأن، والحقيقة أننا نحن المناصرون الأكثر حماسة للجهاد مقصرون أيضاً ومدانون بأننا لا نمثل المعنى الحقيقي للجهاد، ذلك لأن الذين يحاربون من بين صفوفنا قد افترضوا أننا وحدنا الذين

نجاهد ونسوا كل أولئك الذين يساعدوننا فى قضيتنا من خلال دعمهم المادي والمعنوى، إن هـذا الخطأ غير المقصود يعادل موافقة أعدائنا على أن الجهاد ليس سوى شكل من أشـكال الحـرب، وهذا التفكير الخاطئ يقع فى أغلب الحالات بسبب جهلنا بالإسلام، وهذا الجهل فرضه علينا أولئك الذين يدبرون للسيطرة علينا بغية القضاء علينا وتدميرنا، ومع ذلك فإن هذا الجهل فى أساسه يمثل خطأ رجال الدين الذين تغافلوا عن واجبهم تجاه الله، المتمثل فـى تعريـف إخـوانهم المسـلمين بالمغزى الأساسي للقرآن وسنة النبي

فلقد أخفق رجال الدين فى هذا الشأن لأنهم أرتضوا تطويع أنفسهم لتقبل قواعـد وتعـاليم الأنظمة المعادية للإسلام والأنظمة شبه الإسلامية ومن الأمثلة البارزة للنظم شبه الإسـلامية مـا سمعته فى أحد اللقاءات الخاصة معي، فقد عرفت أثناء هذا اللقاء عن وجود تعليمات فى تركيـا بعدم السماح للأئمة إلا باستعمال والاستشهاد فى خطبهم بالمساجد بمائتين وخمسين آية من القرآن الذي يضم أكثر من 6200 آية فضلاً عن أن هذه التعليمات تنفذ حرفياً من قبل الغالبية العظمـى للأئمة والمعلمين الدينيين، وهذه التعليمات المعادلة للإسلام بالطبع تمثل كارثـة بالنسـبة لتركيـا والشعب التركي، وهناك قيود ومحظورات مماثلة تطبق بصورة غير رسمية فى بعـض الـدول الأخرى التى تزعم أنها دول إسلامية، وبالطبع، نحن متأكدون من أن الآيات المسموح باستعمالها فى تلك الدولة لا تتضمن أي إشارة للجهاد أو أي شئ من هذا القبيل، والحقيقة فإن آيات القـرآن التى تشير إلى الجهاد هي أول آيات يتم استبعادها فى كثير من المجتمعات الإسلامية0 والمأسـاة تتمثل فى أن الإسلام بدون الجهاد ليس سوى مجموعة من الأجزاء التى تفتقـد إلـى جوهرهـا الروحى، وهذا الوضع المأساوي خرج إلى حيز الوجود نتيجة لسياسـات الجـزء الأكبـر مـن حكومات الدول الإسلامية، ولهذا السبب نجد أنه من بين خمسة وخمسين دولة إسلامية ليس هناك دولة واحدة قادرة على حماية مصالح الشعوب المسلمة أو الأمة الإسلامية0 والمسـلم الحـق لا يستطيع ولا يحق له أن يحتمل الأوضاع المعنوية والروحية الراهنة لدولنا وشعوبنا

ليس لدى الأمة الإسلامية مركز سياسي أصيل وقادر على وضع نظام للتنمية الإسـلامية الشاملة، وإجراءات يمكن تطبيقها على معطيات وحقـائق الوضـع الـراهن وعلـى المشـاكل الاستراتيجية التى تقابلنا، وهناك العديد من المنظمات الدولية التى ترنوا إلى تقلد هـذا المنصـب ولكنها غير قادرة على العمل كمراكز أو على طرح أي مبادرة على المستوى الدولي، وليس ثمة

أمل فى أن تتطور تلك المنظمات بحيث تصبح قادرة على طرح المبادرات والاضــطلاع بمهــام القيادة

وبناء على ذلك فإن الأمر يتطلب إنشاء مركز قادر على العمل من منطلــق أيديولوجيــة إسلامية محضة، مركز لا يقتصر نشاطه على الاهتمامات الوطنية والعرقيــة بــل يأخــذها فــى الحسبان فى إطار رؤية إسلامية شاملة

ومن المهم أن نضع استراتيجية صلبة على المستويين الوطني والــدولي تحقــق مصــالح المسلمين فى كل مكان، فإن مبدأ المساواة المطلقة بين جميع المسلمين أمام الله يجب أن يتجسد فى صورة قانون إسلامي وطني ودولي، ولا بد من أن يكون هناك طريق عام للتنميــة يــتم رســمه وتخطيطه للأمة الإسلامية بأسرها وفقاً لأحكام القرآن والسنة، إن تجسيد حقيقة أننا مسلمون يتمثل فى أنه يتعين علينا أن نكون رواداً فى كافة مجالات الحياة، وهذا المفهوم يجب أن يشكل أساســاً لكافة مبادراتنا ومشروعاتنا، وزيادة على ذلك فإن وجود الأسس الأيديولوجية والروحيــة لــدينا لإقامة عالم يتسم بالاستقامة والشرعية والعدل من شأنه أن يلهمنا ويلزمنا بالجهاد الحقيقــي علــى الطريق الذي رسمه لنا الله

من المهم أن نحدد بصورة حاسمة دور الجهاد فى سياساتنا الوطنية والدوليــة لكافــة دول العالم الإسلامي0 وهذا الالتزام يجب أن يمتد ليشمل دور الجهاد فى كافة المنظمــات الحكوميــة وغير الحكومية على كافة مستويات المجتمع، وأن نحول هذه المنظمات من منظمات تعمل علــى نطاق محلي بحت إلى منظمات ذات تأثير دولي

وبعبارة أخرى، فإن نظرتنا لدور الجهاد بالنسبة لأنشطتنا الاجتماعية والسياسية تحتاج لأن تكون نظرة شاملة بالمعنى الحقيقي

ويجب أن يصبح الجهاد من المبادئ القيادية فى علوم وتطبيقات الدين الإسلامي، ومعنــى الجهاد ومكانته بالنسبة للمسلمين فى كافة أرجاء العالم الإسلامي يجــب أن يــتم التأكيــد عليهــا وترسيخها وفقاً لأحكام القرآن وسنة النبي، وعند القيام بهذه المهمة يجب أن ترسم الدول الإسلامية لها طريقاً ومساراً إسلامياً مستقلاً بعيداً عن أي مؤثرات أو تدخلات خارجية

وبالطبع سوف يستتبع إقرار الشريعة الإسلامية ومبادئها فى سياسة الحكومات أن ينحسر هذا الإذعان المهيمن لكثير من الدول الإسلامية للدول المسيحية

لقد سمحنا لأنفسنا بأن ننقاد إلى الاعتقاد بأن الحضارة المسيحية الحديثة هي مقياس القدرات البشرية، وأن حياتنا ورفاهيتنا تعتمد على هذه الحضارة، ذلك لأن موارد صناعة الإعلام فى العالم تم تسخيرها لإرساء هذا المفهوم والحقيقة أنه قد يغفر للبعض ما لديهم من انطباع بأن الله ليس هو خالق ومبدع الكون، وإنما هم هؤلاء الناس الذين لا يملون التباهي بثرواتهم وتقنياتهم وديمقراطيتهم أمام العالم فى موجات لا تنتهي من الصور المرئية والكلمات المسموعة، ومع ذلك، فإنه يمكن القول أن عدم كفاءة ونفاق زعمائنا السياسيين وضعف المؤسسات الدينية ومن يقومون عليها يحملنا على وجه السرعة إلى أعتاب أزمة فى العالم الإسلامي سنضطر من خلالها إلى أن ننظر إلى العالم بالوضع الذي هو عليه على أرض الواقع

والدول الإسلامية مطالبة بأن تدخل فى تحالف سياسي وعسكري ليكون لها حضور دولي نشط، وهذا التحالف يجب أن يقوم على أساس أن مفهوم الجهاد هو المبدأ الأساسي المنظم لهذا التحالف بما يكفل إثبات وتأكيد أن الإسلام له حضوره النشط والمستقل والمتطلع لآفاق المستقبل فى العالم

ويجب على الدول الإسلامية أن تنتظم تجمع إمكاناتها الفنية والاقتصادية فى خدمة وضع استراتيجية صلبة ومتماسكة تتطلع إلى ما هو أبعد من المصالح الوطنية الضيقة وهي إن فعلت ذلك فإنها تخطو بذلك نحو إقامة علاقات إنسانية منصفة وحقيقية بين الشعوب والأمم، وهذا بطبيعة الحال سيكون بمثابة تناقض صارح مع الزيف الذي نعايشه الآن فى صورة ما يسمونه بالمجتمع الدولي وأممه المتحدة، وعندئذ سيرى العالم بصورة جلية كيف أن التحالفات والمنظمات الدولية التى تسيطر حالياً على عالمنا إنما تخدم مصالح قلة قليلة على حساب الكثرة الغالبة، وعندما يتم إقامة هذه الآلية يمكننا أن نشرع بهمة ودون كلل فى تحرير العالم من القيود الشيطانية المفروضة عليه بكل ما لدينا من طاقة ومثابرة وذكاء ووفقاً للمعنى الحقيقي لكلمة الجهاد0

الفصل الثامن

الإســلام والجهــاد

لعدة أسباب تعرضت الديانة المسيحية، التى تمثل جزءاً من الدين الإلهي المرسل من خلال النبي عيسى، المسيح، إلى التحريف منذ بدايتها، وبعض هذه الأسباب كان ذات طابع عملي

من هذه الاسباب على سبيل المثال القصور واسع الإنتشار آنذاك فى مهارات القراءة والكتابة فضلاً عن الفترة الطويلة التى انقضت حتى تم تدوين رسالة المسيح، وهذه أسباب كافية للاعتقاد بأن حالات الحذف والتحريف والأفكار الخاطئة كانت أموراً لا محالة من وقوعها، ونتيجة لذلك أفتقد أتباع المسيح ووضعوا الأناجيل فى معظم أجزاء تلك الأناجيل إلى الإسناد الحقيقي، وإلى معايير التحقق من صحة ما جاء بها، ومن ثم لابد لنا أن نسلم بإحتمال أن بعض الفقرات تم سردها وبها الكثير من التناقضات والإضافات الأمر الذي كان له تأثير مشوه للمعنى الأصلي، وزيادة على ذلك لم يكتب أي نص بلغة المسيح الأصلية مما ترتب عليه مشكلة أخرى وهي التحريف الناتج عن الترجمة غير الدقيقة، ويضاف إلى ذلك أن رسالة الديانة المسيحية لم يبدأ فهمها كدين إلا بعد موت المسيح، وبالنظر إلى الفجوة بين بعثه النبي وبدايات المسيحية كديانة، يحق للمرء أن يتساءل إلى أي مدى فهم أتباع المسيح الرسالة الأصلية، ومدى دقة نقلها أولاً إلى كتاب الإنجيل وثانياً مدى دقة نقلها من خلالهم، وعلى أي حال فإن التعاليم المفترض أنها تعاليم المسيح، النبي عيسى تم وضعها وغرسها فى الهياكل الاجتماعية القائمة آنذاك لقيام أول مجتمعات مسيحية

وبالطبع، كان من العوامل الرئيسية فى هذه العملية، الحالة التى كانــت عليهــا الــديانات اليهودية فى ذلك الوقت حيث تفسخت معالم هذه الديانة وانحسرت فى صورة أيديولوجية قوميــة ضيقة، وكان مما لابد منه أن تتفاعل هذه الديانة سلباً إزاء المجموعة الجديدة من التعــاليم التــى

جاءت لتصحح هذا الوضع من خلال رسالة عالمية تلاءم بزوغ الدين الإلهي، وربما أثـر هـذا العداء على طريقة نقل رسالة المسيح النبي، عقب نهاية بعثته

إن غياب النظم الاجتماعية والسياسية المتجانسة فى العالم الذي أرسلت إليه تعاليم المسيحية من خلال المسيح النبي ساهم فى عدم اكتمال تلك التعاليم، فلم يكن نقل تعاليمـه ممنوعـاً وغيـر منتظم فقط، ولكن لم يكن هناك ما يكفل دقة انتشارها، ومن ثم جاءت تعاليمه غير شاملة كما كان ينبغي لها لتكون أساساً للقانون المطلوب لحكم مجتمع المؤمنين، وهذه المهمة تركت للنبي الخـاتم الذي سيكمل عملية نقل كلمة الله إلى البشر، والنبي الخاتم بالطبع هو النبي محمد واكتمال رسـالة السماء كان فى صورة القرآن الكريم، وقد بدأ النبي محمد بنفسه عمليـة تـدعيم ونشـر الـدين الإسلامي من خلال وسائل أخرى منها مؤسسات الدولة لفترة تربو على عشر سنوات، وبعد النبي استمرت هذه العملية من خلال الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فلقد صاحبوا النبي محمد ووقفوا إلى جانبه فى معركة إقامة الدين الإسلامي منذ بداية النبوة حتى آخر لحظـة فـى حياته، وكان من شأن هذه الاستمرارية أن أتاحت الفرصة لهذه التعاليم السماوية بكافة تعقيـداتها وتراكبها، لتشكل أساساً لنظام جديد تماماً من العلاقات الاجتماعية والسياسية، وإن هذا الجانب من جوانب بعثة النبي محمد كان فريداً فى نوعه، إذ لم يحدث شئ يقارن بذلك فى عهد أي نبي آخر

إن قيام النبي محمد بتنفيذ مهمته على هذا النحو يعتبر مصادقة من الله على إرسال الـدين الحق وشريعة الله إلى البشرية

إن كل ما ذكر أعلاه له مغزى هام فى فهم مكانة الإسلام فى المنظومة العالمية، وسـيادة هذا الدين تنبع من حقيقة أنه هو خاتم كلمات الله وأنه من ثم يضم بين جنباته كافة جوانب الحيـاة البشرية والمجتمع، لقد وضع هذا الدين ليكفل خير وحماية مجتمع المؤمنين ورعايتهم وذلك بـأن أوضح لهم كيفية مواجهة القوى التى تتهددهم سواء كانت قوى من الداخل أو من الخارج، وهـذه القوى التى تتهدد المؤمنين تشمل قوى الأعداء وقوى من بين صفوف المسلمين، والإسـلام فـى شموليته يتضمن بين جنباته آخر وحي ينزل من السماء بكافة مظاهره منذ خلق الأكـوان حتـى اكتمال بعثة النبي محمد، وهذا الوحي يضم السبل والوسائل التى يتعين علينا من خلالهـا إعـداد أنفسنا ليوم الحساب عندما نقف جميعاً أمام الله

والجهاد على وجه التحديد الآلية التى من خلالها يحمي الإسلام نفسه من الفساد والعدوان، ويستتبع ذلك مباشرة أن الجهاد فى الدفاع عن الإسلام هو الوسيلة التى يمكن بواسطتها إنقاذ العالم من شرور الطغاة، وأنه يمثل قوة العزيمة لدى كل من يسعى جاهداً لتحقيق العدالــة علــى هــذه الأرض، وعندما يفهم الناس هذا الحق والصدق، لن يكون للشيطان وأعوانه مكان فــى المجتمــع الإنساني

الفصل التاسع

الجهــاد في الشيشان

في هذا الجزء سنركز على مسيرة الجهاد في شيشنيا، وإزاء ذلك سنحاول الرد على عــدد من التساؤلات الهامة حول ماهية الحرب الدائرة في شيشنيا، لما تدور رحي الحــرب، مــا هــو الغرض منها وكيف ستنتهي؟ كما سنتناول التساؤل عما إذا كانت هناك بدائل لستوية المشاكل بين الشيشان وروسيا

ومن الأمور الملفتة للنظر أن الشيشان بالنسبة لمنطقة القوقاز ككل هم الذين يقاتلون من أجل تحرير أنفسهم، لذا لابد لنا أن نتساءل عن السبب في ذلك وعن التأييد الذي يحظى به الشيشان في المنطقة، وأخيراً تم اتهام الشيشان بارتكاب عدة جرائم، لذلك لابد لنا وأن نتحرى سبب ذهاب الشيشان إلى داغستان وهل صحيح أنهم مسئولون عن التفجيرات التي وقعت في موسكو؟

الناس مختلفون في مشاربهم ويستجيبون بصور مختلفة إزاء الأحداث التي تحدث في العالم

ومع ذلك كان للحربين الأخيرتين بين الشيشان والروس أثر عميق بالمعنى الشامل على إدراك الناس للحقيقة، ورغم وجود كثير من الأمور لا تزال في حاجة إلى التوضيح، فقد أصبح من الواضح لكثير من الناس أن الحقائق الجديدة بزغت وترسخت في العالم، كما أصبح من الواضح أن هذه الحقائق لا يمكن تجاهلها

وهذه الحقائق الجديدة تركز بصفة أساسية على إحياء الجهاد، فالجهاد هو الكفــاح علــى الطريق الذي رسمه لنا الله لإعلاء كلمة الله، إنه هو الكفاح لتحرير كلمات الله من الافكار الخاطئة والأكاذيب والتحريف0 الجهاد هو معركة تحرير شعب من براثن القمع وقوى الشر أيــاً كانــت صورها، إنه الكفاح ضد انتهاكات المبادئ الأخلاقية للبشر، الجهاد سلاح مشهر فى وجــه مــن يعارضون الإسلام في الشيشان يتجلى في أبهى صورة في شكل حرب ضد الكافرين

وهذه الحرب يدخلها الشيشان دفاعاً عن العقيدة وعن الحق ليعيشوا في كنف شريعة الإسلام التي أنزلها الله، لتكون وحدها هي الناموس الإلهي الشامل والعادل لكافة البشر على وجه الأرض

الجهاد هو الشكل الوحيد للحياة القويمة للبشر، إن كانوا لا يرغبون في فقد أمل العودة إلى فردوس الله، وهو السبيل الوحيد للحفاظ على عقيدة الفرد والأسرة والشعب، وأنه السبيل الوحيد لتحرير الفرد والشعب والأمة الإسلامية

إن الصراع بين روسيا وشعب الشيشان لا يمكن تسويته إلا بالجهاد الــذي يأخــذ شــكل الحرب، لأن الروس هم الذين اختاروا الحرب كطريقة للتعامل معنا

وبمعنى آخر يمكن القول بأن الحرب فرضت علينا، وبأن هذه الحرب يمكن بشتى الطرق إعتبارها استمرار لحرب فرضت علينا على مدى 450 سنة مضت مع فترات توقــف مؤقتــة0 وفضلاً عن ذلك فإن هذه الحرب ستستمر حتى يحرر شعب الشيشان المسلم نفسه ويشــرع فــي مباشرة أسباب الحياة وفقاً لأحكام شرع الله

وإذا استسلمنا وتخيلنا عن عقيدتنا فستكون عقوبتنا على ذلك عقوبة سرمدية، فضلاً عن أن إذ عاننا لن يكون مقابل تخلي أعداء الله عن الضعف والامتثال للناموس الإلهي، ومن ثم فإننا في وضع لا خيار فيه ولا مناص منه، وهذا على وجه الدقة هو مفهوم الجهاد لدى المجاهدين الــذين ينخرطون في صفوف الجهاد في شيشنيا

وقد توصل المجاهدون الشيشانيون إلى هذا المفهوم للجهاد مــن واقــع خبــرتهم بالحيــاة وحقائقها0 فلقد شاهدوا وعايشوا الجرائم التي ارتكبت ضد شعبهم، وفي حق الله، وكان من شــأن ذلك أن تفهموا الوضع الحقيقي للعالم والآثار التي تترتب على التخلي عن الإيمان بالله والجهاد في الشيشان ليس أمراً جديداً بل هو مرحلة من مراحل الجهاد الذي يرجع تاريخه إلى معركــة بــدر

تحت قيادة النبي محمد أو ربما إلى أبعد من ذلك حيث معركة النبي داود مع جالوت، إن القتال من أجل الشيشان صفحة أخرى من صفحات تاريخ الجهاد الأبدي من أجل تحقيق العدالة الحقيقية باسم الله

ويحق للمجاهدين الشيشان أن يسجلوا أسماءهم بكل فخر في سجل هذا الكفاح المديد ويكفينا أن نرجع إلى حرب 1994 – 96 التي إندلعت للدفاع عن جروزني والتصدي للعدوان التي شنه الروس علينا في مطلع العام الجديد، ونستعرض الغارة المشهورة التي شنها فيلق بزعامة شامل باسييف في أعماق الأقاليم الروسية، والمعركة التي دارت بالقرب من بودينوفسك والمعركة من أجل قرية برفومكس عقب غارة سالمان رادوبيف على كزلر، وأعمال الأمير حطاب بالقرب من شيرزن أورت وياريش –ماردي ، ومقاومة باموت، أولد أشوي وياندي حيث ترد كل هذه المعارك على الخاطر، وهناك غيرها الكثير، وكل هذه الأعمال توجت بالطبع بتحرير جروزني في أغسطس 1996 وعقب تحرير جروزني، أضطر الجيش الروسي البالغ تعداده نصف مليون مقاتل إلى الاستسلام والمهم في هذا أن هذا الجيش إستسلم أمام المجاهدين وهذه شهادة تؤكد أن المجاهدين أظهروا صلابة وشجاعة نادرة في كافة المعارك التي خاضوها في خضم هذين الحربين، لأنهم كانوا يقاتلون باسم الله ومن أجل تحرير الشيشان

وربما كان من المهم أن نقارن بين معركة بدر في القرن السابع وبين المعركة الأولى مع الروس الملحدين التي دارت أحداثها في 26 نوفمبر 1994 في جروزني، ففي فجر ذلك اليوم وتحت حماية ما يسمون أنفسهم بالمعارضة تم مهاجمة المدينة من أربع جهات بوحدات من الجيش الروسي النظامي ومعهم العديد من خونة الشيشان، وفي هذه المعركة قام المجاهدون بتدمير مجموعة الروس التي تتكون من رتل من الدبابات عن آخرها خلال ست أو سبع ساعات من بداية الهجوم، ويمكننا أن ندرك من هذا الذي حدث، أن المجاهدين، شأنهم شأن أسلافهم في القرن السابع، حققوا انتصاراً رائعاً في تلك المعركة

في بداية الحرب لم يكن هناك وجه للمقارنة بين القوتين، حيث استخدم الروس في الهجوم على الشيشان نصف مليون من القوات الروسية المدججة بأحدث أنواع الأسلحة تدعمها الطائرات الحربية وطائرات الهليوكوبتر والمدفعية ونظم الصواريخ بكافة أنواعها وعلى الرغم من ذلك، ورغم الموارد غير المحدودة المتوفرة لدى الروس، لم يتمكنوا من كسر مقاومة بضعة آلاف من

المجاهدين الشيشان بأسلحتهم الخفيفة التي حصلوا على معظمها من معاركهم مع الـــروس، لقــد كانت أسلحة المجاهدين الشيشان خفيفة لكن إيمانهم بالله كان مطلقاً، من هذا المنطلـــق يمكننـــا أن نفسر تحدي الشيشانيين لهذه القوة الغاشمة وتمكنهم من دحرها، وبوسعنا أن نلاحظ وقوف الله إلى جانبنا في هذه الحرب التي جهز لها العدو قوات فوق احتماله ودخل الحرب من منطلـــق حقــده وكراهيته للإسلام، وراحت قواته تستخف بالقواعد الأساسية للسلوك الإنساني، إن الروس عنـــدما تعهدوا بالقضاء على الشيشان حظوا بتأييد ما يطلق عليه مسمى المجتمع الدولي، ومن ثم يمكن أن نرى إن المجاهدين الشيشانيين لا يقفون في مواجهة الروس وحدهم بل في وجه تحالف أشمل ضد الإسلام، حيث قرروا جميعاً سحق دولة الشيشان ولكن أمالهم ضاعت إدراج الرياح، ذلـــك لأن شعب الشيشان قرر في وضوح أنه من يرضح أبداً لتدبيرهم

ولما كان المجاهدون قد عقدوا العزم على ألا يرضخوا أو يخضعوا، بـــل انخرطـــوا فـــي صفوف الجهاد فلن تضيع جهود هؤلاء المسلمين المجاهدين هباءاً، كما لن تضيع دمـــاؤهم التـــي تراق في سبيل الله، وإن شاء الله ستوضع كل تضحياتهم في ميزان حسنات جنود الله البواسل يوم الحساب

ولما كانت حملة الروس معادية للإسلام، لجأت قياداتهم العسكرية والحربيـــة إلـــى طلـــب المساعدة من الدول الغربية

وهل يحتاج المسلمون لدليل آخر ليثبتوا أن العدوان الروسي جزء مـــن حملـــة صـــليبية شيطانية، وأن القتال من أجل إحباط هذه الحملة إنما هو الجهاد بكل تحمله هذه الكلمة من معنـــى؟ إنه هو الجهاد الحقيقي، لأنه ليس فقط جهاداً من أجل تحرير الشيشان بل هو أيضاً جهاد من أجل الدافع عن الأمة الإسلامية

إن الانتصار الذي حققه الشيشان عام 1996، وكفاحهم البطولي في هذه الأيام في ظل هذه الفوارق غير المعقولة لدليل وإشارة واضحة أمام أعيننا أن الاعتقاد في الله وعدم التخلـــي عـــن الطريق القويم يجعل كل شئ ممكناً بما في ذلك دحر أعدائنا مهما بلغـــت قـــوتهم، فـــإن تحلـــي المسلمين بروح الإسلام والثقة في فضل الله وقوته يجعلهم لا يرهبون أحـــداً، واســـتعادة الأمـــة الإسلامية لأمجادها السابقة أمر يمكن تحقيقه، إذا قبلنا ما فرضه الله علينا وأقررنا الأمور التي في

استطاعتنا تحقيقها0 والسؤال الحقيقي هو : هل نحن كمسلمين مستعدون أن نحذو حذو الشيشان وننخرط في صفوف الكفاح باسم الله؟

وإذا كان ما سلف ذكره غير كاف لإقناع المسلمين الزائفين في أي مكان بمغزى ما يجري الآن على أرض الشيشان، نقول لهم بأن الحرب الدائرة هناك كانت مصحوبة بلمحات سماوية في عام 1996 وصل ثمانية من الجرحى الشيشان إلى باكا للعلاج؛ وهناك قابلوا رفاقاً من دول أخرى وهم من رجال الدين الإسلامي، وبدأ رجال الدين هؤلاء في التحدث مع المجاهدين الشيشانيين الجرحى عن القرآن والحديث وعن الفقهاء المسلمين وعندنا وصفوا للمجاهدين أن المجاهدين عندما يسقطون شهداء في المعركة تأخذهم الملائكة إلى الجنة، صرخ إثنان منهم تصديقاً منهما بما يرويه لهم الفقهاء، وبدأوا يروون قصتهم ومفادها أنهم سقطوا جرحى أثناء الهجوم الروسي على قرية برفومسكي التي سقط فيها حوالي مائة من المجاهدين وهم يحاولون فك الحصار الروسي قال أحدهم بينما كنا نرقد جرحى، خفتت أصوات المعركة وتحول ضجيجها إلى صمت؛ وعندئذ ومضى نور خافت، ولاح في الأفق شبحان على قدر كبير من الجمال واقتربا من الجرحى وتوقف الشبحان ونظر أحدهم إلى الآخر ثم إنصرفا، وعاد صوت القتال يسمع مرة أخرى وأفاق الجريح لنفسه وهو يرقد متأثراً بجراحه وأعرب الجريحان عن خيبة أملهما لعدم اقتيادهما إلى الجنة في ذلك الوقت ونود أن نسجل هنا أن هذين الرجلين لقيا ربهما بعد ستة شهور من تلك الأحداث، وهناك الكثير من مثل هذه الإشارات والإمارات وأنا شخصياً شهدت إحدى هذه الإمارات ففي حرب 1994 – 1996 وأثناء الأيام الأولى من إسترداد بودنفوسك على يد المجاهدين بقيادة شامل باساييف، كان مركز قيادتنا في قرية زومسا وكنا نتحكم في المنطقة الجبلية جنوب غرب البلاد، أعلى منطقة شاتوي وندير القتال في مناطق إيتوم كالينسك وشاريوسك وجالانشوز، وفي صباح أحد الأيام حضر أمامي مقاتل يدعى عمر، يعمل في صفوف فيعلق العمليات التابع لإدارة الأمن التابعة لنائب الرئيس وقال لي أنه رأى حلماً رائعاً وأنه يعرف تفسير هذا الحلم0 قال لي أنه رأى شعب الشيشان يصلي ورائي كإمام لهم وأن ذلك يعني أننا سننتصر وأنني أنا وجوهر سنكون في المقدمة، وبالفعل تحقق هذا الحلم وتجسد على أرض الواقع

إن الله يؤيد من يتبعون طريقه القويم بالإمارات وبأسباب القوة، ومن أمثلة ذلك، أنه يتعذر على المرء أحياناً أن يوضح كيف تسني تحقيق أمر من الأمور، وإذا تأملنا فيما يحدث في كثير من الحالات ينتهي بنا التأمل إلى أن الأفراد لم يكن لديهم وعي وإدراك بل وتحكم فيما يصدر

عنهم من أعمال حيث كانت أعمال المجاهدين من منطلق الثقة في فطرتهم وسليقتهم وماذا يوضح لنا ذلك، إن لم يكن كل هذا بفضل رحمة من الله وفضل؟ وهناك أدلة مماثلة في سجل حياة المجاهدين يفصحون عنها عندما يصفون لنا ما شاهدوه في المعارك التي خاضوها

عندما وصلتنا أنباء إستيلاء فيلق شيشاني على بودينوفسك، كان القلق يساورنا من إمكانية نجاحهم في التحكم في زمام الأمور والحفاظ على مكاسبهم، ولكن عندما وصلتنا الأنباء عن أن شامل باساييف على رأسي العمليات، تنفسنا الصعداء، وقمت من فوري بأداء الصلوات وتلاوة القرآن إقراراً بفضل الله، كم عدد الصلوات التي أديت حول الشيشان والقوقاز والعالم الإسلامي بأسره من أجل المجاهدين وجهادهم؟ وليكن في يقيننا أن الله يسمع دعوات عباده

وهناك أمثلة كثيرة على ما يتحلى به قادة المجاهدين ومقاتلوهم من شجاعة وبطولات لا حدود لها، وعند الإنسحاب من مدينة جوهر التي كانت تقع تحت حصار كامل من قبل العدو بعد قتال عنيف، وجدت طلائع المجاهدين الذين كانوا يتلمسون طريقاً لكسر طوق الحصار أن طريقهم مسدود بحقل ألغام لا يمكن تجنبه ولابد من عبوره، ولم يكن الوقت في صالح المجاهدين بالنسبة للهروب بشكل آمن، عندئذ تقدم شامل باساييف قائد العملية وانطلق يعبر حقل الألغام قائلاً لرجاله إذا تعرضت لانفجار لغم، أتركوا جثتي على جانب وتقدموا وكرروا هذا كلما تعرض مقاتل منكم لانفجار لغم، وتعرض باساييف لانفجار لغم وجرت جثته ووضعت على جانب ومرت لحظة من الارتباك، غير أن عمدة المدينة، ويدعى جوهر ليشيى دودايييف، وهو ابن أخ أول رئيس لجمهورية الشيشان تقدم إلى طليعة المجاهدين وأخذ مكان باساييف كقائد لهم، غير أنه هو الآخر تعرض لإنفجار لغم وقتل0 وقد أسفر عبور حقل الألغام هذا عن قتل سبعة وعشرين مجاهداً وجرح الكثير منهم لدى عبور ذلك الحقل المزروع بالألغام0 ورغم ذلك كانت شجاعة المجاهدين وتضحيتهم وراء تمكن رفاقهم من الهروب من ذلك الحصار

من الأمور المدهشة التفكر في مدة استمرار معركة سادي – كوتار التي عرفت من خلال وسائل الإعلام الدولية باسم كومسومولسكي، حيث إندفع الجيش الروسي بقوته إلى القرية ووجهوا إليها نيران الطائرات بلا هواده يوماً بعد يوم، ورغم حقيقة وقوع الكثير من الضحايا وجرح الكثير من المقاتلين، صمد المجاهدون بقيادة حمزة جالاييف في وجه العدوان لمدة شهر بأكمله

وقدمت لنا الحرب الأخيرة ملاحم بطولية في كل يوم من أيامها، فلقد أبلى الكثير من القادة الشيشان بلاءاً حسناً منهم على سبيل المثال أمير حطاب، ورمضان أحمدوف، وعربي باراييف، وامير داود، ودوكا أوماروف، وأيدامير، وعيسى تكبير وغيرهم الكثير واستشهد الكثير من المجاهدين العظماء منهم عيسى أستاميروف، ورمضان زاكاييف، وأسلانبك إسماعيلوف، وهنكرباشا إسرابيلوف، وتاووز بوجوراييف، وعليم سولتا، وأبو موسايف، وغريب، وعمر، وسيف الله وعربي جاباييف وأبو ذرّ وغيرهم

كما استشهد قائد فيلق المجاهدين الذي تشكل في بداية الحرب لحراسة الرئيس السابق لجمهورية الشيشان وأنجوشيا، ويدعى ليش وهو من شاتوي، ومعروف لدى الجميع باسم "فالكون" واستشهد معه قادة ورجال من وحدات بقيادة فاهي أرسانوف، وحمزة جالاييف، وشامل، وحطاب، وداوود، وعبدالرحمن، وعبدالملك، وأيدامير، كما استشهد أيضاً رجال من الحرس الشخصي للرئيس مسخادوف، وهناك الكثير والكثير ممن سجلت اسماؤهم في قوائم البسالة والشجاعة، ولكنه رغم هذه الخسائر الفادحة لا يزال هناك الكثير من قادة المجاهدين البواسل ومن المقاتلين ويعدون بالآلاف، وجميعهم أثبتوا في كفاحهم البطولي، وفي كل يوم من أيام الكفاح إخلاصهم للطريق القويم الذي رسمه لهم الله، وقد إنضم إلى هؤلاء جيل جديد من المجاهدين هم أملنا في المستقبل، ذلك لأنهم على أهبة الاستعداد لمواصلة القتال، وفضلاً عن ذلك، تجدر الإشارة إلى أن أياً من هؤلاء المجاهدين لم يتم تجنيدهم من قبل السلطات الشيشانية وإنما هم جميعاً من المتطوعين باسم الله وباسم الحرية

وهناك مثل في غاية الإخلاص في سبيل الله والشجاعة الفائقة أبدت حواء بارايوفا وصاحبتها التان فجّرتا السيارة المملوؤة بالمواد المتفجرة باقتحامهما في داخل إدارة قومندان الكفار ومن وصيتهما قبيل العملية الاستشهادية: "....نرجو من الله تعالى أن نكون سببا في انتصار المسلمين... نرجو من الله تعالى أن يجعلنا في الجنة مع الشهداء والصالحين....نرجو من الإخوة في الله شيئا واحدا: لاتتخلفوا عن الجهاد واخرجوا لقتال في سبيل الله وردوا عدوان الكفار....نيتنا وقصدنا اليوم الاستشهاد في سبيل الله ونقدم أرواحنا لله إن شاء الله ويكون ذلك درسا وتشجيعا لكم أيها المسلمون إن شاء الله.... نوصي الأخوات ونرجو منكن أن لاتوافقن ولاترضين ولاتتزوجن بالذين تخلفوا عن الجهاد....موعدنا الجنة إن شاء الله..."

وحقا أصبحت هذه العملية مثلا لعشرات من المجاهدين في سبيل الله فتقدموا لعمل الاستشهادية فقتلوا آلاف من مقاتلي الكفار وضباطهم

وبالنسبة للسؤال المتعلق بكيفية فهم كلمة الجهاد في القوقاز وفي العالم الإسلامي، يمكن القول بأن الجهاد تم فهمه على أنه جهاد كل المسلمين، وأن الجهاد في الشيشان ينظر إليه على انه جزء من الجهاد الإسلامي العظيم الذي يرجع تاريخه إلى إلى الخلفاء الراشدين، وإن هذا الجهاد يهدف إلى إحياء الوحدة الإسلامية، ومن ثم فهو الأداة والوسيلة التي ستتحرر بها الأمة الإسلامية بل والعالم من أغلال وحبائل الشيطان

والدليل على اهتمامهم باقي دول العالم بالجهاد في الشيشان هو مشاركة العديد من المسلمين فيه من كافة أنحاء العالم0 فلقد استشهد أكثر من مائة من المسلمين من دول مختلفة في الأخيرة وخلال هذه الحرب، ولا يزال رفاقهم يقاتلون من إيمان واعتقاد فيما أمرهم به الله في القرآن الكريم، ومن هؤلاء المجاهدين من أعرفهم وهم حكيم اليمنى وأبو طلحة المكي وأبو مصعب الطابوقي وعبدالصبور المصري وأبو أنصور الجنوبي، وعبدالرحمن الكويتي وأبو ثابت الجيشي، وهناك غيرهم الكثير ممن جاءوا من أكثر من مائة دولة مختلفة للإنضمام إلى صفوف القتال

وأثناء الرحلة التي قمت بها لدول إسلامية أعرب لي الآلاف من شباب المسلمين عن استعدادهم للمشاركة في الجهاد، وهذه الرغبة تزداد يوماً بعد يوم، وإن هذه ظاهرة تثبت أن اليوم لغده قريب لكي تترسخ كلمة الله وشريعته في الأرض

وبالنسبة لمشاركة مسلمين آخرين من القوقاز في الحرب، ليس سراً أن نقول أن المسلمين في داغستان ومعهم الكثير من المنطقة يشاركون في الحرب بهمة وبسالة، ففي بداية الحرب كان هناك حوالي ألف من هؤلاء المجاهدين منهم عدد من المسلمين من الإتحاد السوفيتي سابقاً، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن الأغلبية الساحقة من هؤلاء المقاتلين جاءوا من داغستان، وفي بداية الحرب في صيف عام 1999، كان المجاهدون من غير الشيشانيين يمثلون 10% من قواتنا المقاتلة، الأمر الذي جعل مساهمتهم في الحرب أمراً له مغزاه، وزيادة على ذلك فإن تواجدهم يعتبر مؤشراً على موقف مسلمي المنطقة إزاء الجهاد بصفة عامة وتجاه الجهاد في الشيشان بصفة خاصة0

وبالنظر إلى ما أوردناه في هذا المقام، يكون من قبيل التزيد في الكلام السؤال عما إذا كانت شعوب القوقاز يتوقون إلى تحقيق حريتهم؟

والحقيقة أن هذا السؤال لا يمكن أن يطرحه إلا من ليس له دراية بالقوقاز، وكل فرد يتفحص تاريخ القوقاز، يعلم أن القوقاز كانت منارة في حقل الجهاد من أجل الحرية وعلى مدى الأجيال، وبناء على ذلك فإن جميع شعوب القوقاز تراقب الجهاد في الشيشان بكل الأمل، وبالطبع ليس من المستغرب أن نجد خونة ومتملقين في كل مكان ممن يعملون فقط من أجل مصالحهم، ولكن يجب ألا يسمح لهؤلاء بتعتيم الصورة الحقيقية

فمن الذي كان مسئولاً عن تفجير القنابل في موسكو وفولونوسك، ذلك الحادث التي استخدم من منطلق الدهاء كمبرر للغزو الروسي الاخير، لقد أجاب الزمن على هذا التساؤل كما يفعل دائماً، ولقد كانت القوات الخاصة الروسية هي المسئولة عن ذلك، بأوامر ممن كانوا يشغلون أعلى المناصب في السلطة في روسيا0 ومع ذلك أقول لكم بصراحة، من منطلق مسئوليتي، أن الشيشان اليوم لهم الحق المعنوي والقانوني ليس فقط فى تفجير القنابل بالمباني في روسيا بل لهم الحق في محو روسيا من على وجه الأرض هي وشعبها0 وهذا الحق واضح وجلي إذا استعرضنا حرب الإبادة الجماعية التي تشنها الدولة الروسية ضد الشيشان على مدى السنين

وهذه الاعتداءات مع ضراوتها حظيت بالتأييد السلبي أو الإيجابي للأغلبية الساحقة من الشعب الروسي، وإذا كنا لا نلجأ إلى تفجير المباني وغيرها، فما ذلك إلا لأننا نخاف الله، ويتعين علينا أتباع منهجه وسبيله، وهذا يعني أنه يتعين علينا فقط تسوية حساباتنا مع الأفراد الذين شاركوا في هذه الجريمة، وهذا طريق طويل ولكنه هو الطريق القويم الذي يتعين علينا أن نسلكه بمشيئة الله حتى نهايته

وننتقل إلى مسألة داغستان ومشاركة الشيشان فيها، فداغستان دولة مسلمة وهي أيضاً جزء من إمامة شامل واحتلتها روسيا، ومن ثم فإنه مما يشكل مسئوليتنا المباشرة أن نشارك في الجاهد ضد المحتل باسم الله وباسم استعادة العدالة، والشعب في داغستان يعرف جيداً أن أحداً لم يهاجمهم، حيث كانت أعمال الجهاد توجه فقط ضد الغزاة الروسي الذين راحوا يتذرعون بحجة أنهم يقاتلون الإسلاميين في داغستان ليرتكبوا من الجرائم ما لا يمكن إقراره أو السكوت عليه، وزيادة على ذلك فإنه بالإضافة إلى داغستان والشيشان فإن منطقة القوقاز ككل جزء لا يتجزأ من

دولة الخلافة الإسلامية، وبناء على ذلك فإن الجهاد اليوم من أجل تحرير الـــدول مـــن إحـــتلال الملحدين، إنما هو واجب كل مسلم وكل واحد منا عليه أن يؤدي واجبه باسم الله رب العالمين

ملحــــــق (1) :

رؤيتنا للمشكلة : مقابلة مع جريدة : "**قوقازيان كونفيديريشن**"

- **كيف تصفون الوضع بالنسبة لموقف المجتمع الدولي إزاء حرب الشيشان والروس؟**

إنه موقف نمطي، إذا وضعنا في الاعتبار الحالة الراهنة للأوضاع في العالم، فهذا المجتمع نفسه الذي لا يمكن أن تطلق عليه صفة الدولي إلا من قبيل التجاوز، يجد نفسه أمام صعوبات قانونية وهيكلية وسياسية، فالمجتمع الدولي هو الذي خلق هذا الوضع، وليحكم هذا المجتمع بنفسه على نفسه، فهناك قرارات دون آليات لحل المشاكل التي تتوه إليها هذه القرارات، وهم يتحدثون عن القانون الدولي، ولكن ليس ثمة قانون يمكن أن نتصور أنه سيوضع موضع التنفيذ، وإذا كان القانون او ما يطلق عليه مسمى القانون غير ذي أثر، أو كان ينفذ بالمخالفة لما جاء به من مقاصد، كما هو الحال اليوم، فأين هو القانون؟ وكيف يمكن لهذا القانون أن يكون قانوناً دولياً بالمعنى الصحيح لهذا المسمى

وبناء على ذلك يمكن القول بأنه ليس هناك مجتمع دولي، في المقام الأول، لكي يتم إعمال هذا القانون باسمه

-**ومع ذلك، يوجد على الساحة الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي وأجهزة دولية اخرى، فكيف يمكن إنكار وجود هذه الكيانات التي ينظر إليها العالم كله كحقائق ملموسة؟** نعم، أنت على حق، يوجد على أرض الواقع منظمات دولية عديدة ولكنها ليست حقيقية، إذا نظرنا إليها من واقع التعاريف التي أطلقتها على أنفسها، وهناك الكثير من هذه المنظمات اليوم حتى أن المرء يجد نفسه في حيرة إذا أراد أن يعرف إلى من تنتمي هذه المنظمات، والمفهوم الحقيقي والواسع الذي تحمله كلمة العالم والذي يعني مخلوقات الله تم استبداله بمكر ودهاء بعبارات تنتقص وتهمش عظمة هذا العالم وغرابته

وأصبح الأمر كما لو كنا قد استحوذنا على العالم وأصبحنا نغطي هذا الاستحواذ بإطلاق المسميات0 والمحصلة من ذلك ظهور عالم مزيف صنعه الأقوياء وسخروه لتحقيق مآربهم

إن ذلك العالم المزيف من المنظمات ومن المسميات التي لا نهاية لها، فضلاً عن أولئك الذين أوجدوا هذه المنظمات هو ما يطلق عليه مسمى المجتمع الدولي، والمشكلة تتمثل في أن

باقي دول العالم، من خلال السذاجة والبلبلة والخيانة قبلت وجود هذا الكيان، وهذه الدول بفعلتها هذه، إنما تخون الشعوب التي تمثلها هذه الدول

والأوضاع الراهنة ليس من شأنها سوى محاباة مؤسسي ما يطلق عليه مسمى المجتمع الدولي0 أما أولئك الذين يتحكمون في الأمور فيتحدثون عن المجتمع الدولي على أنه أداة لها قوى خارقة ولها مفعول السحر ذلك ليقنعونا بأنه شئ مرغوب فيه

والحقيقة هي أنهم أوجدوا آلية من شأن قبول باقي دول العالم لها السماح لهم باستخدام هذه الأداة في خدمة أغراضهم على نفقة وحساب الغير0 وهؤلاء الذين أوجدوا هذه الأداة مستثنون من تطبيق القواعد واللوائح التي ليس لهم هم سوى القيام بتفسيرها وتطبيقها علينا

إن الآثار المترتبة على هذا المجتمع المزيف في حق الناس في كل مكان وفي كافة جوانب الحياة سواء كانت جوانب سياسية أو ثقافية أو أيديولوجية أو نفسية كانت آثاراً وخيمة، وواقع الحال يقول أنه ليس ثمة مهرب من التعرض لتلك الآثار

- **إذن ماذا تقترحون؟ أو هل تعتقدون أن الشيشان لديهم القدرة على مقاومة هذا الجمود من جانب الآخرين في العالم إزاء هذا المجتمع الزائف الذي تشيرون إليه؟** لسنا نحن الذين يقترحون أن القرآن الكريم وسنة النبي محمد هي الحل لكل مشاكل العالم بالنسبة لكل الشعوب وكل مخلوق من المخلوقات، ولسنا نحن الذين نقول أن هذا يعني رفض كل شئ شيطاني حل اليوم محل كل شئ إلهي في أمور الحياة0 ولسنا نحن الذين يدعون إلى الرجوع إلى الله الخالق الحق ورب يوم الحساب

- **إذا عبرنا عن ذلك ببساطة، نجد أنه من قبيل المثاليات فما هي الحلول الحقيقية؟** ليس هناك شئ اكثر حقيقة من الله والحساب الذي سينادي علينا جميعاً لمواجهته سواء من آمن منا بالله أو من لم يؤمنوا به

لكن هذا يعتبر من قبيل الموعظ فهل لديك رؤية لحل المشكلة التي تصفها؟

رؤيتي تستند إلى كل ما قلته0 هذه على وجه الدقة مسألة ليس لها ولا يمكن أن يكون لها حلول سريعة وميسرة والشيشان من بين أولئك الذين يدعون إلى الجهاد كحل للمشاكل التي تواجهها الإنسانية0 الحل الوحيد هو إقامة منهج حياة وفقاً لشرع الله0 وحل مشاكلنا لا يكمن في

أقطار أو نظم أخرى لأنها أفكار ونظم معادية للإسلام وبالطبع فإن المشاكل التي نتحدث عنها ليست غريبة على العالم الإسلامي فالجميع سواسية أمام الله ولابد أن يؤخذ ذلك فى الاعتبار ومع ذلك فإن السؤال الرئيسي يتعلق بمن هؤلاء الذين يعرفون الحقيقة؟ والجواب ببساطة هو أننا نحن الذين نعلم الحق والصدق لا داعي للدهشة! فالواقع هو أننا مزودون بتقنيات رائعة ولدينا نظم معقدة ومتشابكة تشمل النواحي القانونية والاقتصادية والاجتماعية وهذه النظم ليست من صنع أيدينا، حيث أن الله هو الذي منحنا إياها وفضلاً عن ذلك فإننا نقترح ان ينسى الناس المساوئ العنصرية والقومية والأيديولوجية نعم يجب أن ننسى المساوئ ولا نفكر في الميزات التي من الله علينا بها ونعود إلى الله فالأقوياء وأصحاب السلطة اليوم بل والضعفاء ومن لا سلطان لهم إنما هم جميعاً جزء من هذا الكيان المؤقت القائم على الإفك والبهتان0 أما أولئك الذين يقلقون على مستقبل شعوبهم، أو على الإنسانية ككل فلابد لهم من يفكروا في الثمن الذي سيضطرون إلى دفعه لقاء ما فعله أقرانهم ليس ثمة دولة أو أمة على مدى التاريخ تحقق لها البقاء والدوام ولن يحدث ذلك مستقبلاً والعبرة والمعيار الذي تقاس به حياة الشعوب هو الإخلاص للعقيدة

-دعنا نطرح السؤال بصورة مختلفة0 إذا وضعنا في الاعتبار هيكل هذا المجتمع الزائف اليوم، ماذا تقترح أن يفعله العالم والمجتمع الدولي المزعوم لحل المشكلة الشيشانية؟

المشكلة في حد ذاتها غير قابلة للحل من الناحية العملية0 المطلوب هو التحرك نحو حـــل مشاكل الإنسانية التي يمكن تفهمها من خلال المشكلة الشيشانية وأنا أقترح عدداً من الخطــوات الأولية في هذا الصدد :

أ-يجب على ذلك المجتمع الدولي المزعوم أن يعترف فوراً بجمهورية الشيشـــان المســـلمة فـــي إشكيرية، وجعلها عضواً كامل العضوية في الأمم المتحدة، ومنحها كرسياً في مجلس الأمن

ب-يجب الدعوة لعقد اجتماع موسع لممثلي الأقليات العرقية والشعوب الموجـــودة بالإســـم فقـــط ومنحهم حق التصويت في الأمم المتحدة ودعوتهم للمساعدة في إيجاد جهاز حقيقي وشـــرعي ليتولى حكم المجتمع الدولي الحقيقي

جـــ-يجب إنشاء منظمة مهمتها تغيير الأسس القانونية للعلاقات الدولية وبالنسبة للأمـــم المتحـــدة يجب أن يشمل ذلك تغيير في هيكل الأمم المتحدة ومعايير عضويتها والشرط الأساسي وغير القابل للمناقشة في هذه الإجراءات، هو بالطبع منح الأولوية لإقامة شرائع الله في حل المشاكل المعقدة التي نواجهها حالياً

دون التعرض لمدى واقعية اقتراحاتكم، دعني أسألك، لماذا يتعين الثقة في الشيشان ولماذا يتعين خلق مثل هذه الظروف الاستثنائية لهم؟

أولاً : الظروف المطلوبة يجب ألا ينظر إليها على أنها ظروف استثنائية وإنما هي ظروف عادية وعادلة

ثانياً : يجب ألا ينظر إلى الشيشان اليوم بالمفهوم العرقي أو القومي فقط بل الأحرى أن ينظر إليهم كقوة رسخت فيها روح الحرية والعدالة بصورها المتكاملة

ثالثاً : انهم هم الشيشان الذين أثبتوا قدرتهم على الصمود من أجل تحقيق أسمى غايات وأهداف الإنسانية، دون هوادة أو تنازل وهذه الغايات هي بطبيعة الحال الإيمان الحق والاستقلال والعدالة

رابعاً : أن ما يطلق عليه مسمى الجهاد في الشيشان هو في حقيقته جهاد شامل وهذا لا يخضع للشك حتى من قبل أعدائنا0 وزيادة على ذلك فإن كل من يتطلع ويتعطش لتحقيق العدالة والحرية على الأرض لابد له أن يشارك في هذا الجهاد بشكل أو بآخر، وأخيراً والأكثر أهمية من كل ذلك هو أن الله قد عرفنا آيات صدقه وقوته من خلال المجاهدين الشيشانيين

-**هل لا تخشى من اتهامك بالتطرف؟** لا، لأنني تم إتهامي بما هو أكثر من ذلك، فضلاً عن أن التطرف مصطلح أطلقوه على العمل والحركة في العالم المزيف الذي نعايشه، وأنه مصطلح القصد منه هو مواجهة الأفكار والأفعال التي تسعى لتحقيق الفطرة السليمة التي فطرنا الله عليها وتحقيق العدالة

ومع ذلك، وأياً كان ما يقوله أعداؤنا عنا، فإننا نعمل على طريق من يسعون إلى تحقيق مشيئة الله إنه هو الله الذي نطلب منه أن يضفي طابعه وصفاته على المستقبل فهو الله الذي نثق في عونه ونؤمن به

ملحق (2)

شيشنيا : القتال من أجل الحرية

رأى المؤلف أنه من الضروري أن يكون هذا الكتاب الجديد مصحوباً بمقالات كتبت في صيف وخريف 1995 أثناء الحرب الشيشانية الروسية السابقة هذه المقالات نشرت في كتاب

"الشيشان: القتال من أجل الحرية" (ليفوف، 1996) : المقتطفات التالية من الكتاب آنف الذكر تـم تضمنيها في هذا الكتاب على أمل أن تساعد القارئ على تفهم وضع القارئ خلال فترة الحـربين التي يعتبرها المؤلف من الأمور السياسية الهامة في العالم الحديث ونحن نـدرك أن الله وحـده خالق الأكوان وهو الذي يعرف حقيقة الأمور كاملة ومع ذلك يظل إخلاصنا وتصميمنا في أعمالنا ومساعينا الدنيوية مرتبطاً بنطاق قدراتنا

نحـــن وهـــم :

1-الجانب الأخلاقي للمشكلة :

لقد كشفت الحرب الشيشانية الروسية بعض الحقائق الرئيسية عن الحالة الراهنة للسياسات الروسية ذلك لأن ساحة السياسة الروسية شهدت ظهور واحدة من أكثـر السياسـات الروسـية تعصباً، كما لاحظ ذلك جوهر دوداييف، وقد كشفت هذه السياسة للعالم عن حقيقة وجه السياسـة الروسية القبيح على مدى العصور

ولقد اضطر المجتمع الدولي إلى التواطؤ مع العدوان الروسي لما له من استثمارات سياسية واقتصادية في الدولة الروسية0 وبهذا يكون المجتمع الدولي قد ربط نفسه بوحش لا حدود لطموحاته ومع ذلك فإنه إذا كانت بقية دول العالم قد قررت دعم مطالب المتعصبين الروس وطموحاتهم الإقليمية فإن ذلك لا يعني أن شيشنيا ستفعل ذلك

ونحن وحدنا، ولكن من منطلق إيماننا بأن الله سيأخذ بأيدينا ويرشدنا، سنحاول إنقاذ العـالم بل وروسيا ذاتها من وباء طموحات الروس الاستعمارية

ما هي خصائص العدوان الروسي الذي تم شنه على شيشنيا؟ أولاً يعتبر هذا العدوان تعبير عن كراهيتهم المتأصلة في نفوسهم عبر التاريخ لشعوب القوقاز المحبة للحرية ولا سيما لشـعب الشيشان لقد أظهر هذا العدوان إصرارهم واستعدادهم لتسخير كم هائل من مواردهم مـن أجـل تحقيق التصفية السياسية والجسدية لشعب الشيشان وهذا يتمشى مع التوجهات التاريخيـة للقـادة الروس للتعامل معنا فقط بطريقة عدوانية ومرة أخرى يتضح أن هناك نية للقضاء على شـعب الشيشان إلى الأبد وهذا أمر لا يتقصر إثباته فقط على عدوانهم على شعب الشيشان بـل يثبتـه أيضاً تعديهم على سجلات التاريخ0 فلقد أخذوا على عاتقهم التدمير الشامل للمتاحف والمحفوظات والمكتبات التي تضم الوثائق والأشياء التي تسجل تاريخ الشيشان

لقد عاون الروس في عدوانهم ضعف الحس الوطني للشعوب المجاورة لنا، وزاد من هـذا الضعف في القرار الوطني الخوف الذي غرسه في نفوسهم العدوان على شيشنيا لقد شهدت هذه الشعوب شراسة العدوان الروسي والأساليب التي يستخدمونها ضدنا

فلقد لجأ الروس إلى الاستعانة بمقيمين في الشيشان ليس لهم انتماء عرقي وبعناصر إجرامية بين صفوف الشعب الشيشاني لمساعدتهم في أعمالهم المروعة0 هذه الخصائص فضلاً عن أعمال البربرية الصارخة التي نشهدها تعتبر من الأمور المألوفة، ذلك لأن هـذه الأفعال مأخوذة من الترسانة التقليدية لروسيا وما تشمله من أساليب إجرامية عند التعامل مع الشعوب التي تأبي الخضوع لجبروتهم0 ولقد شهد الشيشانيون وقادتهم هذه الأساليب مرات كثيرة من قبل بدأت من عهد الشيخ منصور حتى عهد الإمام شامل، ومن عهد حسن إسرائيلوف حتى عهد عبدالرحمن أفتوهانوف نعم، لقد شهدنا هذه الأساليب من قبل0 ومع ذلك تناسينا هذه الأساليب في بعض الأوقات تحت ضغط الحكم الإمبريالي غير أننا مع كل عدوان جديد نتذكر مرة أخرى حقيقية تاريخنا

خلال فترة الحكم الاستعماري للنظام السوفيتي الذي امتدت نحو سبعين عاماً، دفن تاريخنا في سراديب المخابرات وتوارت مع ذلك كافة تجارب المراحل السابقة لنضالنا0 ومن المضحك أن سجل هذه التجارب كان يستخدم في إعداد القوات الخاصة الروسية للهجوم علينا0 وحقيقة إخفاء هذا السجل عنا، إن لم يكن عن أولئك الذين يعتدون علينا يفسر الصعوبة التي نواجهها في الحفاظ على تجاربنا السابقة في ذاكرتنا وضمائرنا

ورغم ذلك فإننا في ظروف معينة نتذكر هويتنا ومن نكون نحن0 أما كيف نستثمر هـذه الذكريات لتحقيق مصالحنا فهذا موضوع آخر

إن التركة المثقلة لمرحلة الاستعمار الروسي لشيشنيا في عهد الاتحاد السوفيتي تتمثل في غرس تلك الفئة من الشعب الشيشاني التي ليس لها عمل إلا خدمة دولة السوفيت

ففي غيبة الحرية المدنية والسياسية تمكن الكيان السوفيتي في شيشنيا من السيطرة على شعب الشيشان تحقيقاً لمصالح الاتحاد السوفيتي وقد تحقق ذلك من خلال قمع الدولة لكافة الأنشطة الاجتماعية والسياسية التي لا تتفق مع أهدافهم وفي هذا الوقت كانت كل مبادرة تذهب

أدراج الرياح وترتب على ذلك وضع تفحم الدولة فيه نفسها في كل شئ ونقمع طاقات الشـــعب ومواهبة ومن ثم تقمع مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والسياسية وبنـــاء علـــى ذلـــك أصبحنا تدريجياً تابعين للدولة وخاضعين لآلة البطش الايديولوجية التي عملت على أن تغرس فينا فكرة أنه ليس هناك بديل متاح لما نحن فيه ولقد كان من شأن هذا أن أقنع الكثير منا بقبول هـــذا الوضع على أساس رقابة الوضع الاقتصادي ومن خلال نظام دعاية يقوم على استخدام عبـــارات مثل "العدالة الاجتماعية" و"تكافؤ الفرص"

ووضع التبعية هذا يفسر بدوره السبب الذي جعل شعب الشيشان عقب إعلان الاستقلال في خريف 1991 تواقاً للتمتع بكافة مزايا الحرية فوراً ودون مشقة ذلك لأننا وجدنا أنفسنا أحـــراراً0 ولكن الحرية اصطلاح اجتماعي سياسي والمفهـــوم الـــذي يعنيـــه هـــذا الإصـــطلاح ومظهـــره الأيديولوجي ليس كافياً في حد ذاته لإرضاء الشعب0 فلا يكفي أن نكون أحـــراراً مـــن الناحيـــة النظرية فقط بل لابد من أن يكون مفهوم الحرية مصحوباً بأســـس ملموســـة لكياننـــا الشخصـــي والاجتماعي0 الحرية يلزمها أن تقترن بالحرية الاقتصادية ومشاركة كل فرد في بناء المجتمع

والمشكلة التي واجهتنا في مرحلة ما بعد النظام السوفيتي تتمثل في أننا لم نكن نرغب فقط في أن تكون لنا دولة بل لأننا كنا نرغب في أن تكون لنا دولة متقدمة في النـــواحي الاجتماعيـــة الاقتصادية في دولة مزدهرة تزخر بقواعد ومعايير حياة الأمم المتقدمة، كنا نرغب في كل ذلـــك في الوقت الذي كان يتعين علينا فيه أن نكافح من أجل كل شئ وأن نبني بأيدينا كل شئ

البعض إعتقدوا أن الكفاح من أجل الاستقلال هو تجسيد وتحقيق الاستقلال في حـــد ذاتـــه على أرض الواقع، وأن المعركة من أجل تحقيقه تنتهي بالحصول على الاستقلال أو هكذا إعتقدت غالبية الشعب0 وعند هذه النقطة ظهرت للعيان مدى الضرر الـــذي ألحقـــه الاســـتعمار بنســـيج مجتمعنا0 وكان لهذا أثر سيئ، ذلك لأنه كما خطط أعداؤنا للاعتداء على أسس استقلالنا من خلال القوات الخاصة كان رد فعلنا بطريقة لا تتناسب مع الأوضاع0 إن التبعية الاجتماعيـــة السياســـية التي عايشها الكثير منا خلال فترة الحكم السوفيتي كانت بمثابة حجر معلق في رقبة شخص يتعلم السباحة في مياه عاصفة0 وفي النهاية كانت طبيعة أمتنا بتاريخها النضالي هي التي أنقذت دولـــة الشيشان من الغرق

كان الاستعمار الروسي يعمل على إخلال توازن دولة الشيشان من خلال أعماله الإجرامية ولصوصيته واغتيال قيادات الشعب الشيشاني منذ عام 1991 لقد قرر الاستعمار أن يشن علينا هجوماً مكشوفاً كلما لاحظ تطور قدراتنا للتعامل مع الماضي الاستعماري، وتحقيق نتائج إيجابية من حيث التغلب على الأضرار الاجتماعية والسياسية التي لحقت بنا0 ولقد كان من شأن هذا القرار أن سطر صفحة مأساوية أخرى في سجلات تاريخنا بينما كان يعتبر بالنسبة للروس بمثابة خطوة نحو الهاوية لم تكن دولارات البترول أو خطوط أنابيب النفط أو أي شئ آخر يتعلق بصناعة البترول هي التي تقف وراء الحرب الشيشانية الروسية الأخيرة ولكن أسبابها تكمن من مطامع روسيا الاستعمارية، وهذه المطامع التي تعد من سمات الروس ترجع إلى عجزهم عن تطوير دولتهم وكان هذا العجز هو المحرك لحاجتهم إلى الاغتصاب والتوسع والتهديد

إن عجزهم عن تطوير أنفسهم، وعن إدراك طاقاتهم الداخلية جعلهم يقاومون عملية التغير الطبيعية مثلما فعل بوشكن عندما قال "كل شئ تم تخطيطه ضمن حدود الدولة يخصني، لذا دعه يدمر معي، ولا تدعه يخص شخصاً آخر حتى ولو كان ذلك الشخص سيحوله إلى مصدر طاقة لا ينفد لصالح البشرية"

لقد تم عرض المخططات الاستعمارية لروسيا كما تم فهمها على أنها مصالح قومية، وأن الحفاظ عليها أمر أساسي لحفظ السلام والاستقرار في المنطقة وفي أوروبا والعالم

إن المنظور العالمي للمجتمع الدولي لا يعدو أن يكون من قبيل الأوهام البرجوازية لأوروبا المزدهرة مادياً وللدول المتقدمة تكنولوجيا واقتصادياً0 وفضلاً عن ذلك فإن هذا المنظور العالمي يخبرنا أن هناك أزمة سياسية في المجتمع الدولي لأنه كما يتضح غير قادر نتيجة لذلك على التفاعل بالقدر الكافي مع العمليات الطبيعية للتنمية في العالم والواقع أنه يقاومها كما لو كان يتعامل مع نوعية القلاقل التي يمكن أن توجد في دولة برجوازية مستقرة

إن تاريخ العالم يخبرنا أن أي كيان سياسي من صنع البشر لم يكتب له البقاء إلى الأبد فالامبراطوريات تنشأ وتزول، ولابد للمجتمع الدولي الحديث أن يأخذ من ذلك العبرة، وهذا كله يوافق مشيئة الله إن أولئك الذين يرون أن الكوارث تلوح في الأفق بضخامتها في الوضع الراهن لا يدركون عظمة الله وجلاله

وهم لم يدركوا المعنى الحقيقي لكلمات في البدء كانت الكلمة، وهذه الكلمة نسبت إلى الرب بل كانت هي الرب

إن الأساس الفلسفي للأزمة السياسية التي تواجه المجتمع الدولي تكمن في أوهام أن هـذا المجتمع يمثل أوج التنمية الإنسانية0 وهذا يؤكد الافتراض بأن النظام العالمي الذي وضعه قـادة ومسئولي المجتمع الدولي نظام خالد0 وهذا الافتراض بدوره أمر مهلك لهم ومأساة للعديـد مـن الشعوب في كافة أرجاء العالم0 إن مؤسسي وقادة المجتمع الدولي يعتقدون الآن بـأن المجتمـع الدولي نظراً لأنه وضع وخطط له على أكمل وجه فإن من واجبهم الآن الحفاظ عليه0 وهذا الوهم أدى إلى تكوين الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية من قبل المجموعة الرئيسية للـدول0 وقد اعتادت هذه الدول خلق تحالفات أخرى الغرض منها أن تعمل من خلال هذه المنظمات على حماية الأمن الجماعي من الفوضى في العالم ومما لا مناص منه أن عملهم هذا يرقى إلى مقاومة القوى الطبيعية للتغيير

وهذا لا يتأتى منه سوى الصراعات وسوف يؤدي ذلك إلى تغييرات جذرية في بنية النظام العالمي على مدى الزمن وفي الأوضاع النسبية للدول والشعوب ومن ثم، قد يبدو أن جوجـول كان محقاً عندما قال: أنا ولدتك، لذا فإنني سأقتلك

إن الشر لا يعالجه إلا من بذروا بذوره، وإن كانت هذه العبارة تبدو متناقضة ومتنافية مـع العقل، إلا أن هذا هو المخرج من الأزمة السياسية التي يجد المجتمع الدولي نفسه متورطاً فيها إن الأزمة تكمن في الطبيعة الفاسدة لهيكل ذلك المجتمع نفسه، وأصبح المجتمع الدولي وكأنه رجـل مريض نفسياً ويأتي بتصرفات ضد العالم متخيلاً أن العالم يهدده0 وبعبارة أخرى يمكن القول بأن المؤسسات السياسية العالمية أصبحت مريضة بل وأصبحت بيروقراطية ومفلسـة مـن الناحيـة السياسية ونجح محترفوا الإبتزز والاختلاس في تأمين مكانة مريحة لهم في مختلـف منظمـاتهم ووكالاتهم وهؤلاء يصاحبهم في هذه التصرفات أناس لديهم الاستعداد من أجل الحصـول علـى نصيبهم من المعونات الإنسانية أن يمولوا الشيطان نفسه بل لا بأس من أن يمولوا المافيا الروسية السياسية في عدوانهم على الشعب الشيشاني وبالنسبة لهؤلاء لا يعتبر إندفاعهم بتقـديم المسـاعدة لأي كارثة تقع بالعالم سوى فرصة لهم لتحقيق الربح وهكذا استشرى الفساد ليمتد إلى الاتجار في شقاء وبؤس البشر تحقيقاً لمكاسب شخصية

إن الجانب المخيف من السياسة العالمية بمسمياتها العريضة في الوقت الراهن ولا سـيما بالشكل الذي تمارسه الدول العظمى يتمثل في أنها تسير على هدى مبادئ تحقيق الربح0 فهنـاك رجال يظهرون بملابسهم الأنيقة ووجوههم اللامعة وأساليبهم التي لا يرقى العيب إليها ولكن لديهم الاستعداد للإتجار في مصائر الشعوب كلها من أجل الربح0 ولكن ماذا عن الناس العاديين؟ مـاذا عن الرأي العام في هذه الدول وهي تشهد الرعب يتجلى أمام أعينهم؟ يمكن القول أن هذه الـدول تبدو مشلولة تماماً ولكن سيدفعون ثمن سلبيتهم وصمتهم

إذا نظرنا إلى مشكلة الشيشان ووضعنا في اعتبارنا ما سردناه من قبل، لا يمكن لنا إلا أن نعتقد إلا أن مصير الشيشان وقدرهم أن يكونوا بمثابة العامل المحفز للتغييرات في العالم وأن هذا القدر هو مشيئة الله ومع ذلك فإننا، وإن كنا نسير على طريق الحق، لا زلنا غير قـادرين علـى تلمس الطريق الصحيح في أن نركن بسلبية إلى مشيئة الله أو نعقد الأمور بارتكـاب الأخطـاء0 ولسوء الحظ أننا حتى عقب هجوم روسيا – لازلنا غير قادرين على تفسير الأحداث في روسـيا على الوجه الصحيح أو التصرف كرد فعل عليها بالشكل المناسب والحقيقة أننا لسنا وحدنا الـذين أحسنا التصرف في هذا الصدد وإنما ينضم إلينا أيضاً أولئك الذين حاولوا مخلصين أن يساعدوننا

في المناقشات مع مختلف الروسي، بما في ذلك ممثلين من النظام القـائم وممثلـين مـن المنظمات القانونية والإنسانية والأمهات التي يوجد أبناؤهن في الاسر، شعرت في مرات كثيرة أن ما نحتاج إليه من تعاطف يقل بكثير عما يحتاجه الروس، ذلك لأن الأحداث الجارية، برغم كـل شئ، تقود الشعب الشيشاني نحو الصحوة، في حين أن نفس الأحداث تقود الروس نحو الانهيار

وفي نفس الوقت، فإن أي روسي يستشعر الشر في عدوان روسيا على شيشنيا يمكنـه أن يلاحظ أن أفعال روسيا تدمرها هي في المقام الأول وواقع الحال أن أفعال روسيا، علـى المـدى البعيد، قد تتحول لتصبح في صالحنا ولا أحد يستطيع فهم المشكلة فهماً صحيحاً ومتعمقـاً سـوى الروس الذين يهمهم خلاص روسيا، ومن منطلق هذا الفهم تأتي تصرفاتهم وعلى النقيض من ذلك فإن ما نلاقيه من مصاعب وأوقات مأساوية تأخذنا إلى طريق سيأخذنا بكل تأكيد إلى عتبة النصر ومع ذلك لكي يتم إدراك ذلك لابد للمرء أن يؤمن ويعتقد في الآله الواحد0 ومن سوء الحـظ أن روسيا اليوم يحكمها الإلحاد، وأن الكنيسة الأرثوذوكسية الروسية ترى بعضاً من الحق والحقيقـة لكنها خائفة من أن تفصح عن ذلك لأن آباء الكنيسة غير واثقين تماماً من انتهاء عهود المخابرات

ومن ثم لا يزال الشك والخوف يسيطر على أفعالهم الأمر الذي يلغي أي إمكانية لكي يكون للكنيسة الأرثوذكسية أي تأثير على السياسة بشأن أي شئ مثل الحرب الشيشانية الروسية ونحن متأكدون اليوم أننا لسنا فقط في حاجة إلى من يدافعون عن أوضاعنا وإنما نحن في حاجة إلى أبطال يحدوهم خوف الله وتقواه ويألون على أنفسهم خدمة أراضيهم وشعوبهم ويدخل ضمن هؤلاء الابطال الروس الذين يخافون الله حق تقواه والروس الأبطال

ولن يتأتى ذلك إلا تولي المؤمنون المخلصون أمور الدول الكبرى في العالم، وعندئذ يمكننا أن نتوقع أن يصبح المجتمع الدولي حامياً ومدافعاً عن العدل والمبادئ الاساسية لتعامل الدول بعضها مع البعض

في الوقت الحاضر نجد أن مقدار ما يتحلى به غالبية قادة الدول الكبرى من روح دينية مثار للشك وهؤلاء يبدو يؤدون صلواتهم بأفواههم بينما أرواحهم ومن ثم أفعالهم تأخذ طريقها سعياً وراء تحقيق الأرباح، ويبدأ سعيهم لتحقيق هذا الهدف باستعمال القوة والمكائد السياسية وأي طرق أخرى يرونها مناسبة وكل ذلك يتم بدعوى أنهم يؤمنون مصالح الناس

دعنا نفترض أن هؤلاء القادة يذعنون للشيطان تحت مسمى مصالح شعوبهم0 فكيف تنضوي أفعالهم تحت لواء مبادئ أي دين من الأديان، وجميع هذه الأديان تشهد على وحدة البشر؟ من منظور أحكام القانون والعدالة فإن أي خروج عن مبدأ الوحدة من أجل معتقدات إقليمية أو قومية أو عنصرية يعتبر بكل بساطة مخالفة لمشيئة الله وما مزاعم هؤلاء القادة المتمثلة في أنهم يتصرفون في ذات الوقت على هدى قيم دينية، إلا محض إفتراء ولابد لهؤلاء القادة أن يتذكروا أن مسئوليات القيادة والزعامة أكبر بكثير من مسئوليات المواطنين البسطاء ومن ثم فإن نسبياً سيكون أعظم وإذا استغلت حكومة شعب ما، ولا سيما حكومات الدول القوية والمتقدمة، مشاكل ومآسي الناس البسطاء لتحقيق أهدافها السياسية في تعاملها مع الغير الذي يقف وراء تلك المشاكل والمآسي تكون هذه الحكومة آثمة ومحلاً للإدانة ولا يقتصر الأمر على إدانتها وإثمها أمام شعبها بل يتعدى الأمر ذلك إلى إدانتها أمام الله ألا يعني ذلك أن الدول التي تتزعم المجتمع الدولي بدأت تخطو على طريق معارضة مشيئة الله؟ أليست هذه الدول غارقة في مخاطر معارضة الناموس الذي يحدد للبشر ما هو خير لهم وما يحقق لهم مصالحهم بصورة حقيقية؟

2-الجانب القانوني للمشكلة:

إن أي فرد يشغل نفسه بالسعي إلى تحقيق المنافع الاجتماعيـــة والاقتصـــادية لـــه ولمـــن يحيطون به وينس إلى أي حد تتمشى أفعاله مع مشيئة الله، لا يمكن أن يظل أميناً فيما يأتيه مـــن أفعال0 وكلما زادت مشاغل الفرد لتحقيق هذه المنافع الشخصية، كلما زادت احتمالات نســـيانه لله الخالق، ذلك فضلاً عن أن القوة غالباً ما تحمل معها نزعة ألا يرى الفرد أو يسمع إلا مـــا هـــو مناسب له ومحقق لمنفعته ومن الواضح في نهاية المطـــاف، أن هـــذه النزعـــة أصـــبحت مـــن الخصائص المميزة لسياسات المجتمع الدولي، وإلا هل هناك تفسير آخر لإصرار قيادات القـــوى العالمية على رفض الاستجابة للأدلة التي قدمتها لهم الأمم المتحدة وغيرها على مدى الســـنوات الثلاث الماضية حول الشيشان

ومع ذلك، فإننا ندعو الله أن يكون مع القوى ومع قادة الدول العظمى بل ومع أولئك الذين يؤثرون في مصير البشر فحتى نحن ليست لدينا القدرة على تدبر نتائج أفعالنا بالشكل الصـــحيح، لأننا لم نأخذ في الحسبان تاريخ وطبيعة دولة الشيشان ووضعها الراهن وقصـــورنا فـــي القيـــام بالاستغلال السليم للمزايا التي ننعم بها على الساحة السياسية قد يستخدم ضدنا بل إنـــه يســـتخدم ضدنا في بعض الأحيان

لقد لاحظ جوهر دوداييف وهو على حق في ملاحظاته أن النجاح في حقل السياسة يعتمد على صحة تشخيص وتحديد المشكلة0 وإذا تأملنا الجانب القانوني للمسألة فيما يخصنا، سنجد بعضاً من جوانب صحة ملاحظاته0 وما الاعتراف بجمهورية الشيشان في إشيكيريا كدولة مستقلة من جانب روسيا إلا مظهر من مظاهر عدم شرعية المناورات التي أصبحت سمة مألوفة من سمات الحياة السياسية اليوم0 إن التغييرات في التطبيق ومراعاة أحكام القانون أمور لا غنى عنها إذا كان المجتمع الدولي يسعى للتوصل إلى مناهج واقعية للتعامل مع هذه المسألة وغيرها

وبالنسبة لنا فإن مثل هذه التغييرات لا غنى عنها إذا أردنا أن تتـــوفر لنـــا القـــدرة علـــى الاستفادة من مزايانا الأكيدة في المعركة

وعند بحث مسألة إعادة رسم العلاقات بين الشيشان والدول الروسية، تطفو إلـــى الســـطح مشكلة اعتراف روسيا بجمهورية الشيشان في اشكيرية باعتبارها جزء من المشكلة ولا يعتبر حل هذا الجزء من المشكلة كافياً لصياغة حل شامل لمسألة الشيشان

ولكي ننظر للمشكلة من كافة الجوانب وصياغة حل قانوني لها يلزمنا أن نأخذ في الحسبان ليس فقط اعتراف روسيا باستقلال شيشنيا وإنما الاعتراف المتبادل فيما بين الاتحاد الروسي وجمهورية الشيشان في أشيكيريا0 وربما كان هذا هو الحل الصحيح والشامل للمشكلة، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار تاريخ العلاقات القانونية بين الدولتين

والحقيقة أن الاتحاد الروسي خرج إلى الوجود في مرحلة لاحقة لجمهورية الشيشان المستقلة وخرج هذا الاتحاد إلى الوجود بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ونجاح المؤامرات التي حاكتها عصابة يلتسين في ديسمبر 1991

وعلى العكس من ذلك أعلنت جمهورية الشيشان في 25 ديسمبر 1990 من قبل المجلس الوطني لشعب الشيشان بكامل أعضائه وقد أخذ المجلس لدى إعلان جمهورية الشيشان في حسبانه رغبة شعب أنجوشيا الذي كان قد أعلن منذ أوائل عام 1989 قيام جمهورية أنجوشيا داخل حدوده التاريخية إن إعلان جمهورية الشيشان بالإضافة إلى قرار الكونجرش لدى شعب أنجوشيا في عام 1989 كانت بمثابة أهم الاحداث الإيجابية عندما أعلن المجلس الأعلى لجمهورية الشيشان والأنجوش الاشتراكية السوفيتية المستقلة سيادة جمهورية الشيشان والأنجوش في 27 نوفمبر 1990، وبعد اتخاذ هذه الخطوات انتظر شعب الشيشان قيام جمهوريتهم الشيشانية لمدة سنة أخرى

وكانت الخطوات التي اتخذت حينئذ متمشية مع قواعد القانون الدولي، فضلاً عن مسايرتها لأحكام دساتير جمهورية الشيشان والأنجوش، والاتحاد السوفيتي والاتحاد الروسي0 لقد كان من شأن إعلان 27 نوفمبر 1990 أن بذر بذور تكوين دولة مستقلة جديدة تتوفر فيها كافة المتطلبات القانونية ذات الصلة ومن أهمها المتطلبات والشروط الواردة في القانون الدولي

ومعنى أن الدولة الجديدة مستقلة يفيد أنها من هذا الوقت فصاعدا ليست خاضعة لولاية الاتحاد السوفيتي أو الاتحاد الروسي الذي خرج إلى الوجود على أنقاض الاتحاد السوفيتي

ولقد شكل إعلان سيادة دولة جمهورية الشيشان والأنجوش وغيره من الوثائق الأساس القانوني لدولة الشيشان والأنجوش الجديدة وهذه الوثائق نشرت بأكملها بالصحف الرسمية وجرت مناقشتها باستفاضة في وسائل الإعلام في كل من جروزني وموسكو0 وقط حظى إعلان

الاستقلال بالدعم الكامل للشعب، فإذا أضفنا إلى ذلك الأساس القانوني السليم لهذا الإعلان لوجدنا أنه إعلان تتوفر له الشرعية الكاملة

حظى تكوين الدولة الجديدة بقبول قادة الاتحاد السوفيتي ومن بعدهم قادة الاتحاد الـــروس وبالطبع كان هناك ابتهاج ولكنه محدود في روسيا إزاء هذه الاحداث وفي الوقت ذاته لـــم يكـــن هناك أي اعتراضات رسمية على تلك الاحداث0 فلم تتم أي محاولة لإلغاء الإعلان وهذه حقيقـــة نقررها بأنه لم تتم أي محاولة من هذا القبيل حتى يومنا هذا ومن جانبـــه قـــام لمجلـــس الأعلـــى لجمهورية الشيشان والأنجوش في يونيو 1991 بإدخال الإصـــلاحات المناســـبة علـــى دســـتور جمهورية الشيشان والأنجوش الجديدة ليتمشى مع الوضع القانوني المطلوب لدولة مستقلة وهـــذا الإجراء هو الآخر لم يقابل بأي اعتراض من قبل السلطات في موسكو وهكذا فإنه بالنظر إلى أن استقلال شعب الشيشان في 6 سبتمبر 1991 ثم وفقاً لدستور جمهورية الشيشان والأنجوش، ووفقاً لأحكام القانون الدولي ولم يلق أي اعتراض من موسكو، فإن أي مسائل متبقية دون حلول كـــان يتعين تناولها على هذا الأساس ويعني هذا أن أي مسائل معلقة كان يتعين تناولها على اساس أنها مسائل بين دولتين ذات سيادة فمثلاً مسألة العلاقات مع روسيا كان يتعين عدم مناقشـــتها إلا بعـــد إعادة المنطقة الجبلية التابعة لأنجوشيا0 فهذه المنطقة تم الاستيلاء عليها عقب ترحيـــل الشيشـــان والأنجوش عام 1944 وهذه المسألة أخذت في الحسبان في الإجراءات القانونيـــة التـــي دعمـــت تكوين جمهورية الشيشان والأنجوش في 27 نوفمبر 1990

لذلك فإن التسوية الصحيحة لمسألة الحدود الإقليمية كانت ستهيئ المناخ لتســـوية مســـألة العلاقات بين الدولتين بصورة رسمية

يبدو واضحاً من كل ما ذكر آنفاً أنه لو اتبعنا حرفية القانون السوفيتي والروسي والقـــانون الدولي لوجدنا أن جمهورية الشيشان لم تقم نتيجة للإنفصال عن الاتحاد السوفيتي أو روسيا، رغم أن ذلك حدث في نوفمبر 1990 ولكنه حدث بالاحرى نتيجة لاتفاقات قانونيـــة تشـــمل المســـائل القانونية لجمهورية الشيشان والأنجوش المستقلة0 وزيادة على ذلك لقيت هذه الاتفاقات القبول من جانب الاتحاد السوفيتي ومن بعده الاتحاد الروسي بصفتهما جهة الاختصاص ومع انهيار الاتحاد السوفيتي تم إدخال التغييرات اللازمة على الهيكل الحكومي لجمهورية الشيشان والأنجوش كما أن الإدارة المؤقتة التي كونت قبل الانتخابات لقيت القبول من جانب موسكو0 لقد رسخت إنتخابـــات

27 أكتوبر 1991 إستقلال جمهورية الشيشان في اشكيرية بالانتخاب الرسمي لأول رئيس لهـــا0 وفي نفس الوقت قام شعب أنجوشيا بعمل استفتاء شعبي لإضفاء الصفة الرســمية علـــى عودتـــه للاتحاد الروسي

وبالنظر إلى ما وقع، يمكن أن نرى أن رفض نتائج انتخابات رئيس جمهوريـــة الشيشـــان وبرلمانها من قبل المجلس الأعلى للاتحاد الروسي في نوفمبر 1991 يرقى إلى التدخل المشـــين والاستبدادي في الشئون الداخلية لدولة مستقلة والمفارقة تتمثل في أن روسيا كانت في ذلك الوقت جمهورية بالاتحاد السوفيتي وليس دولة كاملة الاستقلال، وكان ذلك قبل شهرين من تولي بلتسين مقاليد الحكم0 وزيادة على ذلك فإنه لكي يتم إبطال انتخاب رئيس وبرلمان جمهوريـــة الشيشـــان، كان يتعين على المجلس الأعلى أن يبطل إعلان سيادة دولة جمهورية الشيشان والأنجوش بتاريخ 27 نوفمبر 1990

تكون الاتحاد الروسي كدولة مستقلة بعد سنة واحدة وشهر من قيام جمهوريـــة الشيشـــان والأنجوش وبعد شهرين من إضفاء الطابع القانوني على قيام جمهورية الشيشـــان المســـتقلة فـــي اشيكيريا والواقع أن دستور الاتحاد الروسي بدأ نفاذه بعد سنة وتسعة أشهر من دستور جمهورية الشيشان

في ديسمبر 1993 قام المشرعون الروس بتصفية حق شعوب الاتحاد الروسي في تقريـــر مصيرهم بإلغاء حق الانفصال عن الاتحاد الروسي، وكان ذلك بمثابة صفحة على وجه المجتمـــع الدولي

وعلى الرغم أن ذلك، من الناحية القانونية، ليس له صلة بالشـــعب الشيشـــاني، يجـــب أن يلاحظ أن حق تقرير المصير حق طبيعي وغير قابل للمساومة لكل شعب ولا يمكن تصفية هـــذا الحق من جانب أي دستور لأنه حق منحه الله للبشر وجميع الشعوب دون استثناء تعلم ذلك بغض النظر عن معارضة وعدوان الدول العظمى

لذلك، دعنا نعود إلى مسألة الاعتراف المتبادل بين جمهورية الشيشان والاتحاد الروســـي ونود أن نوضح أن موافقة الجانب الشيشاني على هذا الإجراء لابد وأن يفهمه المجتمـــع الـــدولي على أنه إجراء من منطلق الإرادة الحرة ومن ثم يتعين على المجتمع الدولي أن يعـــالج ويتنـــاول

بالبحث المسئولية الدولية لروسيا عن عدوانها ضد الدولة المستقلة وشعبها، ذلـــك لأن اعتـــراف روسيا من قبل جمهورية الشيشان في اشيكيريا لا بد وأن يعتمد على تصرفات روسيا في المستقبل واستعدادها للاعتذار رسمياً عن جرائمها التي ارتكبتها في حق الشعب الشيشاني في هذا الصراع الحالي وفي الماضي ويجب أن يقترن هذا الاعتذار بالتعويض عن الأضرار والمآسي التي لحقت بدولة شيشنيا وشعبها وزيادة على ذلك يجب أن تطالب روسيا بأن تصدر تعهداً على المســـتوى الدولي بألا ترتكب مرة أخرى جرائم في حق الشعب الشيشاني وهذا التعهد يجب أن يكفله مجلس الأمن بالأمم المتحدة في شكل توقيع عقوبات على روسيا إذا أخلت بأحكام مثل هذا التعهد

وبالطبع، فإن أي اتفاقات لابد وأن ينظر إليها الشيشان بقليل من الثقة بسبب تاريخ روســـيا الطويل في العدوان عليهم ومن ثم فإننا نتصور إنشاء قوة قادرة على الحد من التهديد ا لمتمثـــل في عودة روسيا إلى مباشرة تحقيق طموحاتها في المستقبل عقب تسوية الأزمة الراهنة

إن قوة المجتمع الدولي في النواحي السياسية تقاس بقدرته على تسوية الحرب الشيشـــانية الروسية بصورة عادلة تأخذ في الحسبان المصالح الحقيقية لكلا الطرفين، وهذا أمر يحقـــق فـــي النهاية مصالح الجميع لأنه ليس ثمة أحد في مأمن تام من العدوان الروسي حتى يتم كبح جمـــاح عدوانها الذي تشنه علينا في الوقت الراهن وبناء على ذلك يمكن القول بأنه يجب عـــدم تضـــييع الوقت وبذل الجهد لإيجاد تسوية حقيقية ودائمة لهذا الصراع

الموضوع	الصفحة